

فلسطين:

من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد



الدكتور معاوية إبراهيم

- ولد في نابلس ١٩٤٠.
- دكتوراه في الآثار واللغات الشرقية القديمة من جامعة برلين الحرة عام ١٩٧٠.
- مدير معهد الآثار والأنثروبولوجيا (جامعة اليرموك). كان عميداً لكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة اليرموك ومساعد مدير عام الآثار في الأردن وأستاذاً زائراً في جامعات برلين الحرة وتوبنغن ونسلفانيا (فيلادلفيا).
- عضو في معهد الآثار الألماني، والمدارس الأمريكية للأبحاث الشرقية والجمعية الألمانية الشرقية، وهيئة تحرير حولية دائرة الآثار العامة. وهو رئيس تحرير أبحاث اليرموك - سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ورئيس تحرير سلسلة منشورات معهد الآثار والأنثروبولوجيا.
- من مشاريع البحث الميدانية: مدير حفريات سحاب ومطار الملكة علياء والبعثة العربية في البحرين والبعثة الأردنية الكويتية في عكاكز ومدير مشارك بحفريات تل دير علا وحفريات المغيرة / الزرقون.
- من مؤلفاته: بالعربية، حفريات البعثة العربية في موقع سار - الجسر ١٩٧٧ - ١٩٧٩، عادات الدفن في الشرق القديم؛ وبالإنكليزية، التراث الأثري في الأردن، ومدفن في مطار الملكة علياء الدولي، ومسح أثري لمنطقة سحاب (وهي بالمشاركة مع آخرين)، إضافة إلى حوالي ٤٠ بحثاً ومقالة نشرت في كتب ودوريات متخصصة.

فلسطين : من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد

الدكتور معاوية إبراهيم

- ولد في نابلس ١٩٤٠.
- دكتوراه في الآثار واللغات الشرقية القديمة من جامعة برلين الحرة عام ١٩٧٠.
- مدير معهد الآثار والأنثروبولوجيا (جامعة اليرموك). كان عميداً لكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة اليرموك ومساعد مدير عام الآثار في الأردن وأستاذاً زائراً في جامعات برلين الحرة وتوبنغن وبنسلفانيا (فيلادلفيا).
- عضو في معهد الآثار الألماني، والمدارس الأمريكية للأبحاث الشرقية والجمعية الألمانية الشرقية، وهيئة تحرير حولية دائرة الآثار العامة. وهو رئيس تحرير أبحاث اليرموك - سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ورئيس تحرير سلسلة منشورات معهد الآثار والأنثروبولوجيا.
- من مشاريع البحث الميدانية: مدير حفريات سحاب ومطار الملكة علياء والبعثة العربية في البحرين والبعثة الأردنية الكويتية في عكاظ ومدير مشارك بحفريات تل دير علا وحفريات المغير / الزرقون.
- من مؤلفاته: بالعربية، حفريات البعثة العربية في موقع سار - الجسر ١٩٧٧ - ١٩٧٩، عادات الدفن في الشرق القديم؛ وبالإنكليزية، التراث الأثري في الأردن، ومدفن في مطار الملكة علياء الدولي، ومسح أثري لمنطقة سحاب (وهي بالمشاركة مع آخرين)، إضافة إلى حوالي ٤٠ بحثاً ومقالة نشرت في كتب ودوريات متخصصة.

المحتويات

٣	المقدمة
٤	مقدمة أولى - في تسمية فلسطين عبر التاريخ القديم
٥	مقدمة ثانية - في تاريخ البحث وتفسير الآثار الفلسطينية
١٥	مقدمة ثالثة - في جغرافية فلسطين التاريخية
٢٢	الفصل الأول - مرحلة التنقل وجمع القوت: العصور الحجرية القديمة (حوالي ١,٥٠٠,٠٠٠ - ١٨,٠٠٠ ق.م)
٢٨	الفصل الثاني - المرحلة الانتقالية من الجمع إلى الإنتاج (حوالي ١٩,٠٠٠ - ٨,٠٠٠ ق.م)
٣٤	الفصل الثالث - مرحلة القرى الزراعية بداية استقرار الإنسان ومرحلة الإنتاج
٥٨	الفصل الرابع - عصر دويلات المدن (ظهور دويلات المدن)
١١١	الفصل الخامس - عصر الممالك: العصر الحديدي (حوالي ١٢٠٠ - ٥٥٠ ق.م)
١٣٠	الفصل السادس - نهاية عصر الممالك حتى عهد الإسكندر المقدوني (العهد الفارسي)
١٣٣	الحواشي
١٣٦	المراجع

المقدمة

القديم محاولين من خلال ذلك اكتشاف الخصوصية التاريخية الفلسطينية ودراسة الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال الفترات القديمة المختلفة.

لقد كان لموقع فلسطين المتوسط بين الدول التي نشأت في وادي النيل وبلاد ما بين النهرين والأناضول دور كبير في كتابة تاريخها. ونظراً لأن فلسطين جزء من بلاد الشام التي كانت هدفاً لمطامع الدول الكبرى القديمة فإننا نجد أن تاريخها القديم كان في معظم الأحيان مرتبطاً مع هذه القوى. وفي هذا الإطار العام كان لفلسطين دور بارز في عملية الاتصال الحضاري ما بين المناطق المختلفة من العالم، إذ كانت موضع تأثر وتأثير في جميع مناطق الشرق القديم وشرقي البحر المتوسط وشمال إفريقيا.

اهتم الباحثون الأجانب بدراسة تاريخ فلسطين من جميع النواحي الأثرية والاجتماعية واللغوية وغيرها، ولذا توالى رحلاتهم الاستكشافية وأعمالهم الميدانية منذ الفترة اليونانية حتى الوقت الحالي. وجاءت معظم المصادر إن لم تكن جميعها مكتوبة بواسطة علماء الآثار والتاريخ القديم الأوروبيين والأمريكيين وبلغاتهم المختلفة سواء الانكليزية أو الفرنسية أو الألمانية. وما يؤخذ على هذه المراجع أنها جاءت متحيزة في كثير من الأحيان. أما المراجع التي كتبت باللغة العربية فهي قليلة جداً، وأما المتيسر منها فإنه لا يجاري الدراسات الميدانية والاكتشافات المتوالية على الأرض الفلسطينية والمناطق المجاورة لها وتطور البحث العلمي المتنامي بشكل سريع.

يواجه الباحث صعوبة كبيرة في كتابة تاريخ فلسطين القديم لقلة المصادر المكتوبة، خاصة قبل الألف الثاني قبل الميلاد، ولأن اعتماده الرئيسي هو على المكتشفات الأثرية التي تملأ آلاف المجلدات وعشرات الدوريات. وتعتمد هذه المكتشفات في تفسيرها على منطلقات المنقبين وخلفياتهم وأهدافهم. وإلى جانب الغيابات العلمية، ذهب كثيرون لتفسير المادة الحضارية تبعاً لذلك، فجاءت نتائج البحث مشوهة أبعدت عنها قوة الشخصية الحضارية

ساعدت خصوبة أرض فلسطين واعتدال مناخها وموقعها المتوسط على وجود الإنسان فيها منذ أقدم العصور حتى الوقت الحالي. وبين يدي القارئ دراسة للمجموعات البشرية الأولى التي عاشت في فلسطين منذ أقدم الدهور حين كان الإنسان فيها بدائياً يعتمد الجمع والالتقاط في معيشته، حتى العهد اليوناني أيام الاسكندر المقدوني حوالي ٣٣٢ ق.م. (*)

ولا يخفى على القارئ أن الكتابة حول هذه المرحلة الطويلة من حياة الإنسان تحتاج إلى أن يفرد لها مجلدات عدة، ومع هذا، فقد حاولنا جل جهدنا أن نستعرض باختصار تاريخ فلسطين

(*) ليس ما نقدمه هنا إلا بداية متواضعة نعرضها للنقاش والتعديل، وما ثمة هذا الجهد إلا خلاصة عمل كبير قام به عدد من المؤرخين والعلماء الأجلاء عبر عشرات السنين الماضية، وأخص بالذكر هنا هؤلاء العلماء الذين كرسوا جهودهم للكشف عن الحقيقة العلمية من أمثال كاثلين كنيون (Kathleen Kenyon) ومارتن نوث (Martin Noth) وهانك فرانكن (Hank Franken). وما الأفكار المطروحة إلا ما تمخضت عنه المناقشات والأراء المتبادلة في المراجع والمحاضرات والندوات في مختلف المؤسسات التي أتيت لي فرصة البحث والمناقشة فيها، وأخص بالذكر معهد الآثار والانثروبولوجيا في جامعة اليرموك حيث تم استكمال هذه الدراسة بشكلها الحالي وبعد أن نوقشت فصولها مع عدد من الزملاء والطلبة داخل المعهد. ومع أنني أحمل ما تمخضت عنه الدراسة من نتائج، فإنني آثرت أن يشاركني زميلي الدكتور زيدان كفاي في كتابة فصلين كاملين هما: في جغرافية فلسطين التاريخية، وعصور ما قبل التاريخ حتى نهاية العصر الحجري الحديث. وعندما كلفت بإعداد هذه الدراسة كنت على أبواب سنة التفرغ العلمي من جامعة اليرموك وقد قضيتها في جامعتين عربيتين في الدراسات الشرقية وهما جامعة بنسلفانيا الأمريكية وجامعة توبنغن في ألمانيا الاتحادية. ولا شك أنني انتفعت كثيراً من مرافق هاتين المؤسستين والمكتبات فيها كما انتفعت بإثراء الباحثين والأساتذة الأفاضل المتتمين إليهما. فجزيل الشكر إلى جميع من ساهم في هذا العمل سواء أكان ذلك في طرح الأفكار أم في توفير المراجع والصور والبيانات والرسومات والطباعة، أم في مراجعة هذا العمل وإضافة بعض الملاحظات القيمة له.

الفلسطينية ودورها في الحضارة الإنسانية، وألصقت مقومات هذه الحضارة لشعوب وقبائل مهاجرة إلى فلسطين أحياناً، أو أنها جعلت قوة غيبية خفية مسؤولة عن هذا الإنجاز الكبير، وأنكرت بذلك أن يكون الشعب الفلسطيني – الذي عرف كيف يتكيف في بيئته – الصانع الفعلي لهذه الحضارة، على الرغم مما واجهه من تحديات.

تم في أوروبا وأمريكا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر تأسيس كثير من الجمعيات التي كان همها الأول إثبات صحة ما جاء في التوراة. فتحوّلت جل أعمالها الميدانية والنظرية للتركيز على البحث والتنقيب في المواقع التي تعود للعصر الحديدي بشكل خاص لأنها المرحلة المتعلقة بأحداث التوراة، وجاءت هذه الأعمال في معظم الحالات لتخدم الأفكار الصهيونية ومنها فكرة الحق التاريخي المزعوم لليهود في فلسطين.

وعلى الرغم مما ذكر فقد خرج من المؤرخين والأثريين التوراتيين علماء ينادون بتغيير منهج البحث التوراتي، والاعتماد في تفسير الظواهر المختلفة على المكتشفات المادية. ويذكر منهم على سبيل المثال العالم الهولندي هانك فرانكن الذي يقول في إحدى كتاباته «لولا الروايات التوراتية التقليدية لما وجد الأثريون التوراتيون أي تغير عرقي يذكر في نهاية العصر البرونزي المتأخر».

لقد نشطت الحركة الصهيونية منذ أواخر القرن التاسع عشر بمؤازرة مؤسسات غربية كثيرة لتوجيه المفهوم التاريخي في فلسطين لينسجم مع الفكر الصهيوني ومنطلقاته، وسلب الشعب الفلسطيني أرضيته العربية وهويته الحضارية. فالمسؤولون عن إبعاد الشعب الفلسطيني عن أرضه وقهره اليوم وإنكار حقه في تقرير مصيره على أرضه ووطنه هم أنفسهم الذين يحاولون تحريف تاريخه وتراثه بشكل عام، ويسلبون إنجازاته الحضارية في الحاضر والماضي.

مقدمة أولى

في تسمية فلسطين عبر التاريخ القديم

الآشورية من أيام الملك الآشوري ادد نيراري الثالث (حوالي ٨٠٠ ق.م)، إذ يذكر هذا الملك على مسلّته أنه في السنة الخامسة من حكمه أخضعت قواته فلسطين (Palastu) وأجبرت أهلها على دفع الضريبة. وفي سنة ٧٣٤ ق.م جعل تغلات بيلاسر الثالث «أرض فلسطين» هدفاً له، وترد تسمية مشابهة «أرض الفلسطينيين» في العهد القديم. ويبدو من الروايات الآشورية أن المنطقة كانت تضم مجموعة من الدول الفلسطينية التي كان أشهرها الدولة الساحلية حول مدينة اسدود العاصمة.

كما كانت هذه الدول تتحالف فيما بينها خاصة عندما كان يقع عليها هجوم خارجي، ويرد في أحد النصوص الذي يتضمن اتفاقية بين الملك الآشوري اسرحدون، وبعل ملك صور، ذكر اسم «أرض فلسطين» بجانب «أرض آشور». على أية حال يستنتج من النصوص المختلفة على أن المقصود من هذا المصطلح الساحل الفلسطيني، إلا أنه في غالب الأحيان قصد به كامل الأرض الفلسطينية الممتدة بين سيناء جنوباً وغور الأردن شرقاً.

ترتكز صيغة التسمية عند هيرودوتس (Herodotus) على أسس آرامية «بالستين» ونجد عنده أحياناً أنه مكان يطلق على الجزء الجنوبي من سوريا أو «سوريا الفلسطينية» بجوار فينيقيا

لا غللك حتى الآن وثائق تاريخية توضح اسم فلسطين قبل الألف الثاني ق.م، إلا أنه ليس من الغريب أن تكشف السجلات الرافدية والسورية الشمالية (وخاصة لوحات ابلا) التي يتوالى اكتشافها معلومات إضافية عن أسماء المناطق الواقعة جنوبي بلاد الشام في الألف الثالث ق.م، أما بلاد الشام بأكملها فقد عرفت في النصوص الأكادية في الألف الثالث ومستهل الألف الثاني ق.م على أنها «أمورو» أو الأرض الغربية، كما وتطلق هذه السجلات على شرقي البحر الأبيض المتوسط اسم «بحر أمورو». تأتي هذه التسمية نسبة إلى القبائل الأمورية التي جاءت إلى مختلف مناطق بلاد الشام واستقرت فيها تدريجياً.

وعرفت فلسطين منذ القرن الثامن عشر ق.م بأرض كنعان كما نصت عليها تقارير قائد عسكري عند ملك ماري ووردت بوضوح في مسلة ادرمي ملك الالاه (تل عطشانة) من منتصف القرن الخامس عشر ق.م. وأقدم ذكر لهذه التسمية في المصادر المسمارية من نوزي يعود إلى الفترة تقريباً نفسها، وهذه التسمية (Kinahhi أو Kinahna) تقارب الصيغة التي وردت كثيراً في رسائل تل العمارنة^(١).

غالباً ما يكون أصل كلمة فلسطين «فلسطين» التي ترد في السجلات

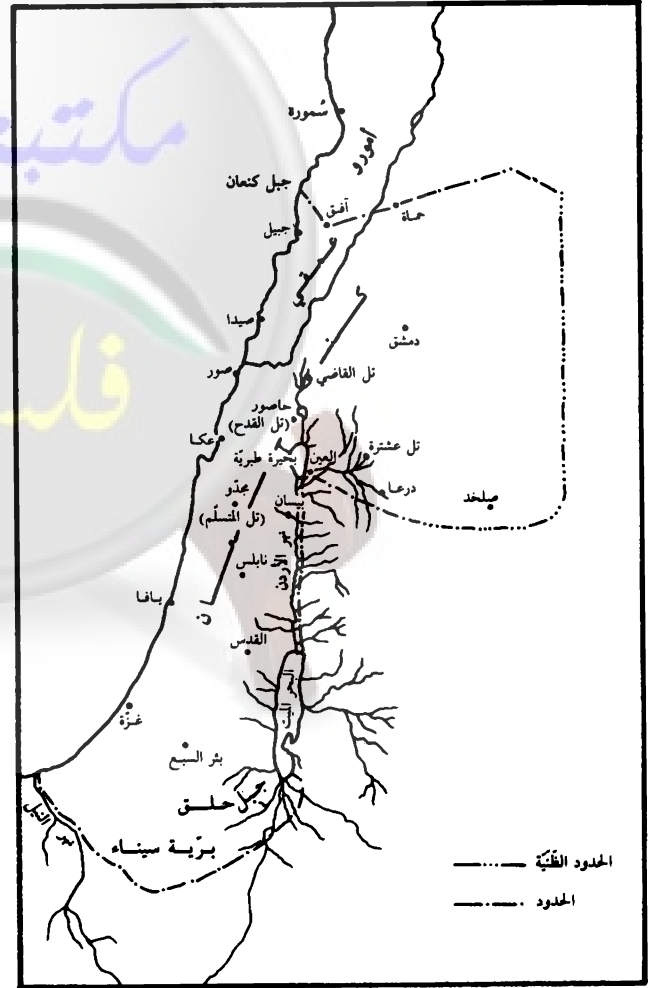
(Diodorus). ويشير بعض هؤلاء إلى المنطقة الجبلية من فلسطين على أنها «يوديا» اعتماداً على النص التوراتي لدى تفسيرهم لبعض حوادث التوراة أو استشهادهم بها. أما المؤرخ يوسفوس فإنه يورد تسميات مختلفة لبعض المناطق الفلسطينية مثل «أدوميا» للجنوب من فلسطين و«يهودا» للمنطقة الجبلية الجنوبية و«سمريتس» لمنطقة سبستية والجليل لشمالي فلسطين وبيريا لشرقي الأردن^(٢).

أصبح اسم فلسطين في العهد الروماني ينطبق على جميع الأرض المقدسة وغدا مصطلحاً رسمياً منذ عهد هدریان (Hadrian)، وانتشر استعمال هذا الاسم في الكنيسة المسيحية على نطاق واسع وكان يشار إليه دائماً في تقارير الحجاج المسيحيين. أما في العهد الإسلامي فقد كانت فلسطين جزءاً من بلاد الشام ويقول ياقوت الحموي في معجم البلدان بأن فلسطين:

«هي آخر كور الشام من ناحية مصر، قصبها البيت المقدس، ومن مشهور مدنها عسقلان والرملة وغزة وأرسوف وقيسارية ونابلس وأريحا وعمان ويافا وبيت جبرين، وقيل في تحديدها: إنها أول أجناد الشام من ناحية الغرب، وطولها للراكب مسافة ثلاثة أيام، أولها رفع من ناحية مصر وآخرها اللجون من ناحية الغور وعرضها من يافا إلى أريحا نحو ثلاثة أيام أيضاً وزغر ديار قوم لوط، وجبال الشراة إلى أبلة كله مضموم إلى جند فلسطين وغير ذلك...»^(٣).

وكان لفلسطين منزلة خاصة في نفوس العرب والمسلمين إذ قال ابن الكلبي في قوله تعالى: «يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم»، «هي أرض فلسطين». وفي قوله تعالى: «الأرض التي باركنا فيها للعالمين»، قال: «هي فلسطين».

وحتى حدود مصر. واستعمل هذه التسمية المؤرخون الرومان من أمثال أغاثارشيدس (Agatharchides) وسترابو (Strabo) وديودوروس



حدود أرض كنعان

مقدمة ثانية

في تاريخ البحث وتفسير الآثار الفلسطينية

والدراسات النظرية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأهداف والدوافع. وفي الحقيقة فإن الأخيرة هي التي دفعت الأعداد الكبيرة من الأفراد والمؤسسات للقيام بأعمالهم الأثرية ودراساتهم التاريخية. لذا نحاول هنا أن نستعرض بشكل سريع الجوانب الرئيسية المتعلقة بهذا الموضوع مع الإشارة إلى الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في المنطقة العربية بشكل عام والمنطقة الفلسطينية بشكل خاص.

● المؤرخون والجغرافيون منذ العهد الهلنستي وحتى البيزنطي:

جرت العادة عند استعراض تاريخ البحث في الآثار الفلسطينية أن تسرد النشاطات الميدانية كأعمال المسح والحفريات الأثرية والتقارير الصادرة بشيء من الإعجاب، وإذا ما تعرضت النتائج لنقاش فإنه غالباً ما انحصر في تاريخ أثر أو طبقة أو إتباع هذا وذاك إلى حضارة أو أصول معينة، إلا أنه قلما تطرق الباحثون إلى الظروف والدوافع والأسس التي قامت عليها ومن أجلها هذه الأعمال.

إننا نعتقد أن النتائج المترتبة على النشاطات الميدانية

(History of the Church) الذي يتضمن تفاصيل عن المعابد والكنائس المسيحية، وألف كتاب الجغرافيا (Onomastikon) وكتاب حياة قسطنطين. ونشير هنا إلى اميانوس ماركيلنوس (Ammianus Marcellinus) الإيطالي من القرن الرابع الميلادي الذي كتب عن تاريخ الامبراطورية الرومانية من القرن الأول وحتى القرن الرابع بعد الميلاد وضمنه معلومات هامة عن فلسطين. وهناك كتب لجورجيوس كيوريوس (Georgios Kyprios) بعنوان وصف العالم الروماني يبين فيه قوائم مدن بلاد الشام وفلسطين وأقاليمها قبيل الفتح العربي الإسلامي.

● الجغرافيون والرحالة العرب: تعتبر بعض الكتب والتقارير التي تركها لنا الجغرافيون والرحالة العرب في العهد الإسلامي من المصادر الهامة للتعرف على معالم فلسطين وطوبوغرافيتها ومدنها وقراها، وتناولت بعض هذه المصادر النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسكانية والديمقراطية لبلاد الشام وفلسطين بشكل خاص.

فقد تطرق الاصطخري^(٤) إلى طوبوغرافية فلسطين ومعالمها الأثرية البارزة وتعرض إلى أجناد بلاد الشام وحدودها، كما علل تسمية بعض الأماكن والتضاريس، فالغور سمي كذلك لأنه غائر بين جبلين، وأنه يمتد من بحيرة طبرية شمالاً وحتى مدينة أيلة (العقبة) على البحر الأحمر جنوباً مروراً بغور الصافي ووادي عربة. وقام برسم خارطة بين فيها المدن الرئيسية والجبال والأنهار والبحيرات.

وذكر البلاذري^(٥) أسماء المواقع والمدن الشامية دون إعطائها وصفاً جغرافياً، من هذه المدن: حلب وحماة وحمص وطرابلس ودمشق وبيروت وصيدا وصور وعكا ويافا والرملة والقدس وطبرية وعمان والكرك والشوك وأيلة وفحل ويسان وجرش وبيت راس وجذرة (أم قيس) وقيسارية وغزة. وقام ابن الفقيه^(٦) بوصف معالم بعض المدن الرئيسية من مساجد وغيرها مثل المسجد الأموي في دمشق والمسجد الأقصى في بيت المقدس وتعرض إلى أسلوب بنائها وما تضمنته من نقوش وزخارف فنية متميزة.

وقد يكون المقدسي^(٧) خير من كتب في طوبوغرافية فلسطين من الجغرافيين العرب، فذكر المدن والقرى والمعالم الأثرية والتضاريس وضمن كتابه وصفاً منهجياً للمشاهد والمزارات والقباب والكهوف... إلخ. واعتمد على زيارته الهادفة وقام بقياسات لبعض المعالم الأثرية بنفسه.

تعتبر كتب التاريخ (الحوليات) (The Histories) التي تركها المؤرخ اليوناني هيرودوتس (Herodotus) من أقدم ما لدينا من كتب التاريخ (منتصف القرن الخامس ق. م). يصف هيرودوتس في كتبه المناطق التي زارها والشعوب التي سكنتها وعاداتهم وتقاليدهم. وقد شملت رحلاته إفريقيا والهند والبحر الأحمر وضمّنها أسماء المدن والمواقع الساحلية. أما المعلومات المتعلقة ببلاد الشام وفينيقيّا وفلسطين فإننا نجدها مبعثرة، ويركز المؤرخ على علاقة الامبراطورية الفارسية بفينيقيّا. ولدينا في العهد الهلنستي الوثائق المعروفة ببرديات زينون (Zenon Papyri) من منتصف القرن الثالث ق. م، التي تعتبر من الوثائق التاريخية الهامة عن الأوضاع الداخلية في فلسطين والأردن ومن ذلك الحياة الزراعية والاقتصادية والاجتماعية. يلي ذلك تواريخ بوليبيوس (Polybius Histories) من حوالي ٢٠٨ - ١٢٦ ق. م ومؤلفات ديودوروس الصقلي (٨٠ - ٢٠ ق. م). ويتحدث كلاهما عن الحوادث السياسية المتعلقة ببلاد الشام وفلسطين، ويجب الإشارة إلى أن كتب بوليبيوس من رقم ٥ وحتى ١٦ مفيدة للغاية، إذ أن المؤرخ كان على معرفة شخصية بعدد من حكام بلاد الشام.

ومن الجغرافيين الرومان: سترابو الذي ترك مجموعة من الكتب (٢١ - ٦٣ م) عن جغرافية الامبراطورية الرومانية في عهد اغسطس، وكتابه السادس عشر يبحث في آسيا وبلاد ما بين النهرين وبلاد الشام والجزيرة العربية ويتطرق إلى السكان والأماكن والإنتاج والعادات فضلاً عن ممالك بلاد الشام ومنها مملكة الأنباط. وهناك مرجع آخر (حوالي ٧٩ م) لصاحبه بليني الكبير (Pliny the Elder) الذي خصص فصلاً من كتابه الخامس في التاريخ الطبيعي عن سوريا وفلسطين ويصف فيه الفنون والعلوم والصناعات في المنطقة كجزء من العالم اليوناني والروماني. وقد ترك لنا بطليموس القلودي (Claudius Ptolemy) أقدم أطلس من منتصف القرن الثاني الميلادي متضمناً خرائط الأماكن وأسماءها في سوريا وفلسطين وبعض المعلومات عنها. وزودنا سوتونيوس (Suetonius) من بداية القرن الثاني وكاسيوس ديو (Cassius Dio) بمعلومات تاريخية عن فلسطين، وبشكل خاص في عهد كليغلا (Caligula) وتراجان (Trajan)، وهديان، وضمّنها قوائم الأقاليم والحكام.

وتخلف لنا عدد من السجلات والمصادر البيزنطية من أهمها ما كتبه: يوسيبوس (Eusebius) وهو أسقف قيسارية الفلسطينية (Caesarea Maritima)، وتعتبر كتبه من أهم المصادر عن فلسطين من عهد قسطنطين الكبير، ومن هذه الكتب تاريخ الكنيسة

(Edward Robinson) ورفيقه عالي سميث (Eli Smith) الذي كان يتقن اللغة العربية. ومع أنها لم يمكثا أكثر من خمسة شهور سنة ١٨٣٨، ثم سنة ١٨٥٢، فإن إنتاجهما يشكل أساساً هاماً لدراسة طوبوغرافية فلسطين مع ذكر مفصل لأسماء المواقع كما أخذوها عن سكانها العرب الأصليين^(٩).

● تأسيس الجمعيات الأثرية والتوراتية ونشاطاتها: شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحولاً واضحاً في البحث عن الآثار الفلسطينية، إذ أصبح العمل الأثري موجهاً من قبل جمعيات ومؤسسات غربية أنشئت لهذه الغاية. لقد أخذت هذه الجمعيات من التوراة منطلقاً لدراساتها وأعمالها الميدانية، كما تضمن بعضها أهدافاً ذات طابع سياسي وعسكري. أولى هذه الجمعيات «صندوق استكشاف فلسطين» (Palestine Exploration Fund) التي تأسست عام ١٨٦٥ بهدف البحث في الآثار والجغرافيا والجيولوجيا والتاريخ الطبيعي لفلسطين. وعندما صدر أول عدد من المجلة الدورية للصندوق عام ١٨٦٩ ظهر على غلافها «جمعية من أجل البحث الدقيق والمنظم في الآثار والطوبوغرافيا والجيولوجيا والجغرافية الطبيعية والتاريخ الطبيعي وعادات وتقاليد الأرض المقدسة لغاية التوضيح التوراتي»^(١٠). وبعد مضي خمس سنوات على تأسيس الصندوق البريطاني تأسست عام ١٨٧٠ جمعية أمريكية باسم (Palestine Exploration Society) التي لم تشبع رغبة مؤسسيها أهداف الجمعية البريطانية وإنما تعدتها لتوضيح الكتاب المقدس والدفاع عنه وتضمن برنامجها نداء: «إلى الضمير الديني مسيحياً كان أم يهودياً من أجل البرهنة على صحة الكتاب المقدس» (Palestine Exploration Society, First Statement, 1871) وشهدت نفس السنة ١٨٧٠ إنشاء جمعية بريطانية أخرى، جمعية الآثار التوراتية (Society of Biblical Archaeology) ووضعت من أهدافها «البحث في الآثار والتسلسل الزمني والتاريخ القديم والحديث لبلاد آشور والجزيرة العربية ومصر وفلسطين وغيرها من المناطق التوراتية»، وصرح أول رئيس لها صاموئيل بيرش (Samuel Birch) بأن «هدفها الآثار وليس اللاهوت ولكنها ستحقق للاهوت هدفاً هاماً»^(١١). وتأسس على غرار هذه الجمعيات جمعيات غربية أخرى أهمها المدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية والأثرية التي أسسها الدومينيكان عام ١٨٩٠، وأنشأ الألمان جمعيتين: «الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية» (Deutsch Orient Gesellschaft) عام ١٨٩٧ و«الجمعية الألمانية للأبحاث الفلسطينية» عام ١٨٧٧. باستثناء «الجمعية الأمريكية للأبحاث الفلسطينية» التي لم تعمر

ومن المصادر التي يجدر الإشارة إليها كتاب صورة الأرض لابن حوقل حيث أورد معلومات عن بلاد الشام مدعمة بالمخططات والخرائط الجغرافية لمختلف المناطق والمواقع ومنها تلك الواقعة على الساحل السوري الفلسطيني.

● الحجاج والرحالة: جذبت فلسطين أنظار الحجاج المسيحيين - بشكل خاص الأوروبيين منهم - الذين وفدوا إليها. ورجعوا إلى بلادهم، فدونوا ملاحظاتهم، أو تقاريرهم التي هي أشبه ما تكون بمذكرات عن الأماكن المقدسة التي زاروها^(٨)، إلا أن الاهتمام بالمخلفات والمعلم الأثرية في فلسطين - خاصة تلك المعالم والمواقع الدينية - قد بدأ يحتل دوراً ملحوظاً منذ العصور الوسطى، ومع نهاية الحروب الصليبية التي دفعت عدداً من المهتمين ورجال الدين للتحرك إلى البلاد المقدسة وزيارة محطاتها الدينية. ومع أن تقارير هؤلاء قد جاءت بأسلوب جاف يطفو عليه التعصب الديني فإن بعضها لا يخلو من معلومات وحقائق كنتك التي قدمها السويسري فيليكس شميدت فابري (Felix Schmidt Fabri) الذي زار فلسطين بين سنة ١٤٨٠ - ١٤٨٣، وكذلك الفيزيائي الألماني ليونهارد راوخ فولف (Leonhard Rauch Wolf) الذي زارها سنة ١٥٧٥، ووصف طبيعة تضاريس المنطقة، وضمن تقريره تصنيفاً مفيداً للنباتات والأشجار التي كانت تنمو على الأرض الفلسطينية. وهناك تقارير مزودة برسومات للمخلفات المعمارية قام بها كل من البلجيكي يوهان زولارت (Johan Zuallart) والهولندي يوهان فان كوتفيك (Johan van Kootwyck) في نهاية القرن السادس عشر.

نلاحظ بشكل عام ازدياد الاهتمام بالمنطقة في القرنين السابع عشر والثامن عشر حيث كتبت معظم التقارير الموجودة لدينا من قبل دارسي اللاهوت المتعصبين الذين انتقدتهم الهولندي أدريان ريلاند (Adrian Reland) في مؤلفه الهام - فلسطين مصورة من خلال معالمها القديمة - (Palaestina ex Monumentis veteribus illustrata) والذي صدر عام ١٧٠٩. وأصبحنا نجد وصفاً أكثر موضوعية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، خاصة لتلك المعالم الكلاسيكية وما بعدها، ومن الذين يستحق ذكرهم في هذه الفترة الألماني أولرش ياسبر سيتزن (Ulrich Jasper Seetzen) (١٨٠٠) والسويسري يوهان لودفيج بوركهارت (Johann Ludwig Burckhardt) (١٨٠١ - ١٨١٢) اللذان سجلا للغرب إعادة اكتشاف عدد من المدن التاريخية الهامة في شرقي الأردن من بينها عمان وجرش والبتراء. وهناك جهد واضح في تسجيل أسماء المواقع الفلسطينية التي قام بها ادوارد روبنسون

(H.H. Kitchener) على عمليات مسح منظمة كان من أهم نتائجها إصدار أول أطلس مضبوط لفلسطين (*Map of Western Palestine*). يضم هذا الأطلس ستاً وعشرين لوحة، ويتضمن تفاصيل طبوغرافية وسكانية وزراعية، فضلاً عن أسماء المدن والقرى والمواقع الأثرية. والجدير بالذكر أن المواقع هنا مثبتة بأسمائها العربية قبل أن يدخل عليها التحريف والتغيير للذات طراً فيما بعد. يرافق هذا الأطلس مجموعة مجلدات تتضمن وصفاً مختصراً للمواقع وخاصة الأثرية منها. وفي الحقيقة فإنه لا غنى عن هذا الأطلس وما يرافقه من نصوص في الدراسات الأثرية والتاريخية والسكانية والجغرافية بالرغم مما تم إنجازه من خرائط وأعمال بعد صدوره.

في عام ١٨٩٠ أوفدت جمعية صندوق استكشاف فلسطين واحداً يعتبر من أبرز من عمل في الآثار الفلسطينية وهو السير فلندرز بيتري (Flinders Petrie) وبدأ عمله في تل الحسي في جنوبي فلسطين وكان قبل ذلك قد اكتسب خبرة في التنقيب أثناء عمله في مصر. تمثل أعمال بيتري في تل الحسي أولى المحاولات لفصل الطبقات السكنية في موقع مرت عليه مراحل متعددة ومتعاقبة. كما أوجد تصنيفاً سريعاً للمكتشفات الأثرية من أوانٍ فخارية وأدوات معدنية وحلي وأختام وتعاويز وحاول تأريخها من خلال تصنيفها إلى مجموعات ومقارنتها بمكتشفات مصرية.

اتسمت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بإنشاء عدد آخر من الجمعيات والمدارس التي تعنى بالتوراة والآثار الفلسطينية في آن واحد، فتأسست في عام ١٨٩٢ «المدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية» (L'Ecole Pratique d'Etudes Bibliques)، ومركزها القدس، وما زالت تصدر مجلة دورية (Revue Biblique)، كما أنشأ الألمان جمعيتين، واحدة تعنى بالأبحاث الفلسطينية (Deutsches Verein zur Erforschung Palästinas) وبالاتفاق معها أنشأت الكنيسة البروتستانتية عام ١٩٠٢ المعهد البروتستانتي الألماني للدراسات التاريخية في الأرض المقدسة في مدينة القدس (Deutsches Evangelisches Institut für Palästina-Forschung). وصدور عنها منذ البداية حولية تعرف باسم (Zeitschrift des deutschen Palästina-Vereins). أما الجمعية الثانية فهي الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية التي تأسست برعاية القيصر الألماني وأخذت تنظم بعثات تنقيب لمختلف المناطق الشرقية ومنها فلسطين. ففي الفترة ما بين ١٩٠١ - ١٩٠٤ أوكلت هذه الجمعية مهمة التنقيب في عدد من المواقع الأثرية إلى الباحث التوراتي ارنست سيلين (Ernst Sellin).

طويلاً وحل محلها عام ١٩٠٠ «المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية» في القدس، فقد تركز النشاط الأثري في فلسطين من خلال الجمعيات الأنفة الذكر التي أخذت من التوراة حافزاً ومنطلقاً رئيسياً لأعمالها الميدانية، وما يترتب على هذه الأعمال من نتائج أصبح مقروناً بما ورد ذكره في الكتاب المقدس، وغدت حلقة التسلسل الزمني ترتكز على المعطيات والحوادث التوراتية، حتى إن المصطلحات للفتحات الزمنية أصبحت في الغالب مستمدة من التراث. وحاول أصحاب هذه المدارس الربط بين المواقع الأثرية وتلك التي ورد ذكرها في التوراة، وكثيراً ما عرّفوا هذه المواقع بأسماء توراتية دون وجود دليل واضح على تبرير هذه التسميات، وما يترتب عليها من تفسيرات. فعرفوا على سبيل المثال تل السلطان على أنه أريحا التوراتية (Jericho)، وتل المتسلم على أنه مجدو (Megiddo)، وتل أبو شوشة بالقرب من تل الجزر على أنه جيزر (Gezer) وتل سيلون بأنه شيلو (Shiloh)، وتل الدوير بأنه لخيش (Lachish)، وتل القدح بأنه حانصور (Hazor)، والتل بأنه عي (Ai)، وبيتين بأنها (Bethel). وقد نشأ عن هذا الأسلوب في البحث الكثير من التشويش والمغالطات التي لا يسهل التخلص منها حتى الآن. وركز الباحثون في أعمالهم الميدانية ودراساتهم على الفترات الزمنية التي اعتقدوا بأن لها علاقة بالتوراة، ولم يولوا اهتمامهم للفترات السابقة واللاحقة حتى أصبحت حلقة التسلسل التاريخي لعنصر في كثير من الأحيان يقتصر على (إسرائيلي ١، إسرائيلي ٢، وإسرائيلي ٣) وهكذا.

لقد كانت جمعية (أو صندوق) استكشاف فلسطين أكثر هذه الجمعيات في الميدان. ويبدو أن لهذه الجمعية أهدافاً أخرى بالإضافة إلى العامل التوراتي، إذ أخذت توفد مهندسين من الضباط العسكريين للقيام بأعمال المسح والتنقيب في فلسطين. مع أن المهام الملقاة على هؤلاء لم تكن ذات غايات علمية خالصة ولو بدت كذلك في بعض الأحيان، إلا أن المعلومات التي دونوها تخدم الأثريين والعسكريين في آن واحد. من هؤلاء الضباط تشارلز وارن (Charles Warren) الذي بدأ عمله في القدس عام ١٨٦٧ وكانه يقوم بحفر خنادق عسكرية^(١٢) واستخدم مثل هذا الأسلوب أثناء الحفريات التي أجراها في تل السلطان (أريحا القديمة).

وفي عام ١٨٦٨ قامت مجموعة من سلاح الهندسة الملكية بإشراف ولسون (Wilson) بإعداد مخطط لمدينة القدس بمقياس انش للميل الواحد. وفي الفترة ما بين ١٨٧١ - ١٨٧٧ أشرف كل من الضابطان كوندرا (C.R. Conder) وكتشنر

«الإسرائيليين»، وأخرى من الألفين الثالث والثاني ق. م أطلق عليها مصطلح «يهودي» و«يهودي متأخر».

مع أن بعثة جامعة هارفرد في سبسطية (١٩٠٨-١٩١٠) بإشراف رايزنر (G.A. Reisner) المختص بالآثار المصرية بالاشتراك مع فيشر (C.S. Fisher) لم تستطع التخلص من مصطلحات الجدول الزمني التوراتي، فإن عملها تميز بأمرين رئيسيين جديدين في حقل الآثار الفلسطينية هما: أولاً أن الحملات التنقيبية لا بد وأن تضم تخصصات مختلفة تناسب وحجم الموقع وطبيعته، وثانياً أن الأساس في التنقيب هو تمييز التغيرات والعالم المعمارية وتوثيقها مع رسمها وتصويرها بشكل دقيق وإعدادها للنشر^(١٤).

كانت مدينة القدس باستمرار محط أنظار الدارسين التوراتيين والطامعين في الكنوز الأثرية إلا أن كثرة المباني التاريخية في المدينة وخيبة الأمل التي أصابت الكثيرين منذ أن عمل فيها الكاتبان الإنكليزي وارن عام ١٨٦٧، بسبب صعوبة ربط آثارها بالحوادث التوراتية، أدتا إلى فترة انقطاع عن التنقيب فيها. ويظهر أن السلطات العثمانية كانت حذرة في منح تصاريح للكشف عن المعالم المدفونة في المدينة حتى عام ١٩٠٩. في هذه السنة تمكن الكاتبان الإنكليزي باركر (Parker) من الحصول على تصريح للعمل جنوبي منطقة الحرم الشريف، إلا أنه خدع المسؤولين الأتراك وأخذ ينقب ليلاً في منطقة الحرم نفسه إلى أن اكتشفت السلطات أمره وتمكن من الهرب قبل صدور الحكم عليه^(١٥).

في هذه الأثناء كانت «المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية» قد تأسست في القدس من قبل عدد من الجامعات ومعاهد اللاهوت الأمريكية وعمل تشارلز توري (Charles C. Torrey) أول مدير لها عام ١٩٠٠. ولم تزاوِل هذه المدرسة نشاطها الميداني إلا بعد الحرب العالمية الأولى.

● فترة ما بين الحربين العالميتين ودور الصهاينة في التنقيب عن الآثار الفلسطينية: لم تكن الفترة التي تلت عام ١٩٠٠ ومنها سنوات الحرب العالمية الأولى حافلة بالنشاط الأثري في فلسطين. أدت هذه الحرب إلى تراجع الامبراطورية العثمانية ووقوع فلسطين تحت السيطرة البريطانية التي أصبحت تقرر السياسة الثقافية في المنطقة ومنها النشاطات الأثرية فيها. وفي عام ١٩٢٠ أنشأ المندوب السامي البريطاني هيربرت صموئيل (Herbert Samuel) دائرة للآثار الفلسطينية بإدارة جون غارستانغ (John Garstang) من جامعة ليفربول الذي اكتسب خبرة في التنقيب قبل ذلك في مصر والحيشة وشمالي سوريا. رحب العاملون في الآثار من

الذي أشرف على التنقيب بمفرده أو بالاشتراك مع شوماخر (Schumacher) في تل تهنك وتل المسلم، وكلاهما في مرج ابن عامر. ورغم العثور على عدد من المكتشفات الهامة في الموقعين فإن منهج العمل الذي اتبع في التنقيب عنهما لم يكن ليعتمد على أسس علمية. أما الحفريات التي أجراها سيلين في أريحا بمساعدة المهندس الألماني كارل فاتسنغر (Carl Watzinger) في الفترة ما بين ١٩٠٧ - ١٩٠٩ فتعتبر نقطة تحول في تاريخ البحث والتنقيب عن الآثار الفلسطينية، وقد ظهرت نتائج التنقيب التي نشرت عام ١٩١٣ في مجلد خاص متضمناً وثائق بالصور والرسومات والمخططات وتفسيرات تفوق غالبية ما يعاصرها من أعمال ميدانية ودراسات^(١٦).

في الوقت الذي كانت تجري فيه التنقيبات الألمانية قام ستيفورات مكليستر (Stewart Macalister) بحفرياته في تل أبوشوشة بإشراف فردي وبدعم من صندوق استكشاف فلسطين. وكانت طريقة مكليستر في التنقيب أشبه بعمل المقاولين، ففي ثماني سنوات (١٩٠٢ - ١٩٠٩) كشف عن أكثر من نصف الموقع حتى الصخر الطبيعي فضلاً عن ٢٥ مدفناً مستخدماً بذلك عدداً كبيراً من العمال المحليين. ونستنتج من المطبوعات الرئيسية الثلاث (Gezer I, II, III) أن عملية التوثيق لم تكن مضبوطة. وقد أغفل طبقات رئيسية في الموقع، كما استعان برسومات وصور كثيرة لا تمت في كثير من الأحيان إلى الطبقات التي وجدت فيها. كما استعمل المنقب مصطلحات غير مبررة مثل «ما قبل الساميين» و«الساميين» عند تصنيفه للمكتشفات، وقسم اللقى التي نسبها للساميين إلى «سامي أول» و«سامي ثان» و«سامي ثالث» و«سامي رابع» (Semitic I-IV). والجدير بالذكر أن الجدول الزمني الذي اتبعه مكليستر وبليس (F.J. Bliss) في حفريتهما في جنوبي فلسطين، وهي تل صندحتة، وتل الصافي، وتل زكريا، وتل جديدة، حتى عام ١٩٠٢ مبني على المعطيات التوراتية، وليس له علاقة بالشواهد الأثرية في هذه المواقع، ويظهر على النحو التالي:

عصر ما قبل الإسرائيليين المبكر: حتى ١٥٠٠ ق. م.

عصر ما قبل الإسرائيليين المتأخر: ١٥٠٠ - ٨٠٠ ق. م.

المرحلة اليهودية: ٨٠٠ - ٣٠٠ ق. م.

المرحلة السلوقية: ابتداء من ٣٠٠ ق. م.

استعمل الألمانيان سيلين وفاتسنغر خاصة في حفريات تل السلطان مصطلحات مماثلة أساسها التوراة: كنعاني، وإسرائيلي، ويهودي، ويهودي متأخر. اختلط الأمر على هؤلاء جميعاً حتى أن بعض مكتشفات الألف الثالث ق. م نسبت إلى

البلدان الغربية باحتلال الإنكليز لفلسطين ووجدوا في السلطة الجديدة جواً يساعدهم على تحقيق أهدافهم.

كان الإنكليز قبل ذلك قد قطعوا للحركة الصهيونية وعد بلفور عام ١٩١٧ واستغل الصهاينة هذه الفرصة، وأخذوا يرسلون أعضاء من الحركة ومن يتعاطف معها إلى فلسطين لتوجيه المفهوم التاريخي بما يتفق وأهدافها التي منها تأسيس دولة من اليهود دون غيرهم، كما اتخذت الحركة الصهيونية من بعض الحقول العلمية وخاصة الآثار، واجهة تستر من ورائها. كما أرادت من الآثار تبرير ما اسماء الصهاينة بالحق التاريخي المزعوم لليهود في فلسطين.

لم تكن الأهداف الصهيونية لتعارض مع الدراسات التوراتية بأسلوبها التقليدي، وعلى العكس من ذلك فقد وجد الصهاينة الموفدون ترحيباً حاراً من قبل دارسي التوراة من أمثال وليم أولبرايت (William Albright) الذي كان يرأس المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس من عام ١٩١٩ حتى ١٩٣٦، لقد رأى أولبرايت لزماً عليه توجيه المهتمين بالآثار من الصهاينة وأخذ يوزع عليهم واجبات محددة، الأمر الذي لا يخفيه أولبرايت نفسه^(١٦). ولا غربة في أن يصدر الصهاينة فيما بعد مجلداً خاصاً تخليداً للذكرى وليم أولبرايت يتضمن تقديماً: «لن يجد اليهود والإسرائيليون صديقاً مثل ما وجدوه في وليم أولبرايت». يضاف إلى ذلك أن المجال أصبح مهماً للنشاط الصهيوني بعد الاحتلال البريطاني بما ينسجم ووعد بلفور.

من أبرز الأثرين الصهاينة الذين قدموا إلى فلسطين بعيد الاحتلال البريطاني جوزيف كلاوزنر (Joseph Klausner) واليعازر بن يهودا (Eliezer Ben Yahuda) من أصل بولندي الذي قطع دراسته للطب وذهب إلى فلسطين وأصدر فيها جريدة باللغة العبرية لعدة سنوات فضلاً عن اهتماماته الأثرية. وأول حفريات يهودية أجراها ناحوم سلوش (Nahum Slouch) في موقع إلى الجنوب من طبرية اعتقد أنه يحتوي على كنيس يهودي. كان الصهاينة السابق ذكرهم يفتقرون إلى أي تدريب على الآثار والتنقيب عنها، وإنما اقتصر توظيفهم على جلب الاهتمام لما أسموه بالآثار اليهودية دون غيرها. كما أرسلت الحركة الصهيونية أليعازر ليا سوكنيك (Eliezer Lipa Sukenik) لدراسة الآثار الكلاسيكية في برلين الذي جاء إلى فلسطين عام ١٩٢٢ وبدأ عمله الميداني بحفر عدد من المدافن بالقرب من القدس والتحق ببعض الدورات والمساقات الأثرية في المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية، ومن ثم

أصبح محاضراً في الجامعة العبرية، فاستأذناً، إلى أن أصبح رئيساً لدائرة الآثار اليهودية في الجامعة نفسها. وقد دفع سوكنيك ابنه الذي غير اسمه إلى ييغائيل يادين (Y. Yadin) لدراسة الآثار، وكان ييغائيل هذا أول رئيس لهيئة أركان الجيش الإسرائيلي، إلى أن أصبح أستاذاً للآثار في الجامعة العبرية، وأشرف على عدد كبير من التنقيبات الأثرية، وكان أعلى منصب شغله نائباً لرئيس الوزراء الإسرائيلي. وبعد ذلك جاء بنجامين مازار (Benjamin Mazar) الذي لجأ إلى فلسطين عام ١٩٢٨ بعد أن حصل على الدكتوراه في التاريخ من جامعة جيسن (Giessen) الألمانية وشارك أولبرايت في حفريات تل بيت مرسيم. ويعتبره أولبرايت من الذين أسسوا ما أسماه بالآثار الإسرائيلية^(١٧). ومن هؤلاء أيضاً شموئيل ييفين (Shemuel Yeivin) الذي أصبح فيما بعد أول مدير لدائرة الآثار الإسرائيلية، ومؤسساً لمتحف الآثار الإسرائيلي بعد أن غدا متحف الآثار الفلسطيني في الجزء الشرقي من القدس. ومن الصهاينة البارزين من الجنسية الأمريكية نلسون غلوك (Nelson Glueck) الذي حصل على الدكتوراه من جامعة جينا (Jena) الألمانية. التحق غلوك عام ١٩٢٨ بحفريات أولبرايت في تل بيت مرسيم، وبدأ مسوحات واسعة النطاق منذ عام ١٩٣٢ في شرقي الأردن التي عرف من خلالها. تدرب غلوك على يد أولبرايت وأصبح يتجول في المناطق المختلفة حاملاً التوراة في يده محاولاً تفسير وتأريخ المواقع التي يتعرف عليها من خلال العهد القديم. كما قام بحفريات في خربة التنور وتل الخليفة بالقرب من خليج العقبة. بعد تجزئة فلسطين عام ١٩٤٨ كشف غلوك عن هويته، وانتقل إلى الجنوب من فلسطين لإجراء دراسات سطحية في منطقة النقب^(١٨).

والجدير بالذكر أنه تأسس لدائرة الآثار الفلسطينية منذ إنشائها عام ١٩٢٠ مجلس ضم عدداً من الصهاينة وأنصارهم ومنهم وليم أولبرايت وجوزيف كلاوزنر وكان الأخير ممثلاً لمصالح اليهود، ولم يكن من بين أعضاء المجلس من يمثل المصالح العربية أوحى من يرعى شؤون الآثار العربية الإسلامية في فلسطين. وتأسس في الوقت نفسه تقريباً دائرة للآثار الأردنية بإدارة إنكليزية أيضاً.

زادت النشاطات الأثرية بعد الحرب العالمية الأولى بشكل ملحوظ، ومع أن علماء اللاهوت ظلوا يسيطرون على العمل الميداني في فلسطين، فإنه ظهرت بعض التيارات الناقدة أو المناهضة لأسلوب التوراتيين التقليديين في العمل، ولا يتسع المجال هنا لسرد جميع الأعمال والدراسات الميدانية أو تصنيفها،

لذا سنعرض أهم النشاطات، وأهميتها في تاريخ البحث الذي نحن بصدد.

كانت القدس محط أنظار النقبين، وكلما انتهت بعثة من التنقيب فيها زاولت بعثة أخرى، حتى الحرب العالمية الثانية. ففي عام ١٩٢٣ - ١٩٢٤ أشرف ثيل (R. Weill) على الحفر في الهضبة الجنوبية الشرقية من المدينة، وعمل في الوقت نفسه (١٩٢٣ - ١٩٢٥) في السفح الشرقي من الهضبة كل من ماكليستر ودانكن (J.G. Duncan). ونقب في السفح الغربي منها (١٩٢٧ - ١٩٢٨) كروفوت (J.W. Crowfoot) وفستجيرالد (G.M. Fitzgerald) بينما تركزت حفريات سوكنيك وماير (L.A. Mayer) في الفترة ما بين ١٩٢٥ - ١٩٢٧ ثم عام ١٩٤٠ في الجزء الشمالي خارج سور المدينة القديمة بحثاً عن الأسوار «التوراتية». أما هاملتون (R.W. Hamilton) فقد كشف عام ١٩٣٠ ثم ١٩٣٧ - ١٩٣٨ عن أجزاء من المنطقة الممتدة بمحاذاة السور الشمالي الحالي عند باب العمود وإلى الشرق منه. وأشرف جونز (C.N. Johns) على حفريات القلعة في الفترة ما بين ١٩٣٤ - ١٩٤٠. ويظهر أن أعمال التنقيب في القدس قد توقفت لمدة تزيد عن عشرين عاماً إلى أن واصلتها ١٩٦٢ - ١٩٦٧ كاثلين كنيون بالاشتراك مع رولاند ديفو (R. de Vaux) في الهضبة الجنوبية الشرقية فوق منطقة عين سلوان، وفي المرستان، وحي الأرمن، وباب العمود. ومنذ الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧ والحفريات تجري على قدم وساق وباستمرار في مناطق متعددة من المدينة للكشف عن المخلفات الأثرية التي يحاول الإسرائيليون ربطها بالتوراة، خاصة بعد أن عجزت بعثات التنقيب السابقة عن إظهار ما يطمعون فيه. ومن هذه الحفريات تلك التي قام بها مازار، وعميران (Ruth Amiran)، وإيتان (E. Eitan)، وكذلك أفيجاد (N. Avigad)، وأفي يونساح (M. Avi-Yonah)، ويأحات (D. Bahat)، وبروش (M. Broshi)، وغيرهم. ومع أن حفريات المحتلين شملت مناطق مختلفة فإن تركيزهم كان حول منطقة الحرم الشريف وهو ما استفز مشاعر المسلمين والعلماء والمؤسسات المعنية بالتراث الإنساني، خاصة وأن بعض هذه الحفريات غير المشروعة كانت تتطلب إزالة آثار عربية إسلامية وغيرها أو تهددها بالسقوط.

لقد كانت حفريات عسقلان (١٩٢٠ - ١٩٢١) أولى أعمال التنقيب البريطاني بعد الحرب العالمية الأولى التي أشرف عليها غارستانغ وفيثيان - آدمز (Phythian-Adams). كشفت هذه الحفريات عن مخلفات هامة من الألف الثاني وحتى العصور

العربية الإسلامية، وتميز الموقع بوجود مكتشفات فلسطينية (Philistine) من النصف الثاني للألف الثاني ق.م (١٩).

في عام ١٩٢٧ عاد فلندرز بيتري للعمل في فلسطين بعد غياب طويل وقام بالتنقيب في عدد من المواقع الجنوبية من فلسطين مثل تل العجول بالقرب من غزة وتل الفارة الجنوبي وتل الجمة. ولقد كان من بين محاولات بيتري إيجاد العلاقات المصرية بفلسطين عبر قرون طويلة (٢٠).

وانتهجت بعثة بريطانية أخرى لمواصلة أعمال التنقيب (١٩٢٩ - ١٩٣٦) في أريحا (تل السلطان) بإشراف غارستانغ (٢١). وكشفت هذه الحفريات معلومات جديدة وهامة بالنسبة للمراحل السكنية القديمة ابتداء من العصر الحجري الحديث، إلا أن غموضاً اكتنف تسلسل الطبقات في الموقع وخاصة بما يتعلق بالمراحل المتأخرة ابتداء من العصر البرونزي المتأخر وحتى أواخر العصر الحديدي. هذا وقد اتضحت أمور كثيرة من خلال الحفريات المنظمة التي أشرفت عليها كاثلين كنيون في سنوات ١٩٥٢ - ١٩٥٨.

وأجرت بعثة بريطانية أخرى حفريات (١٩٣٢ - ١٩٣٨) في موقع تل الدور في منتصف الطريق تقريباً بين غزة والقدس، بإشراف ستاركي (J.L. Starkey) الذي اغتيل عام ١٩٣٨ قبل الانتهاء من أعمال التنقيب، وقام بعد ذلك عدد من المشاركين بالعمل بنشر النتائج في أربعة مجلدات (Lachish I-IV). وبقي العمل الميداني بعيداً عن الموقع إلى أن تابعه (١٩٦٦ - ١٩٦٨) أهاروني (Y. Aharoni)، ومن بعده منذ عام ١٩٧٣ أوسشكين (D. Ussishkin).

وهناك بعثة بريطانية - أمريكية شاركت فيها الجامعة العبرية في موقع سبسطية (Samaria) إلى الشمال الغربي من نابلس لتواصل العمل الذي بدأنه جامعة هارفرد (١٩٠٨ - ١٩١٠). استمر عمل البعثة المشتركة بين ١٩٣١ - ١٩٣٣ و ١٩٣٥ بإشراف كروفوت بمساعدة كاثلين كنيون وسوكنيك كممثل عن الجامعة العبرية. وفي عام ١٩٦٨ واصل بازل هنسي (B. Hennessy) العمل في الموقع نيابة عن المدرسة البريطانية للآثار في القدس.

وجهت المؤسسات والجامعات الأمريكية اهتماماً أكبر بعد الحرب العالمية الأولى، وأصبحت تنظم بعثات لتعمل على نطاق أوسع كما هو الحال في المواقع التالية:

١ - حفريات جامعة بنسلفانيا في بيسان: تمثل هذه إحدى

الرئيسي عند أولبرايت كان محاولاته المستمرة تفسير الحوادث التوراتية والبرهنة على صحتها من خلال الآثار.

٤ - حفريات المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في تل النصبية: في الوقت الذي كانت تجري فيه حفريات تل بيت مرسيم استمرت حفريات تل النصبية شمالي القدس (١٩٢٦ - ١٩٣٥) بإشراف ماكون (C.C. McCown) الذي اتبع أسلوب أولبرايت التوراتي في التنقيب.

واصلت المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس أعمال التنقيب في عدد من المواقع الأثرية حيث اعتقد دارسو التوراة أن لها علاقة بالمواقع التوراتية. من هذه المواقع: خربة الطبيقة (Beth-Zur) على طريق القدس - الخليل حيث بدأ العمل عام ١٩٣١ بإشراف سلرز (O.R. Sallers) ووليم أولبرايت وواصل سلرز التنقيب في الموقع عام ١٩٥٧. كما بدأ أولبرايت التنقيب في بيتين سنة ١٩٣٤ وبعد ذلك أجرى كيلسو (J.L. Kelso) ثلاثة مواسم من التنقيب في سنوات ١٩٥٤، ١٩٥٧، ١٩٦٠. وفي الوقت الذي أجرى فيه نلسون غلوك مسحاته الأثرية لشرقي الأردن (١٩٣٣ - ١٩٤٦) أشرف على حفريات المعبد النبطي في خربة التنور بسواحي الحسا وعلى أخرى في تل الخليفة (Ezion-Geber) في الفترة ما بين ١٩٣٧ - ١٩٤٠. يسيطر على هذه الأعمال الميدانية أسلوب التوراتيين ومنهجهم خاصة المتعصبين منهم من أمثال وليم أولبرايت وتلامذته.

ويتبين من النشاطات الأثرية المذكورة أن غالبية الأعمال الميدانية قد أجريت من قبل بعثات بريطانية وأمريكية، إلا أن بعض هذه الأعمال أنجزتها بعثات تمثل جنسيات أخرى. من بين هذه البعثات بعثة المعهد التوراتي بروما (Pontifical Biblical Institute, Rome) في موقع تليلات الغسول في الزاوية الشمالية الشرقية من البحر الميت بإشراف مالون (A. Mallon) وكوبيل (R. Koepfel) ونوفيل (R. Neuville). واكتسبت الحفريات في تليلات الغسول (١٩٢٩ - ١٩٣٨) أهمية خاصة بسبب طبيعة المكتشفات التي تم العثور عليها، إذ تبين فيها بعد أنها تسبق حضارة العصر البرونزي القديم وقد أمكن تتبعها إلى العصر الحجري النحاسي وأصبحت مكتشفات معاصرة في كثير من الأحيان تنسب إلى حضارة الغسول. وفي عام ١٩٦٠ واصل المعهد التوراتي المذكور عمله لموسم واحد بإشراف الأب نورث (R. North). وعمل فيها بعد بازل هنسي لعدة مواسم (١٩٦٧ - ١٩٧٨) نيابة عن المدرسة البريطانية للآثار في القدس ومن ثم جامعة سدني الاسترالية.

حملات التنقيب الرئيسية في فلسطين التي تقوم بها جامعة أمريكية، وقد أشرف على إدارتها فيشر في السنين الأولى (١٩٢١ - ١٩٢٣)، وتعاقد عليها رو (A. Rowe) يساعده فيتسجيرالد في الفترة ما بين ١٩٢٥ - ١٩٢٨، وواصل فيتسجيرالد الإشراف عليها على نطاق أضيق في سنوات ١٩٣٠ - ١٩٣١ و ١٩٣٣. وكشفت الحفريات عن ثمان عشرة طبقة في التل الرئيسي فضلاً عن عدد من المدافن، تمثل هذه مراحل سكنية تمتد من العصر الحجري الحديث وحتى المرحلة الصليبية.

٢ - حفريات جامعة شيكاغو في تل المتسلم (مجدو): نظم هذه البعثة جيمس هنري برستيد (J.H. Breasted) من معهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة شيكاغو الأمريكية، وقامت على أسس مختلفة عن حملات التنقيب الأمريكية الأخرى. جاءت هذه البعثة من منطلقات تتفق ومفهوم برستيد المناهض للمفاهيم والأهداف التوراتية التي كانت سائدة في ذلك الوقت. لقد أكد القائمون على البعثة على ضرورة تتبع الطبقات في الموقع ودراسة كل طبقة بعد توثيق جميع التغيرات فيها. استمر عمل البعثة (١٩٢٥ - ١٩٣٩) بإشراف فيشر وغي (P.L.O. Guy) وتوقفت بسبب الحرب العالمية الثانية. وبالرغم من الكثير من الملاحظات فإن المطبوعات والتقارير الصادرة عن معهد الدراسات الشرقية منسجمة مع منهج وأسلوب متطورين في العمل الميداني في فلسطين. كما تدلنا هذه النتائج على طريقة أكثر موضوعية في توثيق المكتشفات ومعالجة جميع المراحل الزمنية التي نشرت عن الموقع، وحسبما أبرزتها الحفريات سواء بسواء، إلا أن هذه الطريقة الأمريكية اقتصرت على بعثة جامعة شيكاغو، ولم تتعدّها إلى البعثات من جامعات أمريكية أخرى.

٣ - حفريات المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في تل بيت مرسيم: يلتصق اسم وليم أولبرايت بحفريات تل بيت مرسيم إلى الجنوب الغربي من الخليل التي استمرت تحت إشرافه لأربعة مواسم بين سنوات ١٩٢٦ و ١٩٣٢. كان أولبرايت قبل ذلك قد تدرب على الحفر في آدر وباب الدراع بالقرب من الكرك، ورغم أنه كان واسع الاطلاع على اللغات القديمة وتصنيف الفخار، إلا أن منهجه في العمل وتفسيره للمكتشفات ومنطلقاته التوراتية قد تعرضت لنقد شديد. لم تتضمن تقاريره عن حفريات تل بيت مرسيم رسماً مقطوعياً يبين فيه تسلسل الطبقات في منطقة أو مربع معين، كما يبدو واضحاً أن أولبرايت يحاول تفسير الطبقات من خلال المعلومات والحوادث التوراتية، ولا يعتمد هذا التفسير بالضرورة على الشواهد والمتغيرات الأثرية نفسها. والخطأ

هذه الطريقة المتقدمة في البحث الأثري، وكان للأخيرة نشاط بارز في حقل الآثار الفلسطينية يتميز عن عاصرها في دقة الحفر، ورغم أن تطلعاتها في الآثار بقيت في إطار التفكير المثالي فإن تحذيرها من الوقوع في خطأ الربط بين الحفريات الأثرية والحوادث التوراتية له أهميته وتأثيره على عدد من تلامذة كنيون الذين ما زالوا يعملون في هذا المجال.

● بقاء المنهج التوراتي غالباً وإهمال الآثار العربية الإسلامية: بعد هذا الاستعراض السريع يتوجب القول ان الأسلوب التقليدي في البحث والتنقيب بقي مسيطراً، رغم دخول عناصر جديدة كان لها تأثيرها على تغيير بعض مفاهيم التطور الاجتماعي والتاريخي، مضافاً إليها وسائل التنقيب الحديثة وتراكم المكتشفات الأثرية التي أرغمت العديد من العاملين في الآثار الفلسطينية والشرقية القديمة على إلقاء ضوء جديد على حلقة التسلسل التاريخي، إذ أصبح غير ممكن التمسك بالتقسيمات الحضارية التي أرادها أصحاب المدرسة التوراتية، وأصبح هناك اهتمام نسبي بالعصور التي سبقت النصف الأول من الألف الثاني ق. م ابتداء من العصور الحجرية، إلا أن المؤسسات والجمعيات التقليدية ظلت تحتكر البحث والتنقيب إلى حد بعيد، وظلت تربى أجيالاً تسير على الطريقة القديمة وأصبحت المواقع التي عاصرت فترات ما قبل التاريخ وحتى العصور البرونزية تعاني الكثير من قبل هؤلاء، وكثيراً ما قاست هذه المخلفات الحضارية من تفسيرات خاطئة، إذ كثيراً ما أجريت محاولات للربط بينها وبين ما أسمى بالفترة التوراتية، خاصة بعد أن غدا حقل الآثار الفلسطيني مفتوحاً على مصراعيه أمام المنظمات الصهيونية، وأخذت تخطط بشكل منظم لخلق صورة تاريخية تتفق وأهدافها العدوانية والعنصرية، والتي أصبحت تعمل مع المؤسسات الغربية لتحقيق ما تريده. ولم تحظ المخلفات الحضارية العربية باهتمام يذكر أمام زحف هذه المنظمات التي لا شك في أنها كانت تهدف إلى خداع الرأي العام العالمي بضعف أسس الحضارة العربية في فلسطين أو حتى عدم وجودها، فكثيراً ما أخفيت مخلفاتها في تقارير المنقبين أو أنها ذكرت على هامش هذه التقارير. ولسوء حظ هذه الحضارة أنه لم توجد طوال هذه الحقبة الطويلة مؤسسة عربية واحدة ترعى شؤون الآثار العزبية في فلسطين، حتى إن السجلات والتقارير تكاد تخلو من أسماء عربية تهتم بهذا الأمر. ورغم أننا لسنا من أنصار ممارسة تاريخ الأجداد فإنه، للموضوعية، يتوجب القول ان جو البحث الأثري كان قاسياً جداً على الحضارة العربية ومهيئاً، بل مركزاً لخدمة غايات دينية وعسكرية أولاً، ومن ثم أهداف سياسية صهيونية استعمارية تم التخطيط لها بحكمة وعلى نطاق واسع.

في عام ١٩٣٢ عادت بعثة ألمانية لمواصلة العمل في تل بلاطة (Shechem) بإشراف سيلين وشتيكاوي (H. Steckaweh) وفلتر (G. Welter)، ولم يسفر عمل هذه البعثة عن نتائج هامة بسبب خلاف حاد بين المشرفين عليها. وبقيت أمور كثيرة غامضة في الموقع إلى أن قامت بعثة أمريكية بتنظيم بعثة (١٩٥٦ - ١٩٦٩) على نطاق واسع بإشراف أرنست رايت (G.E. Wright) ومن ثم (١٩٧٢ - ١٩٧٣) بإشراف وليم ديفر (W.G. Dever).

مع أن الفرنسيين كانوا قد ركزوا نشاطهم الأثري في شمالي سوريا خلال فترة ما بين الحربين فإنهم نظموا حملة للكشف عن آثار التل بالقرب من دير دبوان بإشراف السيدة جودث ماركوت - كراوزه (Judith Marquet - Krauze) إلا أن العمل توقف بعد ثلاثة مواسم (١٩٣٣ - ١٩٣٥) بسبب وفاة المشرفة. وبعد ذلك بفترة طويلة (١٩٦٤) تم تنظيم بعثة أمريكية - بريطانية بإشراف جوزيف كاللاوي (J. Callaway) الذي جاءت نتائج أعماله متقاربة مع تلك التي حصلت عليها ماركوت - كراوزه من حيث تمييز الطبقات الرئيسية وتتابعها في الموقع.

● مفاهيم جديدة في البحث والتنقيب عن الآثار: ظهر من بين أصحاب المدرسة التوراتية تيار ناقد يمثل في علماء التوراة الألمان من أمثال البرشت آلت (Albrecht Alt) ومارتن نوث الذين حذروا من الربط بين الآثار والتوراة بأي ثمن وأن الموضوع أكثر تعقيداً مما تصوره التوراتيون الأمريكيون وخاصة أولئك الممثلون في وليم أولبرايت وأتباعه^(٢٢)، واتبع مثل هذا المنهج الأب الفرنسي رولاند ديفو الذي صرح بأنه «لا يمكن فهم الآثار للبرهنة على صحة التوراة، وان لكل من الآثار والتوراة منهجاً مختلفاً في البحث عن الآخر»^(٢٣). ومع أن هانك فرانكن الهولندي جاء من خلفية دينية توراتية فإنه غدا من كبار نقاد الأثرين التوراتيين، وأعلن بأنه لا يجوز المزج بين الآثار وأعمال التنقيب من جهة، والتفسير التوراتي من جهة أخرى^(٢٤).

وفضلاً عن بعثة جامعة شيكاغو في تل المتسلم التي ورد ذكرها، هنالك ظاهرة جديدة لدى الأثرين الإنكليز برزت منذ أن تم تأسيس معهد الآثار التابع لجامعة لندن والذي كان يرئسه غوردن تشايلد (Gordon Childe) الذي رفض مثل هذا الأسلوب التقليدي في البحث، وأكد على أهمية البحث عن الآثار على أساس المادة التاريخية كمنطلق للتطور الحضاري، وضرورة تكريس جميع الوسائل العلمية للكشف عن الآثار ومعالجتها من خلال وظيفتها وإطارها العام المرتبط بطبيعة المجتمع الذي وجدت فيه. وقد أثر غوردن تشايلد على عدد من تلاميذه مثل كاثلين كنيون لاتباع مثل

● النشاط الأثري بعد الاحتلال الصهيوني عام ١٩٤٨: وما إن جاءت سنة ١٩٤٨ بانسحاب قوات الانتداب البريطاني عن المنطقة التي خلقت فيها (إسرائيل) ضمن الحدود التي سبقت عدوان ١٩٦٧ حتى أنشئت دائرة الآثار الإسرائيلية، ومعها الكثير من المعاهد الجامعية والجمعيات التاريخية والأثرية التي أخذت على عاتقها القيام بالنشاط الأثري والتاريخي بشكل أوسع ضمن الإطار الثقافي للنظام الاستيطاني العنصري الجديد الذي أصبح بمقدوره انتقاء المعاهد والمؤسسات الغربية التي تسير موازية لهذا التيار، وأخذت تفرض على البعثات الأثرية التي نستغني الآن عن تعدادها أسلوب التنقيب والتناجح المترتبة عليه.

ومما يلفت النظر أن جميع المواقع الأثرية في فلسطين أخذت تحمل أساء عبرية لإبعاد الصبغة العربية عنها لترتبط بالتاريخ الإسرائيلي، وأصبح كل موقع تقريباً يمثل بطولاتٍ وأمجاداً أو محنة لليهود من أجل تقوية الروح العنصرية وجلب المزيد من المهاجرين من ناحية، ومحاولة كسب عواطف الرأي العام الغربي من ناحية أخرى. فلا عجب إذا قيل بأن الآثار كما تفهمها الصهيونية مدرجة في (إسرائيل) ضمن مادة ما يسمى بالتربية الوطنية.

إن نظرة سريعة على تقارير الحفريات والمكتشفات الإسرائيلية، وكذلك المطبوعات الأثرية العامة تسترعي الانتباه بأن نتائج الحفريات التي أجريت في المواقع القديمة تظهر تحت مقالات وملاحظات قصيرة، خاصة إذا ما قورنت بالمواقع المصنفة تحت اسم «توراتي» والتي يجري نشرها بشكل مبالغ فيه وبلغات متعددة. وبصورة أوضح، فإن الغالبية العظمى من هذه المطبوعات التي تضاهي بجودة طباعتها، وصورها، وأسلوب نشرها، المطبوعات الغربية، تظهر وكأنها تربط تاريخ أجداد اليهود بأهداف الحركة الصهيونية والكيان الإسرائيلي. وغدا أسلوب البحث الأثري يتضمن بوضوح النيات العدوانية لـ (إسرائيل)، وتبرير سياسة التوسع الصهيوني بحجة إنقاذ الآثار اليهودية التي لا يستطيع أحد تحديد المنطقة التي توجد فيها.

بهذا النهج المتطرف في الآثار وخلطها بالسياسة الصهيونية والحياة اليومية في (إسرائيل)، يستحيل على الإنسان أن يطلع على تقرير أثري دون أن يكون منسوجاً بالدعاية والفلسفة الصهيونية التي تقف سداً أمام الناشئين من الأثريين العاملين لدى (إسرائيل) الذين يرفضون المفهوم الصهيوني في كتابة التاريخ.

ومن الناحية الأخرى لم يكن بين العرب إلا قلة قليلة تهتم بالآثار الفلسطينية. وظلت دائرة الآثار في الجزء المتبقي من فلسطين، الذي ضُمن إلى شرقي الأردن بعيد تأسيس الكيان

الصهيوني في أيدي الإنكليز الذين استمروا في مقاومة الثقافة الوطنية ولم يكن حتى نهاية الخمسينات من الفلسطينيين والأردنيين إلا بضعة أشخاص يستطيعون ممارسة البحث والتنقيب الأثري. وفي ظل إدارة الآثار الإنكليزية ظل الأثريون الغربيون التقليديون، وخاصة التوراتيون منهم، هم الذين يقومون بأعمال التنقيب والبحث حتى في الجزء غير المحتل من فلسطين وكثيراً ما كانت تقاريرهم ونتائج حفرياتهم مغرضة ومعادية للعرب.

● إعداد الكوادر ومرافق البحث الأثري في الأردن: بقيت دائرة الآثار الأردنية التي تأسست عام ١٩٢٣ تدار من قبل الإنكليز وعلى رأسها لانكستر هاردنغ (Lankaster Harding) حتى عام ١٩٥٦. ولم يكن في خطة هذه الدائرة إعداد كفاءات وطنية متخصصة في الآثار، وكانت نشاطاتها حكراً على الأجانب، وفي عام ١٩٥٦ تولى سعيد الدرة إدارة الآثار كأول مدير عربي لها يساعده الدكتور عوني الدجاني الذي تسلم إدارتها لعشر سنوات منذ عام ١٩٥٨. لقد أدرك عوني الدجاني ومساعدته محمود العابدي ضرورة تدريب كفاءات عربية وساهما في إفاد عدد من الشبان المهتمين بالآثار في بعثات دراسية إلى معاهد متخصصة في أوروبا وأمريكا الشمالية. وعاد هؤلاء للعمل في دائرة الآثار أو في قسم الآثار في الجامعة الأردنية وقاموا بعدد من الأبحاث والدراسات الميدانية. وبعد وفاة عوني الدجاني عام ١٩٦٨ أصبح عدنان الحديدي عام ١٩٧٧ أول مدير عام للآثار متخصص في هذا الحقل بعد أن تولى هذه الإدارة عدد من غير المتخصصين. وانضم إلى دائرة الآثار عدد من المتخصصين الناشئين.

أنشئ منذ تأسيس الجامعة الأردنية عام ١٩٦٢ قسم للتاريخ والآثار ومن ثم أصبح قسم الآثار مستقلاً التحق به مجموعة من ذوي الاختصاص. وتأسس في عام ١٩٨٤ معهد للآثار والأنثروبولوجيا في جامعة اليرموك للبحث والتدريس في مجالات التراث المختلفة ومنها الآثار والأنثروبولوجيا والنقوش. ويقوم هذا المعهد من خلال أقسامه المختلفة بأبحاث ودراسات ميدانية إما بشكل مستقل أو بالتعاون مع مؤسسات عربية وأجنبية. لقد أصبح بمقدور هذه المؤسسات الوطنية القيام بأعمال التنقيب والدراسات، وغدا المجال مفتوحاً أمام المهتمين من الطلبة لدراسة الآثار في كل من جامعتي عمان وإربد. كما تم تأسيس قسم للآثار في جامعة بير زيت.

وتجدر الإشارة هنا بأنه تم افتتاح مركز للآثار الفلسطينية عام ١٩٨٢ في دمشق. وبدأ هذا المركز عدداً من النشاطات ومنها إنشاء مكتبة متخصصة، وإصدار المطبوعات، والنشرات المتعلقة

بالآثار الفلسطينية، وكذلك استضافة الندوات والمحاضرات. وكانت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قد عقدت عام ١٩٨٠ الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية في حلب بالاشتراك مع منظمة التحرير الفلسطينية وجامعة حلب. كما أعدت دائرة الآثار الأردنية ثلاثة مؤتمرات لآثار الأردن وتاريخه، عقد الأول عام ١٩٨٠ في اكسفورد، وتناول موضوعات مختلفة منذ أقدم العصور حتى العهد العثماني، بينما عقد الثاني عام ١٩٨٣ في عمان وله موضوع محدد في الآثار والبيئة، والثالث في عام ١٩٨٦ في مدينة نوبنغن بألمانيا الاتحادية، وكان موضوعه الصلات والعلاقات ما بين الأردن والأقطار المجاورة عبر العصور. بعد الاحتلال الصهيوني للضفة الغربية والأراضي العربية الأخرى قامت بعض مراكز

الآثار الأجنبية المقيمة في القدس بفتح فروع لها في عمان مثل: المركز الأمريكي للأبحاث الشرقية، وأصبح الفرع الرئيسي في القدس يحمل اسم «معهد أولبرايت» بدلاً من المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية، وكذلك المدرسة البريطانية للآثار والمعهد الألماني البروتستانتي للأراضي المقدسة. كما فتحت مراكز أو معاهد صغيرة تتبع كلاً من فرنسا وإيطاليا وبلجيكا. والغرض الرئيسي لهذه المراكز تسهيل الدراسات والأعمال الميدانية الأثرية التي تقوم بها هذه البلدان. ومع أن المؤسسات الوطنية أصبحت تقوم بأعمال ميدانية ودراسات أخرى تتعلق بالنقوش والفن القديم، إلا أن نشاط المراكز الأجنبية والمؤسسات أو الجامعات التي تدعمها بقي غالباً.

مقدمة ثالثة

في جغرافية فلسطين التاريخية

وادي الأردن الممتدة على ضفتي نهر الأردن شرقاً وغرباً وهي جزء من حفرة الانهدام السورية الممتدة من سهل العمق شمالاً عبر وادي الأردن والبحر الميت ووادي عربة وتستمر داخل البحر الأحمر. ويطل على هذا الوادي من الناحية الشرقية سلسلة جبال تمتد من جبل الدروز في الشمال يتبعه سلسلة جبال عجلون فجبال البلقاء وجبال الشراة. وتقع إلى الشرق من هذه السلسلة منطقة الصحراء.

١ - الساحل والسهل الساحلي الفلسطيني:

ويختلف عرض السهل الساحلي الفلسطيني من منطقة لأخرى، ففي حين يبلغ في المنطقة التي تطل منها جبال الكرمل على البحر الأبيض المتوسط حوالي ٢٠٠م يتسع عند غزة وعسقلان ليتراوح ما بين ٣٠ - ٥٠ كم. ومع أن هذه المنطقة تتصف بالانجرافات الرملية والمستنقعات في بعض المناطق فإنها تعتبر مصدراً رئيساً لإنتاج الحبوب في البلاد وهي من أكثر المناطق كثافة بالسكان في فلسطين وذلك بسبب خصوبة أرضها وتوفر المياه فيها ومرور الطرق التجارية بها، ويمكن تقسيمها إلى مناطق هي:

(أ) سهل عكا: يمتد من رأس الناقورة في الشمال إلى نهاية منطقة الكرمل في الجنوب. وتعتبر مدينة عكا من أهم الموانئ في هذه المنطقة إذ تقع في منتصف هذا السهل وكانت ولا تزال منذ أقدم العصور مأهولة بالسكان ولا يمكن أن ننسى الدور الذي كان لهذه المدينة أيام أحمد باشا الجزار. فالجزء الواقع شمالي عكا

كان لموقع فلسطين المتوسط ما بين القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا دور كبير في كتابة تاريخها، خاصة وأنها تعتبر المدخل الرئيسي لهذه القارات كما أنها حلقة الوصل ما بينها بشكل عام وما بين مصر القديمة والمناطق الآسيوية الأخرى بشكل خاص. لذلك نرى أنها كانت وما تزال موضع تأثير وتأثير إذاها كانت تتصل بالبلدان الأجنبية عن طريق التجارة حيناً والحروب أحياناً أخرى. كذلك يستطيع الباحث أن يستنبط أن تاريخ هذه المنطقة كان مرتبطاً أحياناً كثيرة في الفترات القديمة بالقوى الكبرى (مصر وبلاد الرافدين) المحيطة بها. فعلى سبيل المثال كانت فلسطين خلال فترة العصر البرونزي الحديث (١٥٥٠ - ١٢٠٠ ق.م) خاضعة للنفوذ المصري كغيرها من المناطق الشامية، يؤيد هذا القول رسائل تل العمارنة في الفترة نفسها. وينبغي أن نذكر هنا أيضاً أن الصلات التجارية ما بين فلسطين ومنطقة الأناضول تعود إلى أقدم العصور، والدليل على ذلك أنه أثناء الحفريات الأثرية التي أجرتها كاثلين كنيون في مدينة أريحا (١٩٥٢ - ١٩٥٨م) في طبقات العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار عثر على عدد من الأدوات المصنوعة من حجر السجج (الأوبسديان) المستورد من هذه البلاد مقابل تصدير الملح والقار إليها^(٢٥).

يمكن للناظر لخارطة فلسطين أن يقسمها طويلاً إلى عدة أقسام جغرافية تبدأ بالساحل والسهل الساحلي الفلسطيني ومنطقة السفلة (بكسر السين)، ومن ثم سلسلة الجبال الداخلية، ثم منطقة

على عدد من القطع الأثرية المايسينية والقبرصية المستوردة. وكذلك موقع خربة هريج إلى الجنوب من حيفا والذي كان ميناء مهماً خلال فترات العصور الحديديّة. ومن الأنهار الدائمة الجريان في سهل عكا نهر النعامين الذي يصب بالقرب منها في البحر المتوسط.

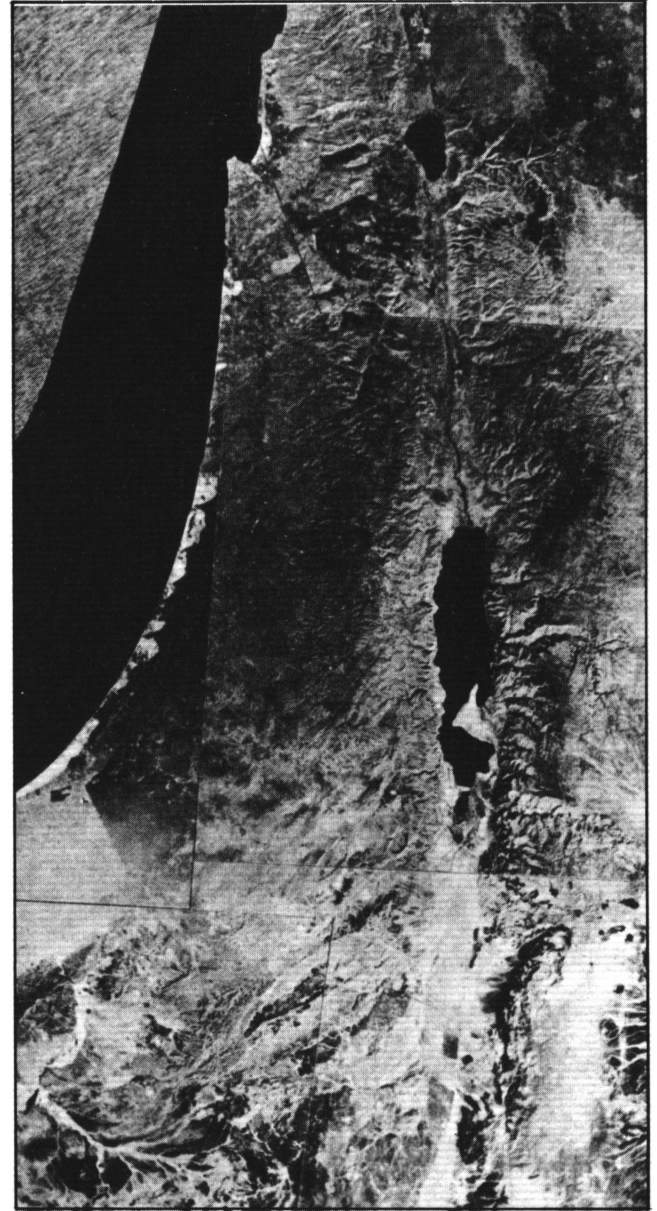
(ب) سهل مرج ابن عامر: يشكل مرج ابن عامر الممر الرئيسي الذي يقطع جبال فلسطين باتجاه غرب - شرق ليربط بين وادي الأردن وجبل الكرمل المتاخم للساحل عند حيفا، ويصل بينه وبين سهل عكا نهر المقطع ويطل عليه عدد من القلاع والمواقع الاستراتيجية من الناحيتين الشمالية والجنوبية. كما يعتبر مرج ابن عامر من أكثر المناطق الجغرافية خصوبة في فلسطين ويقع فيه عدد من المواقع التاريخية والأثرية الهامة التي لقيت اهتمام الباحثين والمنقبين، ومن أشهرها تل المتسلم (مجدو) وتل تنك وجنين والعفولة وبيسان. وقد دارت فيه معارك كثيرة ورد ذكرها في السجلات المصرية القديمة وخاصة في قوائم الملوك والقوائم الطبوغرافية من أيام الفراعنة المصريين منذ منتصف الألف الثاني ق. م وخاصة أيام الفرعون المشهور تحتمس الثالث.

وقام في مرج ابن عامر عدد من الممالك أو دويلات المدن خاصة في مرحلة تل العمارنة منذ القرن الرابع عشر ق. م في المواقع الرئيسية المشار إليها سابقاً. وقد وجّه المصريون اهتماماً خاصاً إلى مرج ابن عامر لأنه يربط بين شمالي فلسطين وجنوبها وأقاموا أكثر من حامية مصرية في المدن الرئيسية وأبرزها تلك التي كشف النقاب عنها في بيسان. وكانت معركة مجدو (تل المتسلم حالياً) التي دارت رحاها بين مملكة المدينة والمهاجرين المصريين بقيادة تحتمس الثالث (حوالي ١٤٦٨ ق. م) معركة حاسمة أدت إلى خضوع الممالك الفلسطينية وبعض الممالك الشمالية للامبراطورية المصرية لعدة قرون، رغم أنه حدثت معارك مهمة بين هذه الممالك والحكام المصريين من أجل السيطرة على هذا الممر الرئيسي.

(ج) سهل سارونا: هو المنطقة الممتدة بين نهري الزرقاء شمالاً وروبين، جنوب يافا، جنوباً، وسارونا تعني المنطقة المكتظة بالغابات مع العلم بأن اليهود يعرفونه باسم سهل شارون^(٢٧). تكثر في هذه المنطقة أشجار البلوط، ويتوسط ما بين هذا السهل والساحل عدد من الهضاب التي تعيق جريان الأنهار والتي كانت سبباً في تكوين بعض المستنقعات. ونرى أن الاستيطان هنا قد تركّز في المنطقة الغربية منه وعلى جوانب بعض الجداول.

مناطق صخرية خالية من الرمال. ويتخلل هذا السهل وادي القرن^(٢٦). وازدهرت مدينة عكا خلال الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد.

ويمثل خليج حيفا الذي يتكون من سهول رملية الجزء السفلي لسهل عكا. وفي هذه المنطقة يقع عدد من المواقع القديمة من أهمها تل أبو حوام الذي يقع عند مصب نهر المقطع (Kishon). وقد أجرت بعثة فرنسية تنقيبات أثرية في هذا الموقع كشفت النقاب عن الدور المهم الذي كان لهذا الخليج خلال العصور البرونزية خاصة العصر البرونزي الحديث إذ تم العثور



صورة التقطت بواسطة الأقمار الصناعية توضح تضاريس فلسطين

المنطقة موقع جازر (تل أبو شوشة) الذي أجريت فيه حفريات منذ بداية هذا القرن، وقد تم ذكره مراراً في المصادر التاريخية المصرية خاصة رسائل تل العمارنة، وكذلك في التوراة. وهناك موقعا تل الرميثة (Beth-Shems) وتل الدوير اللذان ثبت أنها كانا من المواقع المهمة خلال فترات العصور البرونزية والحديدية. وفي منطقة وادي الصرار (Valley of Sorek) كشفت الحفريات الأثرية في موقع تليلات البطاشي عن مخلفات أثرية تعود إلى العصر الحجري الحديث الفخاري.

٢ - سلسلة الجبال الداخلية:

تعتبر سلسلة الجبال الداخلية امتداداً لسلسلة جبال لبنان وتنتهي هذه السلسلة بجبال الخليل وتكون بعدها مجموعة من التلال الصغيرة تصل حتى خليج العقبة مروراً بصحراء النقب. ويتراوح ارتفاعها في منطقة جنوبي الخليل ما بين ٦٠٠ - ٩٠٠ م. وتكون هذه السلسلة من جبال الجليل التي تقف عند سهل مرج ابن عامر ثم تبرز مرة أخرى مكونة جبال الكرمل. ثم تأتي جبال نابلس والقدس والخليل، وتتخلل الجبال مجموعة من الأودية والمرتات التي غالباً ما كانت تستعمل للطرق التجارية، فضلاً عن عدد كبير من الكهوف التي استعملها الإنسان للسكنى منذ العصور الحجرية القديمة.

وجبال الجليل شديدة الارتفاع ومناخها بارد. ويتنشر فوق هذه الجبال مجموعة من القرى الزراعية، كما تغطيها الأشجار الحرجية والمثمرة. ويمكن تقسيم جبال الجليل إلى قسمين: جبال الجليل الشمالية وجبال الجليل الجنوبية. أما الأولى فيتفاوت ارتفاعها من منطقة إلى أخرى وترتفع في الجنوب إلى حوالي ١,٠٠٠ م بينما نجد أنها تصل إلى حوالي ٥٠٠ - ٦٠٠ م فقط في الشمال. لذا نجد أن طبيعة الجبال في الجنوب وكثافة الغابات فيه قد كَوَّنَا عائقاً طبيعياً أمام الاستيطان البشري فيها. أما في الجزء الشمالي ونظراً لتوافر عدد من الينابيع فنجد أن الإنسان قد استوطن فيه خلال العصور المختلفة.

تتكون جبال الجليل الجنوبية من مجموعة من الجبال القليلة الارتفاع التي يتخللها عدد من الأودية، منها أربعة رئيسية هي من الشمال إلى الجنوب: وادي الشاغور ووادي سخنين ووادي سهل البطوف ووادي طرعان. ويمثل جبل طابور علامة مميزة لجبال الجليل الجنوبية. ويقع إلى الجنوب الشرقي من جبل طابور وعلى بعد منه منطقة أرض الحمة التي يتخللها درب الحوارنة وهو الطريق الذي يربط بين منطقة وادي الأردن وعكا. وهناك

ومن أهم المواقع الأثرية رأس العين (Aphék) ودور (Dor) ويافا (Joppa) وكان ميناء دور من أهم الموانئ أيام الامبراطورية المصرية الحديثة ثم أصبح تحت سيطرة إحدى قبائل شعوب البحر التي غزت المنطقة في نهاية القرن الثالث عشر ق. م هي قبيلة الجاكال (Tjeker/Tjeckle). أما ميناء يافا فقد تم ذكره في المصادر المصرية أيضاً كميناء مهم خلال فترة العصر البرونزي الحديث^(٢٨). كذلك أظهرت الاكتشافات الأثرية في النصف الثاني من هذا القرن أن هذه المنطقة كانت مأهولة بالسكان خلال فترة العصور الحجرية خاصة الحديثة، والعصر النحاسي. ومن أهم المواقع التي كشف النقاب عنها والعائدة إلى هذه الفترات منطقة وادي ربة ويازور والخضيرة وبني براك.

(د) الساحل الفلسطيني الجنوبي: أطلق اسم السهل الساحلي الفلسطيني على الجزء الجنوبي من الساحل الفلسطيني. والاسم مأخوذ من شعب البلست الذي استوطن هذه المنطقة في المراحل الأولى لقدمه^(٢٩). يتسع هذا السهل في الجنوب عنه في الشمال ويرتبط به عدد من الطرق التجارية التي جعلت منه منطقة مهمة ومأهولة بالسكان^(٣٠).

وتعتبر مدينة غزة من أهم المدن في هذه المنطقة. إذ كانت المدينة الكنعانية الرئيسية خلال السيطرة المصرية إبان الدولة الحديثة. ولكن بعد هذا استعصى عنها باسدود وعسقلان. ومن المواقع المهمة في هذه المنطقة أيضاً تل الصافي وخربة المقنع.

لقد لاحظ العلماء أن المخلفات الحضارية في منطقة الساحل الفلسطيني تختلف عنها في المناطق الأخرى من حيث النوعية والطراز، وكمثال على هذا نجد أن الناس الذين سكنوا هذه المنطقة خلال الألف الرابع قبل الميلاد دفنوا موتاهم داخل صناديق صليبية، على عكس سكان المناطق الشرقية الذين استعملوا القبور العادية أو الجرار للدفن. إن هذه الاختلافات دعت عدداً من العلماء للخروج بتفسيرات مختلفة عن المادة الحضارية لمنطقة الساحل والساحل الفلسطيني ومنها النظريات المتعلقة بالهجرات في مختلف العصور، مع العلم بأن هذه الاختلافات تعود إلى خاصية الساحل والسهل الساحلي من حيث التأثيرات ومن حيث القوميات الزراعية والتجارية.

(هـ) منطقة السفلة: تحتل هذه المنطقة المساحة الواقعة ما بين الجزء الجنوبي للسهل الساحلي ومنطقة جبال القدس والخليل. وهي مشهورة بزراعة أشجار الزيتون ومأهولة بالسكان منذ أقدم العصور. وكانت هذه المنطقة هي المنطقة الحدودية بين دولة يهوذا والفلسطين الأوائل، ومن أهم المواقع الأثرية في هذه

وتفصل منطقة جبلية شبه قاحلة ما بين البحر الميت وجبال القدس والخليل، كان قد لجأ إليها بعض المجموعات البشرية في العصور القديمة والكلاسيكية مثل لجوئهم إلى كهوف قمران وموقع عين جدي.

٣ - منطقة بئر السبع والنقب:

عند الخليل تبدأ سلسلة الجبال بالانخفاض مشكلة تلالاً صغيرة متباعدة من وادي الخليل شمالاً حتى وادي السبع جنوباً الذي يتجه غرباً حتى البحر الأبيض المتوسط، هذه التلال الصغيرة تقف عند بلدة الظاهرية التي تعتبر الحد الفاصل ما بين المنطقة الجبلية وصحراء النقب. واختلف اللغويون في تفسير كلمة النقب إذ اعتبرها البعض أنها تعني الجنوب بينما يفسرها أهاروني (Aharoni) المنطقة الجافة^(٣١). وإلى الجنوب من بئر السبع وقبل الوصول للمنطقة الصحراوية نجد أن هناك منطقة جبلية تمتد حوالي ٩٠ كم إلى الشرق والغرب، وتتوافر في هذه المنطقة إمكانية الاستقرار والزراعة التي تعتمد على مياه الأمطار والتي تختلف من سنة لأخرى. ويوجد في منطقة بئر السبع عدد من الينابيع التي أقيم بالقرب منها مواقع سكنية هامة في الألف الرابع ق.م ومن بينها مواقع بئر الصفدي وتل أبو مطر وخربة البيطار فضلاً عن مواقع أخرى أنشئت في الألف الثالث ق.م ومن أشهرها موقع عراد المحصن الذي وجد فيه كتابات على الفخار منذ أيام الملك المصري نعرمر (بداية الألف الثاني ق.م).

وبقيت هذه المنطقة تؤدي دوراً مهماً في الألفين الثاني والأول ق.م بدليل نشوء عدد من المدن الرئيسية حول واديي الشريعة والشلالة الممتدين باتجاه شرق غرب، ومن أهم هذه المواقع تل الشريعة وتل أبو هريرة وتل جمة وتل الفارعة الجنوبي (شاروهين) ومشاش. وقد أبدى المؤرخون والأثريون اهتماماً كبيراً بهذه المنطقة منذ مطلع هذا القرن إذ حاول فلنדרزبيتر (Flinders Petrie) من خلال تنقيباته الأثرية في عدد من المواقع الكشف عن الصلات السياسية والتجارية بين فلسطين ومصر عبر مختلف العصور.

من أهم الطرق المعروفة في صحراء النقب الطريق الرئيسية الممتدة من بيتين شمالي القدس إلى الخليل وبئر السبع ومن ثم تنحدر غرباً ليتفرع عنها طرق صغيرة منها الطريق الموصلة إلى سيناء وأخرى تنحرف باتجاه الجنوب والجنوب الشرقي إلى الجزيرة العربية مروراً بالعقبة.

أيضاً وادي البيرة القليل الجريان مما أدى إلى قلة المواقع الأثرية الموجودة فيه، علماً أن هناك موقع كوكب هوا وقلعة بلفوار (Belvoir) الصليبية.

وتضم جبال الخليل والكرمل مجموعة من الكهوف الصخرية التي لجأ إليها الإنسان الأول واتخذها مسكناً له منذ فترة العصور الحجرية القديمة، ولقد كشفت الحفريات الأثرية التي أجريت في كهوف الطابون والسخول والقفزة عن دلائل أثرية تعتبر من أهم المخلفات الحضارية التي تعود لمراحل ما قبل استقرار الإنسان.

وتمثل جبال نابلس موقعاً متوسطاً في سلسلة الجبال الداخلية والجزء الشمالي من هذه الجبال أقل ارتفاعاً من القسم الجنوبي فيها. ويمر بهذه المنطقة عدد من الطرق الرئيسية التي تربط بين شمالي فلسطين وجنوبها وكذلك منطقة الساحل بغور الأردن. وكشف النقب في هذه المنطقة عن عدد من المواقع التاريخية الهامة في الألفين الثاني والأول ق.م والتي من أبرزها: تل بلاطة (شكيم) وبسطة (السامرة) وتل الفارعة الشمالي (ترزا). فضلاً عن أن هذه المواقع قد سكنت في مراحل زمنية قديمة أي منذ العصر الحجري الحديث واستمرت حياة الاستقرار فيها حتى الوقت الحاضر. وقد ذكرت مدينة بلاطة في المصادر التاريخية المصرية ووصفت على أنها كانت مخيماً عسكرياً مصرياً خلال حملات المصريين على بلاد الشام، وهذا مما يؤكد أهمية موقعها الاستراتيجي.

وتشبه جبال القدس والخليل في طبيعتها جبال نابلس ونشأت فيها مراكز حضارية مهمة منذ عصور ما قبل التاريخ ومثال ذلك القدس والجث وتل النصبة وتل سيلون وبيتين وتل الدوير وتل أبو شوشة وتل بيت مرسيم وغيرها. ويتردد ذكر هذه المواقع في عدد من المصادر التاريخية القديمة. ويدل على ذلك المصادر المصرية والآشورية والتوراتية. ولهذه المنطقة أهميتها لموقعها المتوسط والاستراتيجي في فلسطين بأكملها، والجدير بالذكر أن غالبية المواقع المشار إليها وجدت محاطة بأسوار ومرافق دفاعية أخرى.

ويحيط بجبال القدس والخليل من جهتها الشرقية منحدرات عميقة يشرف عليها طريق يتجه شمال - جنوب وبني عليها عدد من المدن الرئيسية مثل القدس وبيت لحم والخليل. وهناك طريق آخر كان يربط ما بين جنوبي فلسطين وشرقي الأردن ماراً بمدن أبو شوشة والقدس وأريحا، وعلى هذا الطريق أنشئ عدد كبير من مواقع دويلات المدن في الألف الثاني قبل الميلاد مثل الجيب.

٤ - وادي الأردن:

وادي الأردن هو المنطقة الواقعة ما بين جبل الشيخ في الشمال والبحر الميت في الجنوب. والاسم «الأردن» نسبة إلى نهر الأردن الذي يجري عبر هذه المنطقة ويمتاز بكثرة تعاريج وسرعته انحدره مما جعله غير صالح للملاحة. ويمكن تقسيم وادي الأردن إلى ثلاث مناطق مختلفة هي:

(أ) منطقة الحولة: وهي المنطقة المحددة بجبل الشيخ شرقاً والليطاني شمالاً وطبرية جنوباً. وتكثر في هذه المنطقة مصادر المياه من ينابيع وأنهار وهي ذات مناخ معتدل. وكانت قديماً تشكل منطقة حدودية ما بين الدول الفينيقية والآرامية ودولة إسرائيل التي تكونت لمدة قصيرة في فلسطين. وتم الكشف في هذه المنطقة عن عدد كبير من المواقع الأثرية التي تعود إلى الحضارة الناطقية وحتى الفترات الحالية. فهناك موقع عين الملاح الذي تم الكشف فيه عن بقايا أكواخ استعملت للسكنى في الفترة الواقعة ما بين ١٠,٠٠٠ - ٨٠٠٠ ق.م. كذلك هناك موقع «آبل القمح» وموقع دان (تل القاضي أو اللدان) الذي ازدهر خلال فترة العصر البرونزي المتوسط، ومن الجدير بالذكر أن هذين الموقعين ذكرا في سفر الملوك في التوراة. أما أهم المواقع على الإطلاق في هذه المنطقة فهو موقع «تل القدح» (حاصور) الذي كان مدينة ضخمة خلال العصر البرونزي الحديث. وجاءت أهمية هذه المدينة لوقوعها على الطريق الرئيسة التي تربط شمالي فلسطين بدمشق.

(ب) منطقة طبرية: بعد منطقة وادي الحولة ينخفض وادي الأردن بشكل مفاجئ ففي حين ترتفع منطقة شاطئ «بحيرة الحولة» التي قامت السلطات الإسرائيلية بتجفيفها إلى حوالي ٧٠ م فوق مستوى سطح البحر نجد أنها تنخفض إلى حوالي ٢١٠ م تحت مستوى سطح البحر عند بحيرة طبرية. وتكثر في المنطقة المحيطة بطبرية الصخور البازلتية التي كانت مصدراً رئيساً لهذه المادة الخام على مر العصور القديمة لتصنيع الأدوات التي يحتاجها الإنسان في حياته اليومية من أجران ومدقات ومهارس وغيرها. ويبلغ طول بحيرة طبرية أكثر من ٢١ كم بقليل بينما يبلغ أقصى اتساع لها حوالي ١٢ كم. ولخصب المنطقة المحيطة بهذه البحيرة وصلاحياتها للزراعة نجد أنها كانت مأهولة بالسكان منذ العصور الحجرية ولا تزال كذلك حتى الآن. ولا أدل على هذا من كثرة المواقع الأثرية المكتشفة منها والتي من أهمها: موقع العبيدية الذي يعود إلى المرحلتين الأولى والثانية من العصر الحجري القديم، كذلك يقع على الجهة الجنوبية الغربية للبحيرة موقع

خربة الكرك التي عرفت بفخارها المتميز وكانت من المدن الرئيسة في فلسطين خلال الألف الثالث قبل الميلاد.

ومن المعروف أن نهري الأردن واليرموك يلتقيان إلى الجنوب من بحيرة طبرية ويكوّنان ما يشبه منطقة مثلثة تضم مواقع أثرية مهمة منها موقع الأقحوانة الذي يتميز بالحضارة المسماة باليرموكية نسبة إلى «نهر اليرموك» وتعود إلى الألف السادس قبل الميلاد. وكذلك موقع الحمة الذي ورد ذكره في المصادر التاريخية المصرية.

(ج) غور الأردن: تنحدر سلسلة الجبال عند جهتها الشرقية حيث تطل على منطقة غور الأردن الذي يبلغ امتداده ما بين بحيرة طبرية في الشمال والبحر الميت في الجنوب حوالي ١٠٥ كم. ويختلف عرضه من منطقة لأخرى، فبينما يبلغ ما بين ٣ - ٥ كم في الشمال يتسع حتى يبلغ حوالي ١٨ كم عند أريحا. وتعتبر هذه المنطقة من المناطق الزراعية الخصبة في فلسطين والأردن.

وتقع منطقة غور الأردن بكاملها تحت مستوى سطح البحر وتعتبر أكثر منطقة انخفاضاً في العالم، إذ تنخفض ٣٩٤ م تحت مستوى سطح البحر عند البحر الميت. وتنقسم منطقة غور الأردن إلى ثلاث مناطق جغرافية تبدأ بالمنطقة المنبسطة أمام سلسلة الجبال وتعرف باسم «الغور». تلي هذه المنطقة منطقة «الكتار» والتي تتكون من هضاب منخفضة تفصل منطقة الغور عن المنطقة الثالثة المسماة «الزور» وهي الوادي الصغير الذي يجري فيه نهر الأردن مغيراً مجراه بين الحين والآخر تبعاً لموسم الشتاء^(٣٢).

يجري في الجهة الغربية للغور عدد قليل من الأنهر والأودية إذا ما قورن بالجهة الشرقية فهناك نهر الجالود في منطقة بيسان ووادي المالح ووادي الفارعة الذي يعتبر طريقاً رئيساً يوصل ما بين ضفتي نهر الأردن. أما في الجهة الشرقية فتجري مجموعة من الأنهار والأودية التي تزود نهر الأردن بالمياه، وبعض هذه الأودية لا تجري في فصل الصيف ومن هذه الأنهار: نهر اليرموك ونهر الزرقاء، ومن الأودية: وادي العرب ووادي زقلاب ووادي الحرم ووادي اليابس ووادي كفرنجة ووادي شعيب ووادي العظيمة ووادي حسان. وفي هذه الجهة من الوادي وفي عام ١٩٦٠ شقت قناة غور الأردن الشرقية التي تزود هذه المنطقة بالمياه.

وتشير المصادر التاريخية والشواهد الأثرية إلى أن منطقة غور الأردن كانت مأهولة بالسكان منذ المرحلة الأخيرة للعصر الحجري القديم وحتى الوقت الحالي^(٣٣).

وقد قامت بعثات كثيرة بأعمال التنقيب في مواقع مهمة منها

استوطنتها الإنسان على مر العصور في هذه الجبال. ففي منطقة الجبال القريبة من البحر الميت تم الكشف عن مواقع المربعات وعين جدي التي سكنها الإنسان خلال فترة العصر الحجري النحاسي. وفي منطقة قمران تم العثور على أهم المخطوطات العالمية المعروفة باسم مخطوطات البحر الميت التي تتحدث عن مجموعة من البشر عرفت باسم الاسينيين كانت قد لجأت إلى هذه المنطقة خلال فترة الحكم الروماني في فلسطين.

(هـ) وادي عربية: تعتبر منطقة وادي عربية تكملة لحفرة الانهدام الأفرو- آسيوية والتي تبدأ عند سهل العمق وتنتهي بمنطقة البحيرات في أفريقيا، ويبلغ طول وادي عربية حوالي ١٧٠ كم، وهو يعتبر المصدر الرئيسي لخامات النحاس عبر العصور التاريخية المختلفة. وقد كانت هناك مراكز معروفة لاستخراج النحاس هي: فينان وخربة النحاس في الجهة الشرقية من الوادي، وتمتد إلى الغرب منه. وخلال العصر الحديدي وحكم الأنباط والرومان من بعدهم تم تأسيس بعض المراكز الأثرية في هذه المنطقة.

وإلى الشرق من غور الأردن والبحر الميت ووادي عربية تمتد سلسلة من الجبال أهمها جبال عجلون والبلقاء ومؤاب التي تمتد جنوباً مكونة جبال الشراة حتى تصل إلى خليج العقبة، وقد أظهرت نتائج المسوحات والحفريات الأثرية في هذه الجبال أنها كانت مأهولة بالسكان منذ العصور الحجرية وحتى الوقت الحاضر، ونشأت فيها ممالك متعاقبة في الفترات التاريخية المتباعدة. ومن المواقع المهمة التي عثر عليها والعائدة إلى العصور الحجرية موقع عين راحوب بالقرب من إربد الذي كشف النقاب فيه عن مخلفات أثرية تعود إلى الحضارة الناطوفية (حوالي ١٠,٠٠٠ - ٨,٠٠٠ ق. م) وكذلك موقع عين غزال بالقرب من مدينة عمان، الذي تم الكشف فيه عن بقايا قرية زراعية كبيرة تعود إلى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (ب) وبقايا تعود للحضارة اليرموكية (حوالي ٦,٠٠٠ - ٥,٠٠٠ ق. م). وفي البيض التي تبعد حوالي ١٥ كم إلى الشمال من البتراء تم الكشف عن قرية زراعية تعود إلى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (ب). كذلك نشأت مدن كبيرة على هذه الجبال في فترات العصور البرونزية القديمة والمتوسطة والحديثة (حوالي ٣,٣٠٠ - ١,٢٠٠ ق. م)، ومن أهم هذه المدن خربة الزيرقون قرب إربد وتل إربد وعمان وسحاب. وفي فترات العصور الحديديّة ظهرت ممالك كبيرة في هذه المناطق وهي المملكة الأدومية في الجزء الجنوبي الواقع ما بين وادي الحسا والعقبة إلى الشرق من وادي

تل الشونة الشمالي وطبقة فحل وتل الحيات وتل السعيدية وتل أبو حامد وتل المزار وتل دير علا وأريحا. ويعتبر موقع طبقة فحل من أهم هذه المواقع عبر الفترات المختلفة إذ كشفت التنقيبات فيه عن بقايا أثرية تتراوح في تاريخها ما بين العصر الحجري الحديث والوقت الحالي. ومن المعروف أن هذه المدينة قد تم ذكرها في المصادر التاريخية المصرية وفي رسائل تل العمارنة والمصادر العربية القديمة. وخلال التنقيبات الأخيرة في الموقع تم العثور على لوحين طينيين مكتوبتين بالخط المسماري في أحد قبور العصر البرونزي الحديث، لكنه لم يعلن حتى الآن عن فحواهما. أما في موقع تل دير علا وفي المستويات التي تعود إلى العصر البرونزي الحديث فقد تم الكشف عن عدد من الألواح الصلصالية التي لم يتفق علماء اللغات حتى الآن على محتواها أو ماهية خطوطها. لكن أهم ما كشف عنه في الموقع نفسه نص مكتوب باللغة الآرامية، كتب بالحبر الأزرق والأحمر على جدار أحد البيوت ويعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد. ويشير مضمون هذا النص إلى شخصية دينية هامة هي بلعام باريوور الذي كان له على ما يبدو دور هام في الحياة الدينية في النصف الأول من الألف الأول ق. م.

وتعتبر هذه المنطقة من المناطق الزراعية الخصبة في فلسطين والأردن إذ كانت على سبيل المثال مصدراً رئيساً من مصادر السكر في منطقة بلاد الشام خلال الفترات الأيوبية - المملوكية. ويدل على هذا العدد الكبير من معاصر السكر والأدوات المستعملة في تصنيع السكر التي عثر عليها أثناء المسوحات الأثرية التي أجريت في هذه المنطقة^(٣٤).

(د) البحر الميت: يمتاز البحر الميت بملوحة مياهه وانعدام الحياة فيه، لكنه يعتبر مصدراً رئيساً لبعض المواد الخام خاصة البوتاس. ولقد استفاد سكان فلسطين القدامى من هذا البحر وذلك باستخراج الملح والقار منه وتصديره إلى مناطق أخرى. وتقسم منطقة لسان البحر الميت إلى قسمين شمالي وجنوبي، ويعتبر الجزء الشمالي أكثر طولاً وعرضاً وعمقاً من الجزء الجنوبي. ويرى بعض علماء الجيولوجيا أن هذا الجزء قد تكون قبل الجزء الجنوبي. وتصب فيه من الجهة الشرقية أودية الواله والموجب والحسا التي أنشئ على ضفافها الكثير من المستوطنات والمدن الأثرية.

ويحيط بالبحر الميت من الجهتين الشرقية والغربية عدد من الجبال العالية التي كونت صعوبة في المواصلات ما بين المنطقتين. إلا أنه قد تم التعرف على عدد من المواقع والكهوف التي

عربة. وهي مشهورة بصخورها الرملية ويصل ارتفاعها في بعض المناطق إلى حوالي ٢٠,٠٠٠ م. ومن أهم المواقع الأثرية في هذه المنطقة موقع بصيرة حيث قامت بعثة أثرية بالتنقيب فيه لعدة مواسم، وربما كان هذا الموقع هو عاصمة للأدوميين بعض الوقت.

وإلى الشمال من المملكة الأدومية وفي العصور الحديدية أيضاً وفي المنطقة الواقعة ما بين وادي الحسا في الجنوب والموجب في الشمال تكونت مملكة مؤاب، وطبيعة صخور هذه المنطقة جيرية في معظم الأماكن مع بعض الصخور الرملية. ومن أهم المدن المؤابية الكرك (كير - مؤاب) وذيبان التي كانت عاصمة الملك المؤابي ميشع خلال النصف الثاني من القرن التاسع قبل الميلاد.

كذلك كانت مدينة عمان (ربة - عمون) عاصمة مملكة العمونيين القوية، والتي قام ملوكها بحروب عديدة مع الإسرائيليين في ذلك الوقت. وقد تم التعرف في المنطقة الواقعة حول عمان على عدد من الأبراج التي بنيت لأغراض دفاعية ومن أهمها برج الملفوف. ولقد ورد ذكر دولة عمون عدة مرات في التوراة خلال الفترات الكلاسيكية (الهلنستية والرومانية والبيزنطية). وقد كان لهذه المنطقة دور كبير من النواحي الاقتصادية والسياسية، فكان هناك الطريق السلطاني المؤدية من بصرى في الشمال حتى العقبة في الجنوب وهي التي كان لها دور كبير في الحركة التجارية في ذلك الوقت. أما من الناحية السياسية فلا بد من ذكر حلف المدن العشر (ديكابوليس) (Decapolis) الذي نشأ في الفترة الرومانية، ومن أهم المدن المشهورة التي بنيت في هذه الفترات أم قيس وجرش وعمان ومادبا.

وبعد أن دخل الإسلام بلاد الشام ظل هذه المنطقة الدور الحضاري نفسه الذي كان لها في السابق. وخلال فترات الحروب الصليبية تم بناء عدد من القلاع الهامة فوق مرتفعات هذه الجبال ومن أهمها قلعة الرض في عجلون، والشوبك والكرك.

وإلى الشرق من سلسلة الجبال هذه تمتد بادية بلاد الشام والتي من ضمنها البادية الأردنية وكانت هذه المنطقة في الفترات السحيقة في القدم من أخصب المناطق وأكثرها أهلاً بالسكان، إذ تم التعرف على بقايا بحيرتين كبيرتين إحداهما في منطقة الأزرق والثانية في منطقة الجفر. وعلى ضفاف هاتين البحيرتين عاش الإنسان الأول منذ فترات العصور الحجرية القديمة. وقد كشفت الحفريات في منطقة الأزرق وجبل عويند عن بقايا بعض الأدوات الأشولية والأييفيلية التي استخدمها الإنسان الأول. أما في الفترات

الإسلامية وخاصة الفترة الأموية فقد كان لهذه المنطقة موضع خاص لدى الخلفاء الأمويين إذ أنشأوا فيها القصور مثل قصير عمرة وقصر الحلابات وقصر المشتى وغيرها كذلك. وفي موقع جافة إلى الشمال الشرقي من المفرق تم التعرف على مدينة كبيرة تعود إلى العصور البرونزية القديمة، استخدم سكانها طرق ري مختلفة. ولا تقل مدينة أم الجمال التي بنيت في الفترات الكلاسيكية واستمر السكن فيها خلال الفترات الإسلامية أهمية عن جافة. وتنتشر في هذه المنطقة الكتابات الصوفية والشمودية، خاصة في الزاوية الشمالية الشرقية للأردن، وقد كتبت هذه النقوش على صخور بازلتية.

ويعتبر مناخ فلسطين مثل مناخ بقية المناطق الواقعة حول البحر الأبيض المتوسط إذ أنه حار جاف صيفاً وتختلف فيه نسبة الرطوبة من منطقة لأخرى، ودافئ بعض الشيء في الشتاء. وقد تتساقط بعض الثلوج في فصل الشتاء خاصة فوق قمم المرتفعات الجبلية.

ويتميز مناخ فلسطين باعتداله كبقية مناطق البحر المتوسط إذ يتراوح معدل درجات الحرارة في المناطق الساحلية في فصل الصيف بين ٢٦° و ٢٧° مئوية بينما تنخفض الحرارة في فصل الشتاء إلى حوالي ١٤° مئوية.

أما في المناطق الجبلية فلا يختلف الحال كثيراً عنه في المناطق الساحلية، فنرى أن متوسط معدل درجات الحرارة في فصل الشتاء في مدينة القدس يبلغ ٨° مئوية بينما يبلغ في شهر آب حوالي ٢٣° مئوية. كذلك بلغت نسبة سقوط الأمطار في هذه المدينة حوالي ٦٠٠ مم في السنة.

لكن الأحوال في منطقة الأغوار تختلف كثيراً عنها في المناطق الأخرى إذ يبلغ المعدل الوسطي لدرجات الحرارة في منطقة طبرية في الشتاء حوالي ١٢,٥° مئوية بينما يرتفع إلى حوالي ٣٠,٥° في فصل الصيف. أما في المنطقة الجنوبية لهذا الغور فترتفع درجة الحرارة في فصل الصيف إلى حوالي ٤٥° مئوية، وخاصة في منطقة أريحا. وهذا يعود إلى أنها أكثر انخفاضاً عن سطح البحر، ولهذا يكون الجو جافاً جداً صيفاً في منطقة الأغوار^(٣٥).

أما الموارد المائية في فلسطين فتعتمد بشكل رئيس على مياه الأمطار والينابيع والأنهار (الأردن والمقطع وإبراهيم والعوجا ورويين والدالية). ويلاحظ أن منسوب المياه في هذه الأنهار ينخفض خاصة في أوقات الصيف وقلة نزول الأمطار.

المراء أن يشاهد أشجار النخيل والموز في المناطق الساحلية والأغوار، أما الأشجار الحرجية فتتركز في مناطق الجبال المرتفعة، ومن هذه الأشجار البلوط والصنوبر والبطم. أما بالنسبة للحبوب فإن القمح والشعير هما المحصولان الرئيسيان وهناك محاصيل الفاصولياء والعدس والقرع والبطيخ والخيار والبصل والخس وغيرها. هذا فضلاً عن بعض المحاصيل التجارية مثل التبغ والقطن.

وتعتمد الثروة النباتية أكثر ما تعتمد على سقوط الأمطار، لذا يستطيع الإنسان في فصل الربيع مشاهدة ورود بيرة مثل شقائق النعمان والرنجس وغيرها من الأعشاب، كذلك نرى أن أشجار الدفلي ترم منطقة وادي الأردن، وكما هو الحال في المناطق الواقعة حول البحر المتوسط فإننا نرى أن أشجار الزيتون والتين والبرتقال هي أهم الأشجار المثمرة في فلسطين، كما أن هناك أشجار الخروب والرمان والمشمش والخوخ والتوت واللوز، ويستطيع

الفصل الأول

مرحلة التنقل وجمع القوت : العصور الحجرية القديمة Palaeolithic (حوالي ١,٥٠٠,٠٠٠ - ١٨,٠٠٠ ق. م)

يعيش بلا وقاية مع أنه لجأ أحياناً إلى الكهوف الصخرية ليعي نفسه فيها خوفاً من البرد أو الحيوانات الجارحة وأوضح مثال على ذلك هو كهوف جبال الكرمل في فلسطين.

تبدأ مرحلة العصور الحجرية منذ أن بدأ الإنسان الأول يصنع أدواته من الحجارة وتنتهي بمعرفة الإنسان للكتابة في الألف الرابع قبل الميلاد وكان ذلك في بلاد الرافدين ومصر.

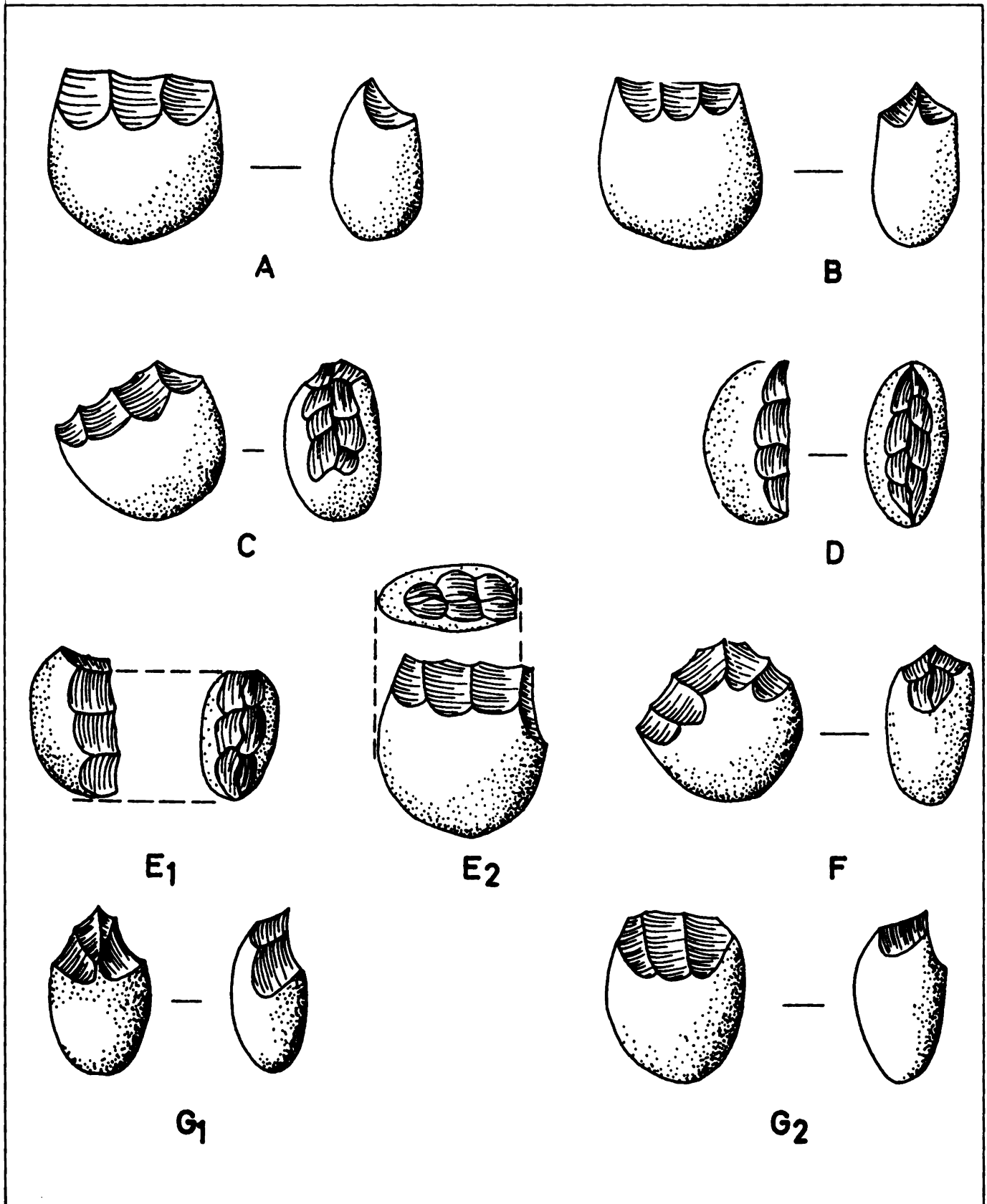
ومع أنه أصبح من المعروف أن أقدم الأدوات الصوانية في فلسطين قد تم اكتشافها في موقع العبيدية، إلا أنه لا يزال من الصعب وضع رقم دقيق لبداية العصور الحجرية في فلسطين على الرغم من التطور الملحوظ الذي تشهده دراسة مكتشفات ما قبل التاريخ في هذه المنطقة. ولقد حاول العلماء ترتيب الأدوات المكتشفة وتصنيفها زمنياً من خلال الاختلاف في أنماط الحياة المتبعة من مرحلة لأخرى والتطور الذي حصل على صناعة الأدوات الصوانية ودراسة بقايا العظام الحيوانية والبشرية وباعتماد على طريقة الكربون المشع. أما أحدث طريقة استخدمت لتأريخ آثار ما قبل التاريخ فهي تحليل العينات الملتقطة بواسطة البوتاسيوم آرغون والتي تمتاز بقدرتها على التأريخ حتى لملايين السنين، واعتماداً على هذه الأسس المذكورة فقد استطاع علماء ما قبل التاريخ تقسيم فترة العصور الحجرية القديمة إلى أربع مراحل متعاقبة هي: العصر الحجري القديم الأول؛ العصر الحجري القديم الثاني؛ العصر الحجري القديم الثالث؛ العصر الحجري القديم الأخير.

إن الاهتمام بدراسة مخلفات إنسان ما قبل التاريخ بدأ في فلسطين خلال النصف الأول من هذا القرن من قبل علماء الآثار الأوروبيين والأمريكيين من أمثال دوروثي غارود (Dorothy Garrod) ونوفيل ورست (Rast) وديانا كيركبرايد (Diana Kirkbride). وقد وضع لنا هؤلاء من خلال حفرياتهم ومسوحاتهم إطاراً لدراسة فترات ما قبل التاريخ. كذلك لا تزال بعض الطرق والأساليب والتسميات والاصطلاحات التي استعملوها في دراستهم لأدوات ما قبل التاريخ المكتشفة في أوروبا مستعملة حتى الآن في دراسة مخلفات الإنسان الأول في منطقة بلاد الشام. فعلى سبيل المثال نجد أن اصطلاح باليوليثيك (Palaeolithic) قد أطلق على الأدوات الصوانية التي تعود لفترة البلايستوسين، واسم ميزوليثيك (*) (Mesolithic) على الأدوات الصوانية الصغيرة الحجم المصنوعة في فترة الهولوسين. وأخيراً اصطلاح نيوليثيك (Neolithic).

إن أهم ما يميز فترة العصور الحجرية القديمة هو أن الإنسان قد عاش في هذه الفترة متنقلاً وجامعاً لقوته الضروري لإبقائه على قيد الحياة. وقد بقي هذا الإنسان في غالب الأمر بعيداً عن الأمن

اتفق العلماء على أن الإنسان الذي عاش في بداية هذا العصر (العصر الحجري القديم الأول، حوالي ١,٥٠٠,٠٠٠ - ١٠٠,٠٠٠ سنة منذ الوقت الحاضر) هو ما يسمى بالإنسان منتصب القامة، ودلت المخلفات الأثرية على أن هذا الإنسان قد عاش في منطقة غربي وشرقي نهر الأردن. ويمتاز هذا الإنسان

(*) اصطلاح (Mesolithic) لم يعد مستعملاً الآن من قبل العديد من علماء ما قبل التاريخ واستعُض عنه باصطلاح (Epi-Palaeolithic).



أدوات حصوية مصنعة (أدوات أبيقيلية) من تل العبيدية تعود للمرحلة الأولى من العصر الحجري القديم

مستوى سطح البحر. وكشفت الحفريات التي أجريت في ثلاثة مواقع متباعدة عن نوعين مختلفين من الأدوات الحجرية: الأول يعرف باسم الأدوات الإييفيلية، جاءت مصنوعة من حصى شواطئ البحار والبحيرات والأودية، والثاني: جاء عدده أقل، وكان من الأدوات المشذبة على الوجهين (Bifaces). لقد كون التكوين الجيولوجي لهذا الموقع صعوبة أمام المنقبين خاصة وأن الطبقات المكتشفة عثر عليها متراكمة داخل مياه بحيرة وجاءت في بعض الأحيان متجعدة ومتصدعة ومتداخلة بعضها ببعض. ولقد بلغ مجموع الطبقات التي ضمت أدوات حجرية اثنتين وستين (٦٢) طبقة - حفر منها بشكل دقيق اثنا عشرة طبقة فقط.

بعد دراسة العظام الحيوانية المكتشفة في موقع العبيدية تبين أنها تضم أصداً وعظام فقاريات مائية وأسماك وسلاحف وزواحف أخرى وعظام طيور وزرافات وفيلة. أما البقايا العظمية الإنسانية فكانت عبارة عن ثلاث قطع سميكة جداً وسنن ربما يكونان أحدث في تاريخهما من العظام الأخرى الملتقطة في الموقع نفسه.

قبل حوالي ١٠٠,٠٠٠ سنة مضت طرأ تغير على حياة إنسان نياندرتال من حيث صيده للحيوانات البرية وجمعه لبقايا النباتات البرية، فلقد حل محل الفأس اليدوية الصوانية التي كانت من ميزات العصر الحجري القديم الأول مجموعة من الأدوات الأصغر حجماً. وتميزت هذه المرحلة بأن الأدوات فيها جاءت مصنوعة بما يعرف بالصناعة اللافالوائية وهي شحذ الأدوات لدرجة عالية لتكون جاهزة للاستعمال كرؤوس رماح أو سكاكين أو مكاشط، وأطلق على هذه المرحلة اسم العصر الحجري القديم الثاني (حوالي ١٠٠ - ٤٠ ألف سنة من الوقت الحاضر).

وقد أشارت تواريخ الكربون المشع لعينات عضوية تم الحصول عليها من بعض المواقع الشامية إلى أن التاريخ المقبول لهذه المرحلة يعود إلى ما قبل ٥٠,٠٠٠ سنة، وأن مرحلة البلايستوسين الأعلى كان يسودها مناخ جاف بشكل عام ويدعم هذا الرأي بقايا حيوانات ثديية مثل الأيل الأسمر وجدت في عدد من المواقع منها كهف الطابون.

وهناك دلائل على تغيرات جيولوجية في مرحلة البلايستوسين الأعلى حيث تراكمت طبقات من الحجر الجيري في الأودية، وتكونت بحيرة اللسان التي كانت غالباً ما تغطي كل سطح منطقة غور الأردن.

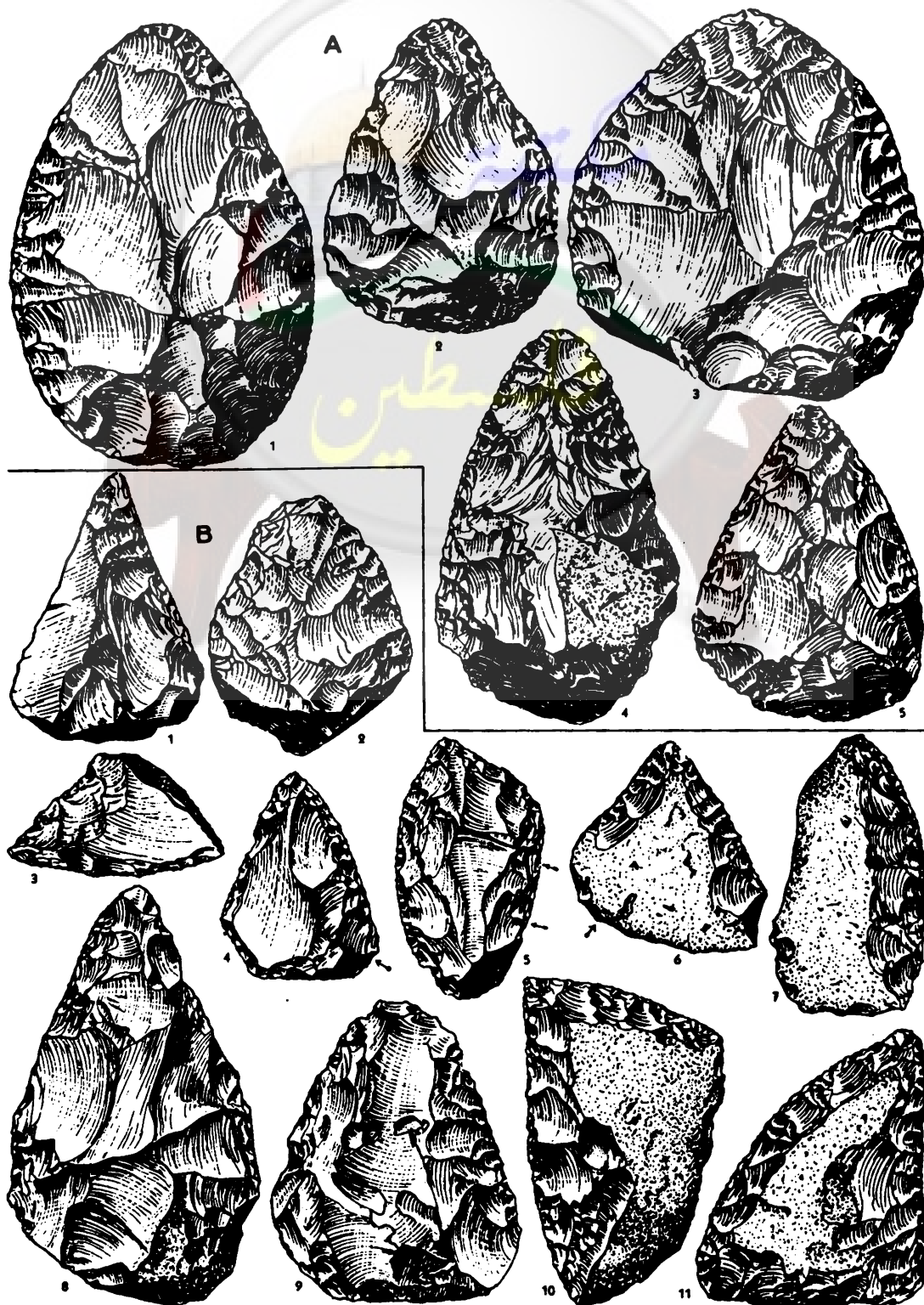
بأنه منتصب القامة وأنه أقصر من الإنسان الحالي، والواضح أن هؤلاء الأسلاف كانوا صيادين ومتنقلين بشكل مستمر سعياً وراء قطعان الحيوانات البرية المختلفة.

ويذكر العلماء أنه في نهاية العصر الحجري القديم الأول تطور الإنسان المنتصب القامة من حيث الشكل وأصبح شديد الشبه بالإنسان الحالي. وهذا النوع سمي بإنسان نياندرتال نسبة إلى منطقة نياندرتال بألمانيا الاتحادية حيث كشف لأول مرة عن هياكل عظمية لهذا الإنسان.

لقد عثر على معظم المخلفات الأثرية التي تعود لهذا العصر في مواقع موزعة على منطقة واسعة من بلاد الشام، خاصة في منطقة حفرة الانهدام الأفرو-آسيوية ومن أهمها مواقع ست مارخو وبيروزين على النهر الكبير وموقع اللطامنة على نهر العاصي. ومواقع رأس بيروت وبيروود وبرج كنارت ومعيات باروخ وجسر بنات يعقوب ومغارة الطابون وحولون وأم قطفة والعبيدية في فلسطين وتل أبو الخس وعين الأسد في شرقي الأردن.

وبالنسبة لموقع عين الأسد فلقد ذكر المنقب غاري رولفسون (Gary Rollefson) بأنه يقع حول نبع ماء إلى الجنوب من منطقة الأزرق في الأردن ولا يبعد كثيراً عن موقع جبل عويند. ولقد دلت أشكال الأدوات الحجرية المصنعة والمكتشفة في هذا الموقع بأن تاريخه يعود إلى الفترة الواقعة ما بين ١٥٠,٠٠٠ - ١٢٥,٠٠٠ سنة مضت. حيث عثر على عدد كبير من الأدوات الحجرية التي صنعها إنسان نياندرتال، بلغ أكثر من خمسمائة قطعة في مساحة لا تتجاوز ٥٠ م^٢ استعملت لذبح الحيوانات المصطادة وتقطيعها. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذا الإنسان قد زار منطقة عين الأسد لمرات كثيرة ومكث فيها لعدة أسابيع. وتميزت الرؤوس اليدوية المكتشفة في هذا الموقع بأن حوافها حادة ومستقيمة بينما جاءت الأدوات الصغيرة الحجم متنوعة الأشكال.

ويعتبر موقع العبيدية في الجزء الشمالي لغور الأردن في فلسطين من أهم المواقع التي ذكرناها آنفاً، بل وأشملها. ولقد اكتشف هذا الموقع إلى الجنوب الغربي من بحيرة طبرية في عام ١٩٥٩ وذلك عندما كانت إحدى الجرافات تقوم بأعمالها في هذه المنطقة. ومن ثم أجريت أعمال حفريات أثرية بإشراف كل من بيكارد (Picard) وبيضا (Baida) وبار-يوسف (Bar-Yousef) وتخرنوف (Tchernov)^(٣٦). وينخفض الموقع حوالي ٢٠٥ م تحت



أدوات حجرية مصنعة (الصناعة الأشولية) من مغارة الطابون الطبقات F و Ea وتعود للمرحلة الثانية من العصر الحجري القديم

الرفائق الطويلة التي استعملت في العصر الحجري القديم الثاني، مع العلم أن رؤوس الرماح والسكاكين بشكل عام كانت لا تزال تكون عنصراً أساسياً بين أدوات الإنسان الأولى في هذه المرحلة وكذلك الأدوات التي استعملت لكشط الجلود أو عمل الأدوات الخشبية. وشاعت هنا أيضاً أداة خاصة تعرف الآن بالمنقاش (Burin) استعملت لحفر العظام وقرون الوعل والأدوات الخشبية ومواد أخرى.

لقد تم التعرف على مخلفات الإنسان العاقل الأثرية داخل كهوف وفي مناطق مكشوفة، أو بمعنى آخر يمكن القول بأنه فضلاً عن لجوء الإنسان للكهوف، يبدو أنه أقام في بعض المواقع المكشوفة لفترات وجيزة. ومن أهم المواقع التي عثر عليها في فلسطين القفزة وكهف الأميرة وعرق الأحمر والواد وكبارا ومواقع أخرى في صحراء النقب. أما في الأردن فقد تم العثور على بعض المواقع في منطقتي الأزرق والحسا وعلى بعض المرتفعات المطلّة على الأودية كوادي عربة وكتلك التي تصب في نهر الأردن من الناحيتين الشرقية والغربية. وبالنسبة لمساحة مواقع هذه المرحلة فلإنها لا تتعدى ٢٠٠ م^٢.

وبغض النظر عن معرفتنا الجيدة للأدوات الصوانية التي ظهرت في هذه المرحلة، فإننا ما زلنا نجهل جوانب متعددة من حياة الإنسان الذي عاش فيها، فمثلاً جاءت الأدوات العظمية قليلة العدد، وكانت مديبة إما برأس واحد أو برأسين، وظهرت هذه الأدوات في مواقع الواد وفصايل في فلسطين. ومن الأدوات الأخرى التي استعملها الإنسان الأول أدوات طحن حيث تم العثور في كهف القفزة على بلاطة حجرية مع المدق التابع لها.

أما البقايا الحيوانية التي أمكن التعرف عليها في المواقع المشار إليها فقد كانت في الغالب حيوانات ثديية كانت تفوق غيرها من الحيوانات من حيث العدد، حيث تم التعرف على بقايا الأيائل السمر والغزلان وحيوانات أخرى ذات قرون.

تمثل هذه المرحلة بداية للتجمعات البشرية التي أصبحت تشكل أنماطاً معيشية متطورة رغم أنها بقيت تعيش على الصيد وجمع القوت وتستعمل أدوات صوانية ورثتها عن المجموعات التي سبقتها.

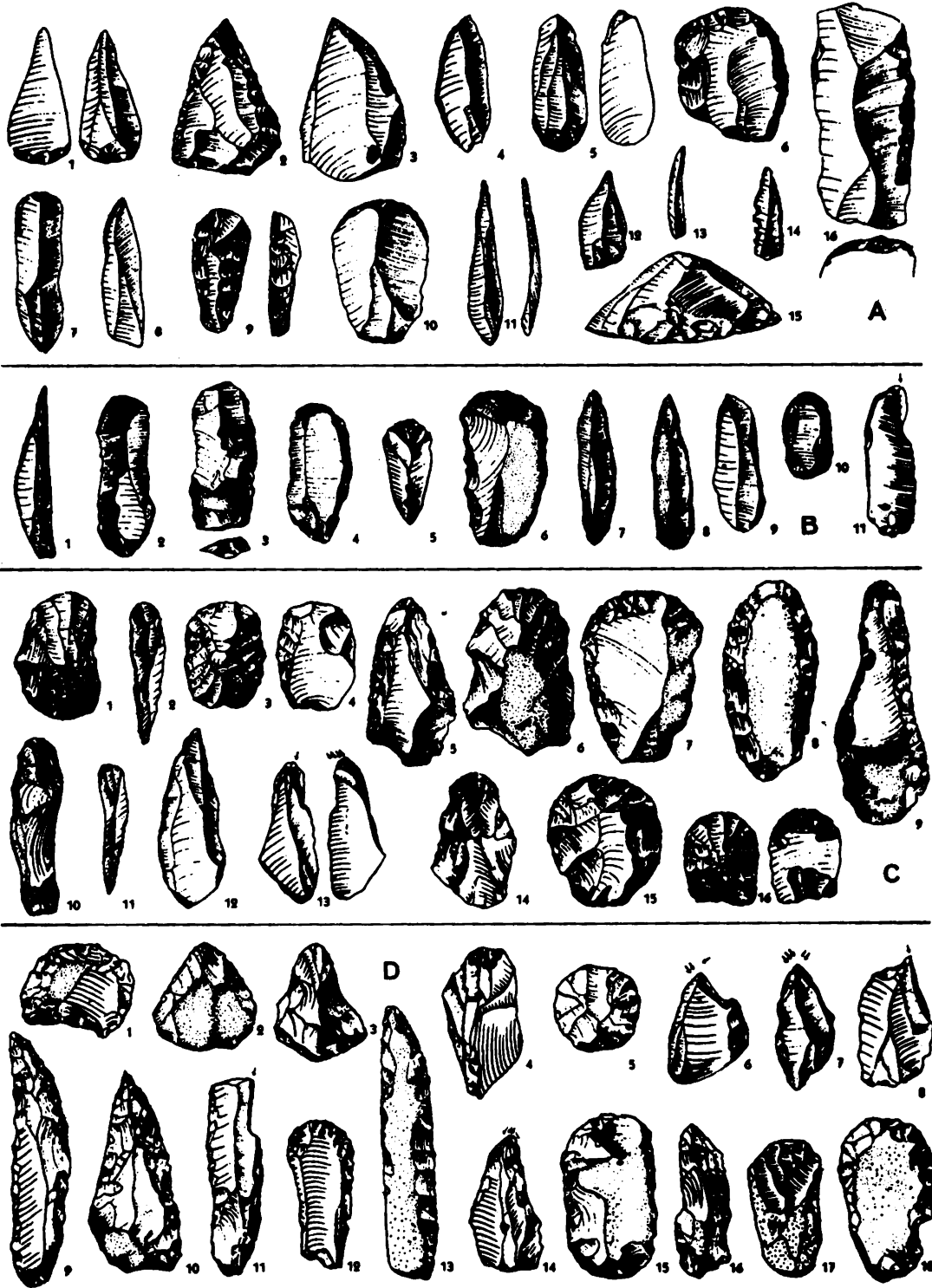
أما عن ماهية الإنسان الذي عاش في هذه المرحلة، فقد تمكن العلماء من الإجابة عنه من خلال المكتشفات الأدمية التي عثر عليها في كهوف قصار عقيل في لبنان وكبارا والطابون والعامود وفي مقبرتين في كهوف السخول والقفزة في فلسطين.

ولقد استطاع العلماء التعرف على إنسان نياندرتال وأشكال الإنسان الحالي، وأخرى انتقالية ما بين النوعين، ولقد تميز إنسان نياندرتال الذي عثر عليه في قفزة والسخول بأنه شديد الشبه بالإنسان الحالي.

ويظهر أن الإنسان المستيري قد لجأ إلى دفن الموق لأول مرة في العصر الحجري القديم الثاني (الفترة المستيرية) إذ عثر في كهوف السخول والقفزة على مدافن أدمية، ففي كهف القفزة عثر على مدفن لشخصين أحدهما بالغ، والثاني طفل، يبلغ عمره حوالي ست سنوات. وفي مدفن آخر في الموقع نفسه عثر على عظام شخص يبلغ عمره ١٣ عاماً ملقى على ظهره ويده مضمومتان إلى صدره وفوقهما قرن وعل (٣٧).

والمواقع التي تمثلت فيها بقايا هذه المرحلة كثيرة للغاية وموزعة في جميع مناطق فلسطين والأردن، ويمكننا القول بأن فلسطين والأردن تمتعا في هذه المرحلة بأفضل الأجواء المناخية وبطبيعة خضراء ومجموعات حيوانية مختلفة. ومن أهم المواقع المستيرية الطابون وأبوسيف والقفزة والسخول وكبارا والعامود في فلسطين ومنطقة الأزرق وجرف الدراويش ومأوى الدفلي في الأردن. فموقع الدفلي عبارة عن كهف صغير على منحدر وادي العلي الذي يتصل بوادي الحسا في جنوبي الأردن. ووجد في هذا الكهف بقايا لمجموعة من الصيادين التي استعملت المكان كملجأ لها من الأمطار أو الرياح الباردة أو الثلوج. وقد تم العثور على عدد كبير من رؤوس الرماح والسكاكين وعلى حفر استعملت كمواقد وبقايا أخرى أمكن التعرف عليها في البقايا المتراكمة داخل الكهف.

ظهر الإنسان العاقل على ما يبدو في المرحلة الثالثة للعصر الحجري القديم والتي تمتد من حوالي ٤٠,٠٠٠ - ١٧,٠٠٠ ق. م. وكانت الأداة الرئيسة التي استعملها هي السكين المصنوعة من



- (أ) أدوات صوانية تمثل صناعة العصر الحجري القديم - المرحلة الثالثة من كهف الأميرة بفلسطين
 (ب) أدوات صوانية تمثل صناعة العصر الحجري القديم - المرحلة الثالثة من عرق الأحمر بفلسطين
 (ج) أدوات صوانية تمثل صناعة العصر الحجري القديم - المرحلة الثالثة من مغارة الواد الطبقة E بفلسطين
 (د) أدوات صوانية تمثل صناعة العصر الحجري القديم - المرحلة الثالثة من مغارة الواد الطبقة F

الفصل الثاني

المرحلة الانتقالية من الجمع إلى الإنتاج

(حوالي ١٩,٠٠٠ – ٨,٠٠٠ ق. م)

وجافة وذلك اعتماداً على دراسة البقايا النباتية وترسبات الأودية.

لقد كشفت المسوحات والحفريات الأثرية عن عدد من المواقع الكبارية في بلاد الشام نذكر منها كبارا والواد ووادي الفلاح في فلسطين وفي منطقة الأزرق ورأس النقب ووادي المدمع والخرانة ٤ في الأردن. وفي الموقع الأخير تم العثور على مدفين محفورين في أرضية أحد البيوت وبداخلها هيكلان عظيميان.

أما الأدوات الصوانية الكبارية فقد امتازت بارتفاع نسبة صناعة الشفرات الصغيرة الحجم مقارنة بصناعة السكاكين التي كانت سائدة في المرحلة الثالثة من العصر الحجري القديم وبوجود الأدوات الصغيرة الحجم وأهمها الأدوات المدببة والشفرات المطروقة على أحد الجوانب والطرف العلوي، فضلاً عن بعض الأدوات الكبيرة الحجم نسبياً مثل المكاشط الرأسية والمخارز.

استعمل الإنسان في مرحلة كبارا الأجران والمدقات البازلتية لطحن الحبوب البرية، ويدل هذا على تطور في كيفية تناول الطعام. ولا يزال الغموض يكتنف نوع الحبوب البرية التي أكلها الإنسان في هذه المرحلة وذلك لقلة الشواهد الكافية علماً أنه تم العثور على حبوب قمح في موقع وادي الفلاح^(٣٨).

وتميزت المرحلة الكبارية الهندسية بالأدوات الصوانية الصغيرة ذات الأشكال الهندسية مثل شبه المنحرف والمستطيل والمثلث مع وجود أدوات أخرى أكبر حجماً مثل المكاشط والمثاقب والمناكيش. وانتشرت مواقعها على منطقة واسعة من بلاد الشام وامتدت حتى قناة السويس في مصر، ومن أهمها عين غيف على الساحل الشرقي لبحيرة طبرية، ووادي زين في منطقة النقب في فلسطين، وفي مناطق رأس النقب والخرانة في الأردن.

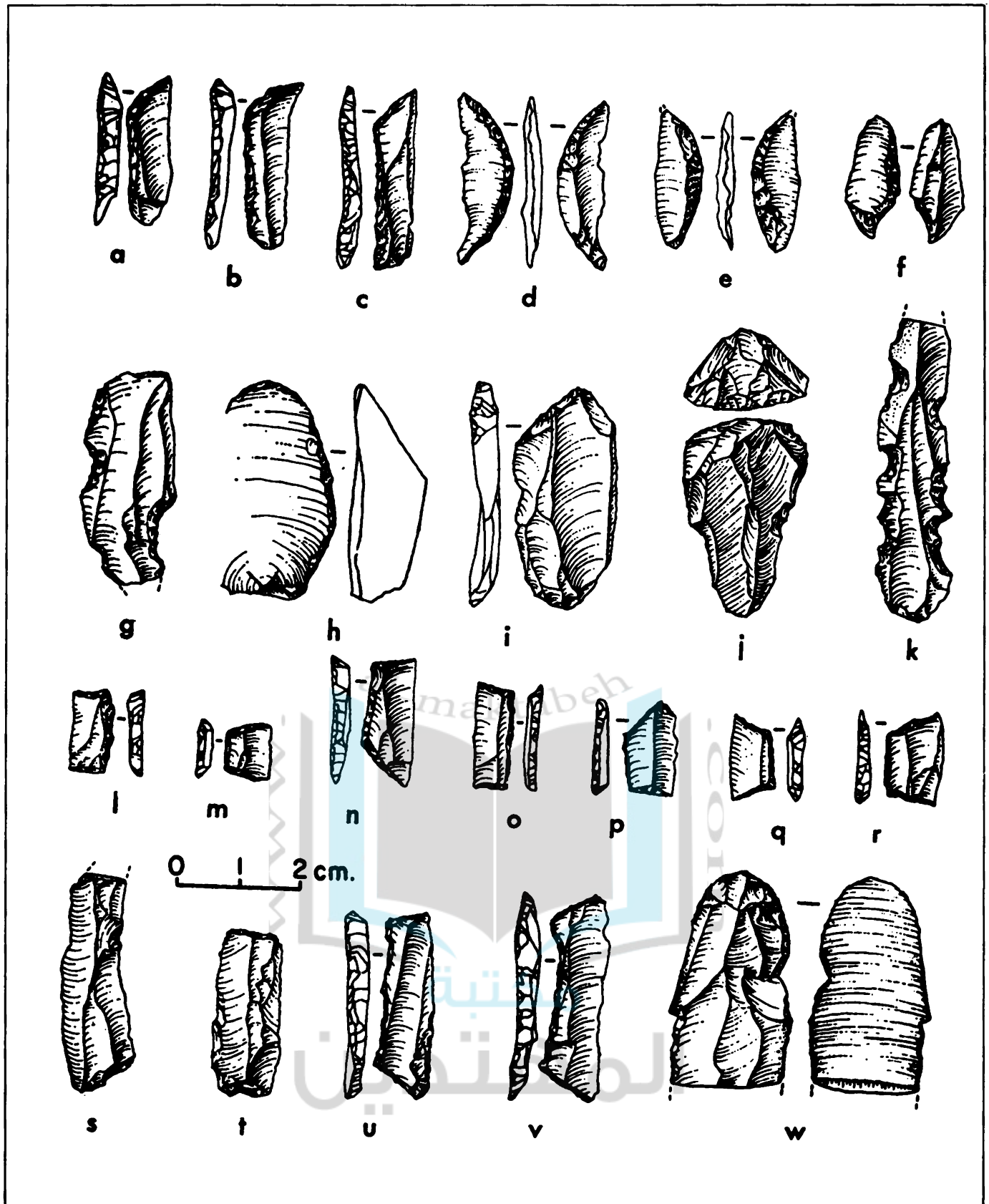
تم التعرف خلال التنقيبات الأثرية التي أجريت في مغارة الواد على مخلفات إنسانية أقدمها يعود للمرحلة الثانية من العصر الحجري القديم بينما أحدثها يعود إلى فترة أطلقت عليها المنقبة دوروثي غارود اسم العصر الحجري القديم الوسيط (١٠,٠٠٠ – ٨,٠٠٠ ق. م). ثم سميت فيما بعد «بالناطوفية» نسبة إلى وادي الناطوف غربي القدس، حيث كشف عن معالم هذه الحضارة، ولأول مرة، في كهف شقبة الذي يقع على هذا الوادي^(٣٩).

ظهر اسم (Epi-Palaeolithic) خلال العقدين الأخيرين من هذا القرن للدلالة على هذه المرحلة الانتقالية، وقد ركز الكثير من الباحثين جل اهتمامهم للكشف عن ماهية هذه الفترة التي تميزت بتغير في الأحوال المناخية لتصبح قريبة من الأحوال الجوية السائدة حالياً في منطقة بلاد الشام. كذلك نجد أن مناطق صحراوية قد تكونت في الأردن وفلسطين في تلك الفترة وهذا مما أثر على توزيع السكان ليصبح محصوراً في مناطق توفرت فيها مصادر الماء والغذاء حيث كوّنوا أولى المستوطنات المؤقتة، ورافق هذا التغير المناخي نقصان في الموارد الحيوانية التي كان يصطادها الإنسان، الأمر الذي حدا به إلى البحث عن مصادر عيش أخرى فلجأ إلى جمع بذور الأعشاب البرية الصغيرة – كالقمح والشعير وغيرها – التي أصبحت تكوّن عنصراً هاماً في غذاء الإنسان، فضلاً عن العينات النباتية التي تم جمعها فقد عثر المتقربون على أدوات الطحن والمدقات وشفرات المناجل والأدوات الصوانية الصغيرة جداً، وقد استعملت مثل هذه الأدوات الصوانية كروؤوس رماح ومناجل لقطع الأعشاب البرية ومن بين هذه الأدوات صنارة صيد الأسماك التي كانت تصنع من العظم.

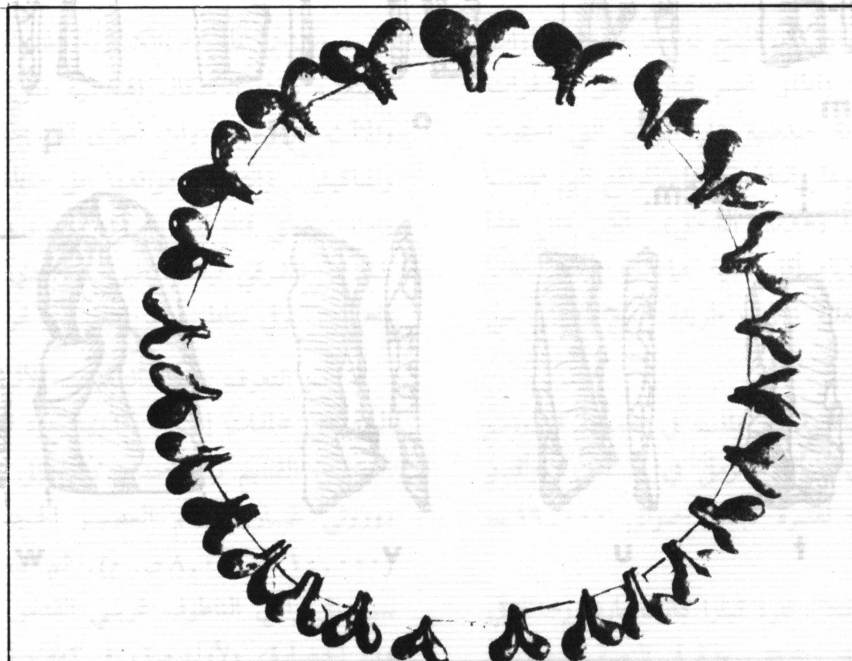
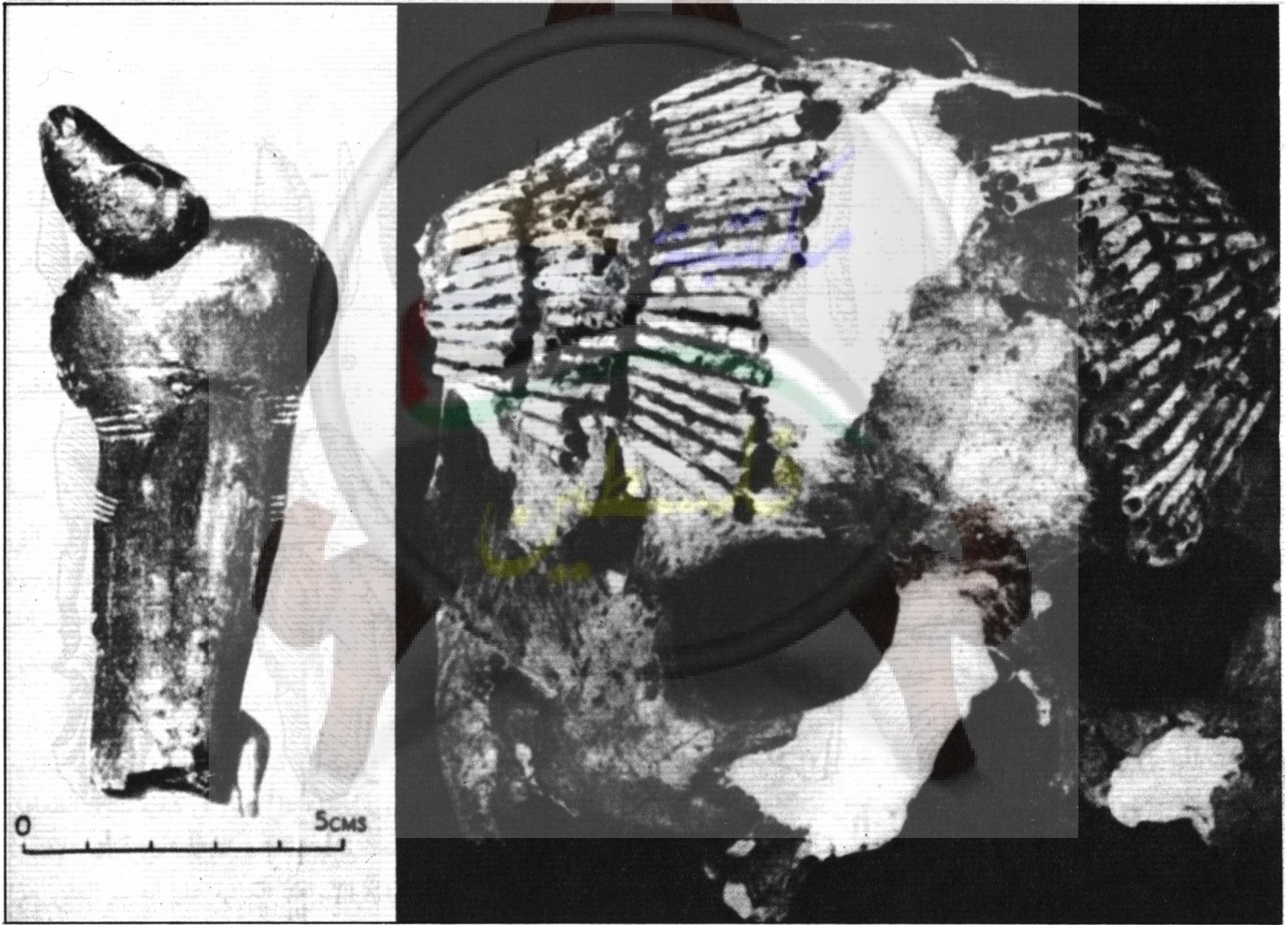
لقد صنفت المواقع الفلسطينية المنسوبة إلى المرحلة الانتقالية بين الإنسان الجامع للقوت والإنسان المنتج له تبعاً لأنواع الأدوات الصوانية التي وجدت فيها (اطلق اسم كبارية على الشفرات الصغيرة جداً، واسم كبارية هندسية على المواقع التي احتوت شفرات بأشكال هندسية متنوعة والناطوفية على المواقع التي ضمت أدوات صوانية صغيرة جداً وهلالية الشكل). لكن مثل هذا التصنيف أصبح في هذه الأيام أقل أهمية عما كان عليه سابقاً، بسبب ظهور حضارات محلية تختلف طريقة صنع أدواتها عن الأدوات التي ذكرت.

إن بداية المرحلة الانتقالية قد تمثلت في مجموعة الأدوات المكتشفة في كهف كبارا في جبال الكرمل في فلسطين. وأقدم تاريخ تم الحصول عليه لفترة كبارا حوالي ١٩,٠٠٠ – ١٧,٠٠٠ سنة.

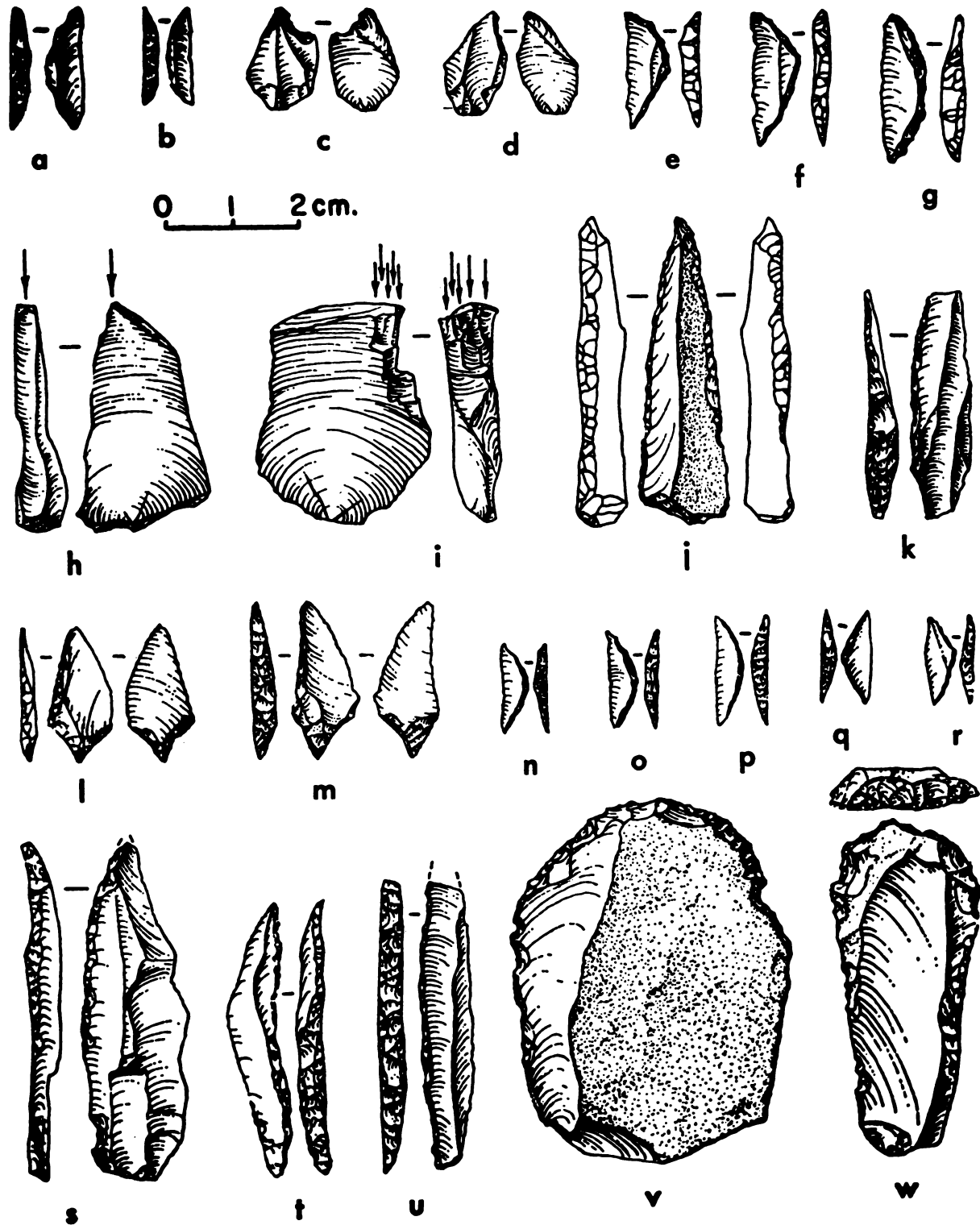
إن الأحوال المناخية خلال فترة كبارا كانت باردة وجافة في الجزء الشمالي من بلاد الشام وباردة ورطبة في النصف الجنوبي لهذه المنطقة. ويبدو أن المناطق الصحراوية كانت أيضاً باردة



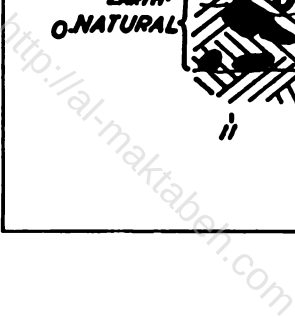
أدوات صوانية تمثل صناعة مرحلة الكبارا (العصر الحجري القديم - المرحلة الرابعة) من منطقة النقب في فلسطين



أدوات زينة وجمجمة مزخرفة بالأصداف تعود للفترة الناطوقية (العصر الحجري القديم - المرحلة الرابعة) عثر عليها في مغارة الواد بفلسطين



أدوات صوانية تمثل صناعة الفترة الناطوفية (العصر الحجري القديم - المرحلة الرابعة) من منطقة النقب في فلسطين

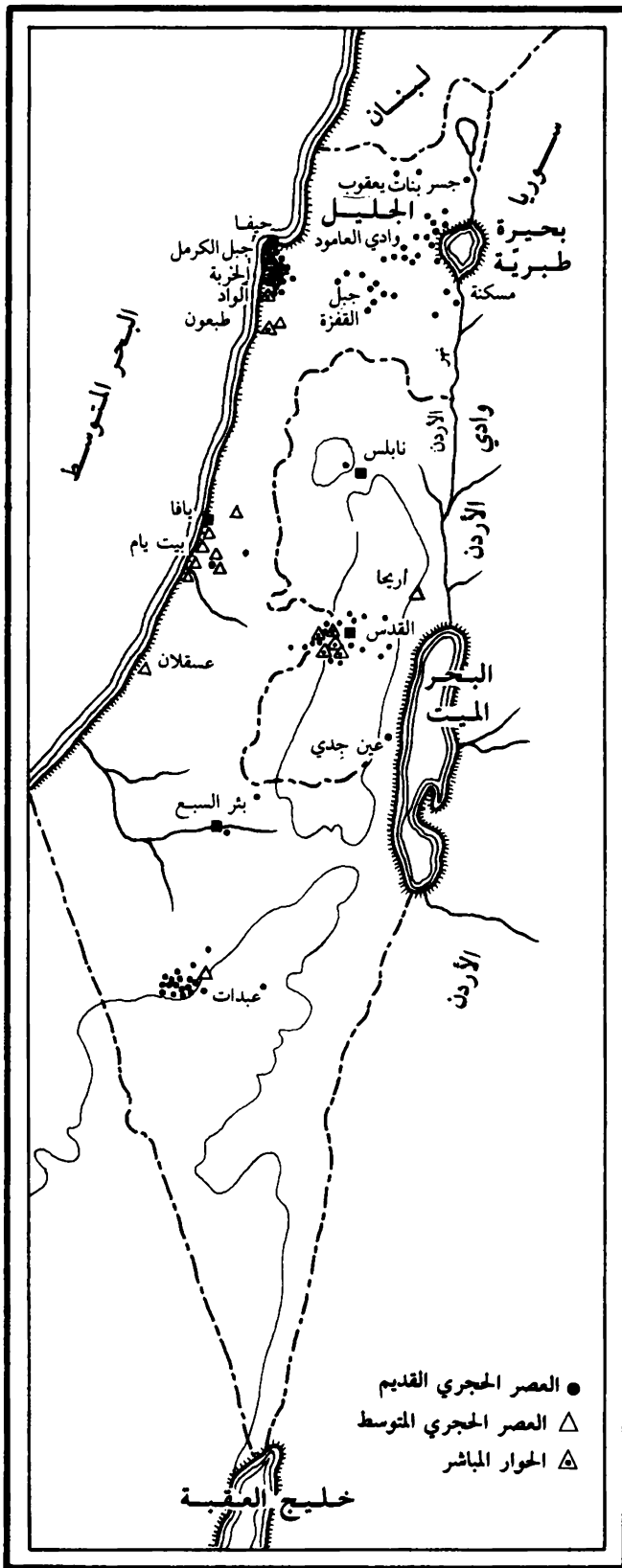


५५

تعتبر الفترة الناطوفية الخطوة الأولى على طريق المجتمعات الزراعية في منطقة بلاد الشام، وما زال بعض العلماء يطلق عليها اسم العصر الحجري الوسيط. وتعتبر أنها تشكّل مرحلة انتقالية ما بين مرحلة العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث، أو بعبارة أخرى ما بين حياة التنقل والتجوال إلى حياة الاستقرار، حيث أصبح الإنسان منتجاً للقوت. وربما يكون سبب هذا التغيير ناتجاً عن تغير في الأحوال المناخية والتي أصبحت أكثر ملاءمة لاستقرار هذا الإنسان. ولقد أظهرت الأدوات الصوانية الناطوفية بعض ملامح أدوات فترة الكبارا، ومثال ذلك الشفرات والمنقاش. وتميزت الأدوات الصوانية الناطوفية بأنها جاءت في معظمها صغيرة الحجم ذات حد مستقيم وهلالية الشكل من الخلف، وحتى الآن لم يعرف أصل هذه الصناعة. لكن مهما يكن فإنه يبدو لنا أنها كانت مستوحاة من حضارة سكان فلسطين الأصليين التي امتدت من أواسط لبنان وسوريا شمالاً حتى مدينة حلوان في مصر جنوباً. وعلى هذا الأساس فإنه بإمكاننا اعتبار الحضارة الناطوفية حضارة محلية استمدت جذورها من المرحلة الثالثة للعصر الحجري القديم^(٤٠). وجاءت بعض الشواهد الأثرية التي تعود للفترة الناطوفية من كهوف، وبعضها من مواقع مكشوفة أي في العراء، وهي منتشرة على منطقة واسعة من بلاد الشام من أهمها المربيط وأبو هريرة على حوض الفرات، وعين الملاحه ووادي الفلاح والواد وكبارا وشقبة في فلسطين، ومواقع البيضا والعسافات وعين راحوب في الأردن. وجاءت الطبقات الناطوفية في كهف شقبة فوق طبقات المرحلة الثانية للعصر الحجري القديم مباشرة بينما في مغارة الواد جاءت فوق طبقات المرحلة الثالثة للعصر الحجري القديم. وحتى في مغارة كبارا فإننا لم نجد أية إشارات تدلنا على وجود بقايا ناطوفية تعلو طبقات العصر الحجري القديم في المرحلة الثالثة والتي سميت بالكبارا. ولكن الحفريات الحديثة في موقع وادي الفلاح الواقع بالقرب من حيفا وإلى الشمال من كهف المغارة أشارت إلى وجود نموذج سابق لصناعة الأدوات الصغيرة الحجم والتي تنسب إلى الفترة الناطوفية.

أما بالنسبة للمساكن الناطوفية فقد كانت أكواخاً دائرية الشكل بقطر يتراوح ما بين ٤-٩م، كما هو الحال في موقع عين الملاحه شمالي بحيرة الحولة^(٤١). كما أنه تم العثور على آثار لحفر صغيرة ربما كانت تستعمل لوضع الأعمدة التي ترفع السقوف. كذلك اهتم الإنسان الناطوفي بالأشخاص المتوفين حيث عثر في موقع عين الملاحه في شمالي فلسطين على جماجم مزخرفة بالأصداغ.

وهكذا نكون أنهينا الحديث عن حياة الإنسان الأول، التي



المواقع الأثرية للعصرين
الحجري القديم والمتوسط في فلسطين

عثر على عدد كبير من صنابير صيد الأسماك في المواقع الناطوفية. أما التطور المهم جداً فهو أن الإنسان قد انتقل في المرحلة الانتقالية إلى السكنى غير الدائمة داخل أكواخ مبنية من الحجر كما هو الحال في عين الملاحه ووادي الفلاح وغيرها.

دلت الحفريات الأثرية في مواقع تعود للمرحلة الناطوفية في فلسطين مثل عين الملاحه وكبارا والواد إلى أنها هجرت نهائياً بعد هذه المرحلة، وأن هناك مواقع مثل أريحا ووادي الفلاح والخيام قد سكنها أناس من سلالة الناطوفيين وأنهم طوروا أنفسهم حيث أصبحوا مزارعين مستقرين نتج عنها ما يعرف باسم مجتمعات القرى الزراعية والتي سيرد ذكرها لاحقاً.

الفصل الثالث

مرحلة القرى الزراعية بداية استقرار الإنسان ومرحلة الإنتاج

بالقرب من أريحا تقسمها إلى مرحلتين رئيسيتين هما ما قبل الفخار والفخاري وكل مرحلة مقسمة إلى فترتين (أ) و(ب). كما نجد أيضاً أن الأب بوزي (Père Buzy) والذي قام بمسح أثري في منطقة وادي الطاحونة، حوالي ٣ كم إلى الجنوب من مدينة بيت لحم، قد أطلق على الأدوات الصوانية الملتقطة هناك اسم الطاحونية. كما استعمل بعض العلماء تسميات أخرى مثل الخيامية والسلطانية والظبيانية والريحاوية. وجميع هذه التسميات منسوبة إلى المواقع التي تم فيها أعمال تنقيبات أو مسوحات أثرية، وأكثر من هذا، نجد أن بعض العلماء قد أخذوا التقسيمات الجغرافية بعين الاعتبار، حيث أطلقوا اسم «الحضارة الساحلية» على ما اكتشف من مخلفات العصر الحجري الحديث، الفخاري، في منطقة الساحل الفلسطيني^(٤٢).

كما أن هناك من العلماء من أطلق اسم العصر الحجري الحديث المبكر على مرحلة ما قبل الفخار واسم العصر الحجري الحديث المتأخر بعد اكتشاف الفخار^(٤٣). وبعد هذا التاريخ نجد أن تسميات العصر الحجري الحديث الأول والثاني والثالث والرابع قد أخذ بها بعض من الباحثين أيضاً^(٤٤).

وفي رأينا أنه يمكن قبول تقسيم مرحلة العصر الحجري الحديث إلى مرحلتين رئيسيتين هما: المبكر والمتأخر، والسبب يعود إلى شمولية هذا التقسيم حيث انه يمكن تطبيقه على جميع المخلفات الأثرية المكتشفة في شتى المواقع وفي مختلف مناطق

كان فيها إنساناً بدائياً يلتقط قوته اليومي التقاطاً وعاش معظم وقته في الكهوف، علماً أن عدداً من المواقع المكشوفة قد تم العثور عليه. لقد حدثت في نهاية العصر الحجري القديم تطورات في حياة الإنسان الأول عن بداية هذا العصر، وكان هذا التطور نتيجة لتطور الحضارة المحلية. ويمكن ملاحظة بعض هذه التطورات في اختراع الأدوات المركبة مثل المناجل (وهي عبارة عن أدوات صوانية صغيرة تثبت بداخل قطعة خشبية أقرن وعل) واستعملت لقطع الأعشاب البرية. كذلك لوحظ أن الإنسان في أواخر العصر الحجري القديم قد أخذ يطحن الحبوب البرية قبل أكلها كما أنه نوع مصادر طعامه فأخذ يصطاد الأسماك حيث

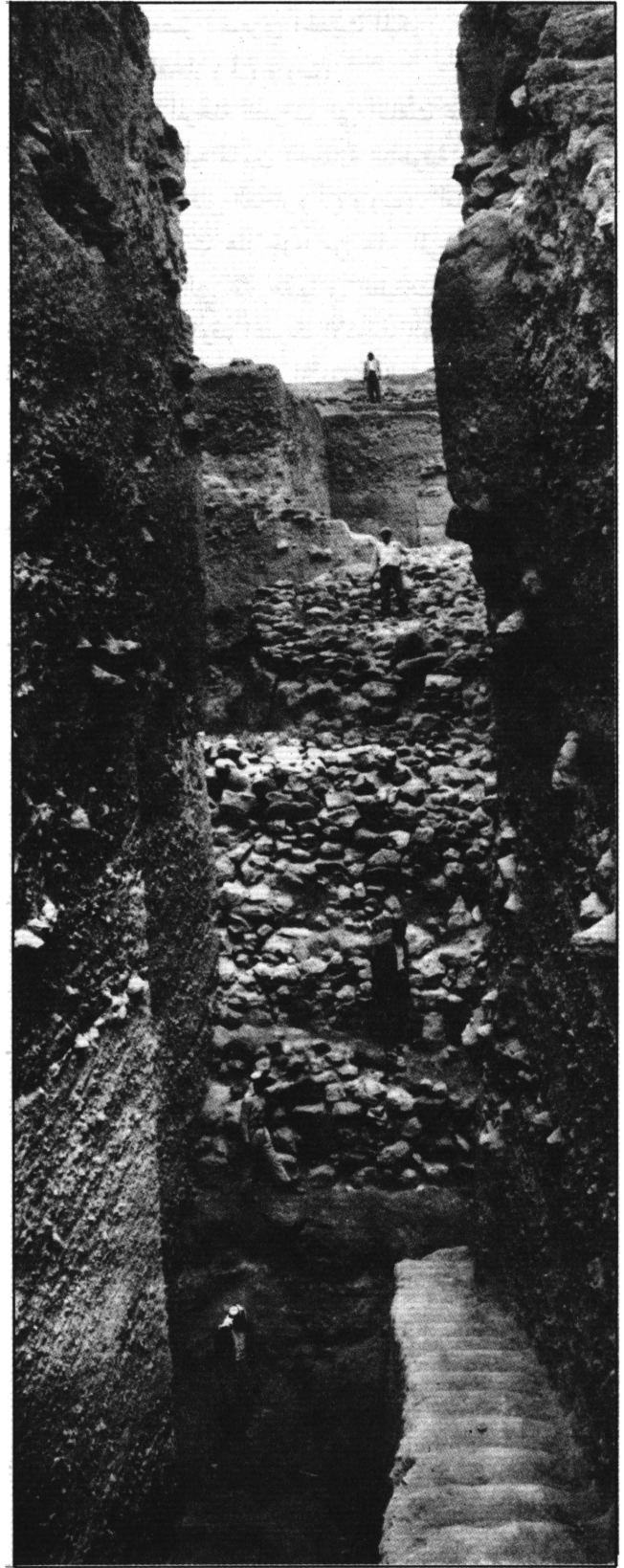
أولاً - بداية المجتمعات الزراعية: «العصر الحجري الحديث» (حوالي ٨,٠٠٠ - ٤,٠٠٠ ق. م):

إن الميل إلى الاستقرار الدائم في قرى ثابتة الذي بدأت مظاهره تبدو واضحة خلال المرحلة الانتقالية بين الإنسان الجامع للقوت والإنسان المنتج للقوت متمثل في مواقع متعددة في بلاد الشام. وتبلورت هذه المظاهر بشكل فعلي وكامل خلال مرحلة العصر الحجري الحديث. وعلى الرغم من أن اصطلاح نيوليثك يترجم على أنه «العصر الحجري الحديث»، الذي لا يعني ظهور أنواع جديدة من الأدوات فقط، لكنه فضلاً عن هذا يعني وجود حياة اقتصادية جديدة. فقبل فترة العصر الحجري الحديث كان كل إنسان يعتمد في معيشته على جمع غذائه واصطياد الحيوانات البرية، لكن ومع بداية هذه المرحلة بدأ الناس السيطرة على ما تزودهم به الطبيعة من مصادر غذائية وأصبحوا ينتجون طعامهم بزراعة المحاصيل وتربية الحيوانات.

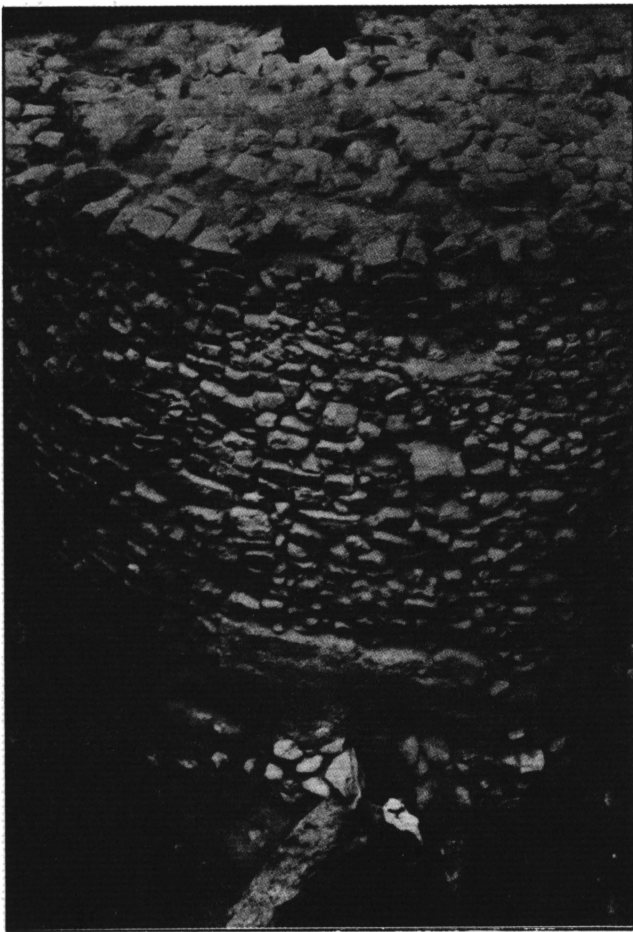
ولقد أصبحت هذه المرحلة من حياة الإنسان الأول محطاً لأنظار علماء ما قبل التاريخ من أمثال بريدوود (Braidwood) وميلرت (Mellaart) وكوفان (Cauvin) وغيرهم، وذلك للكشف عن ماهية هذه المجتمعات الزراعية الأولى، وفي دراستهم لها حاولوا تقسيمها إلى عدة مراحل مختلفة مطلقين عليها أسماء واصطلاحات متعددة، فمثلاً نجد أن العالمة كاثلين كنيون التي نقتب في الفترة الواقعة ما بين ١٩٥٢ - ١٩٥٨ في تل السلطان

وتعود إلى هذه المرحلة فكانت تتكون من عظام الغزلان والماشية والخنائير والثعالب^(٤٦). وبناء عليه فإنه يبدو أن حياة الإنسان في فلسطين في هذه المرحلة لم تكن تختلف عنها في المرحلة السابقة إذ عاش الإنسان صياداً وجامعاً للقوت.

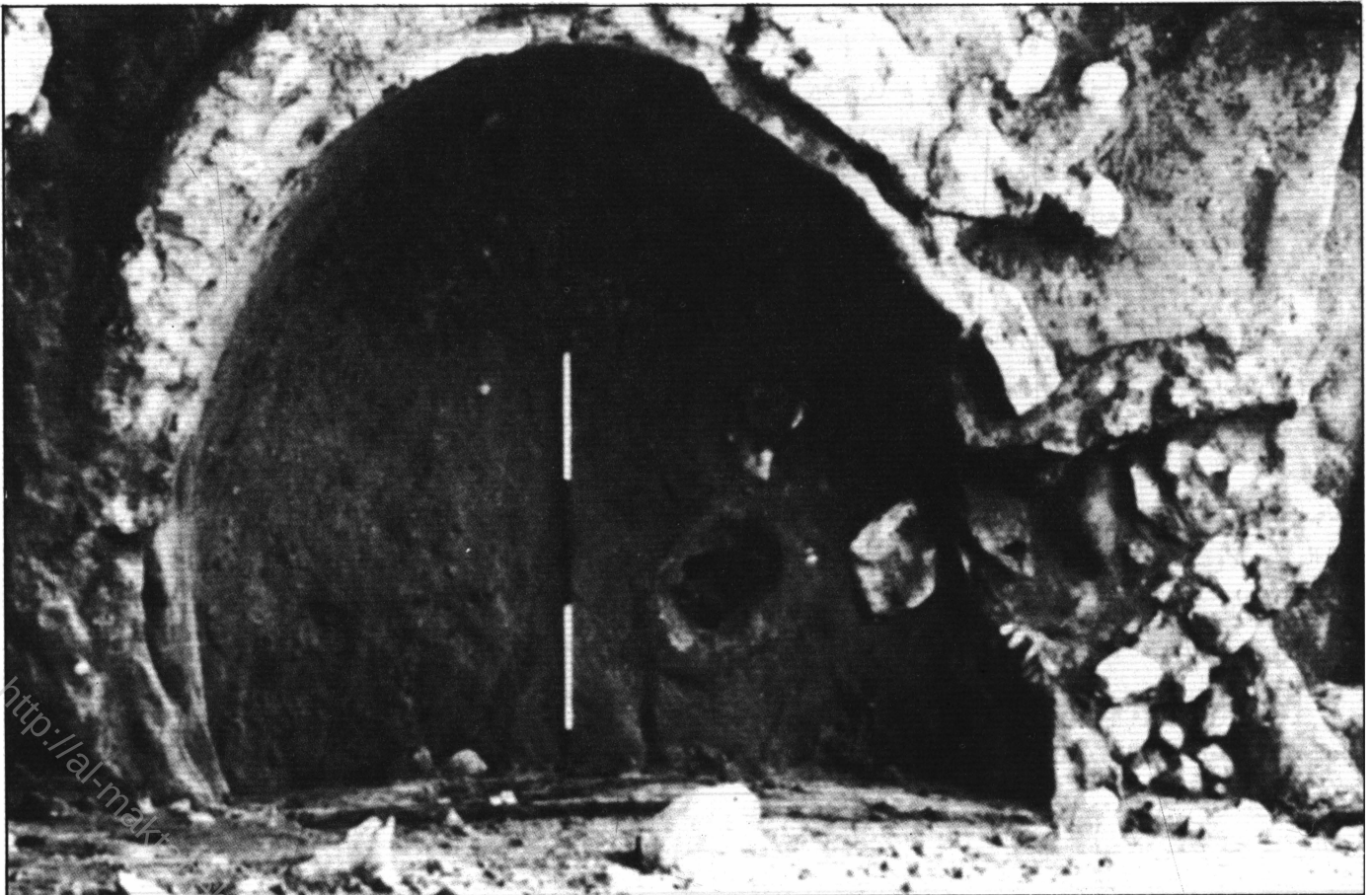
وفضلاً عن أريحا فقد تمثلت هذه الحضارة في موقع ثان فقط في فلسطين هو وادي الفلاح على الساحل الفلسطيني بالقرب من حيفا^(٤٧). واعتماداً على تواريخ الكربون المشع التي حصل عليها المنقبون من سويات العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (أ) فقد اتفق على أنه يعود للفترة الواقعة ما بين ٨,٠٠٠ - ٧,٠٠٠ ق. م. ففي مدينة أريحا وفوق بقايا المرحلة الانتقالية ما بين الحضارة الناطوفية والعصر الحجري الحديث استطاعت المنقبة أن تميز بيوتاً دائرية الشكل مبنية من طوب ترابي ذي شكل أفقي - محدب. ويظهر من بقايا الجدران أنها كانت تميل قليلاً إلى الداخل، مما يعطي الانطباع بأن سقوف هذه البيوت



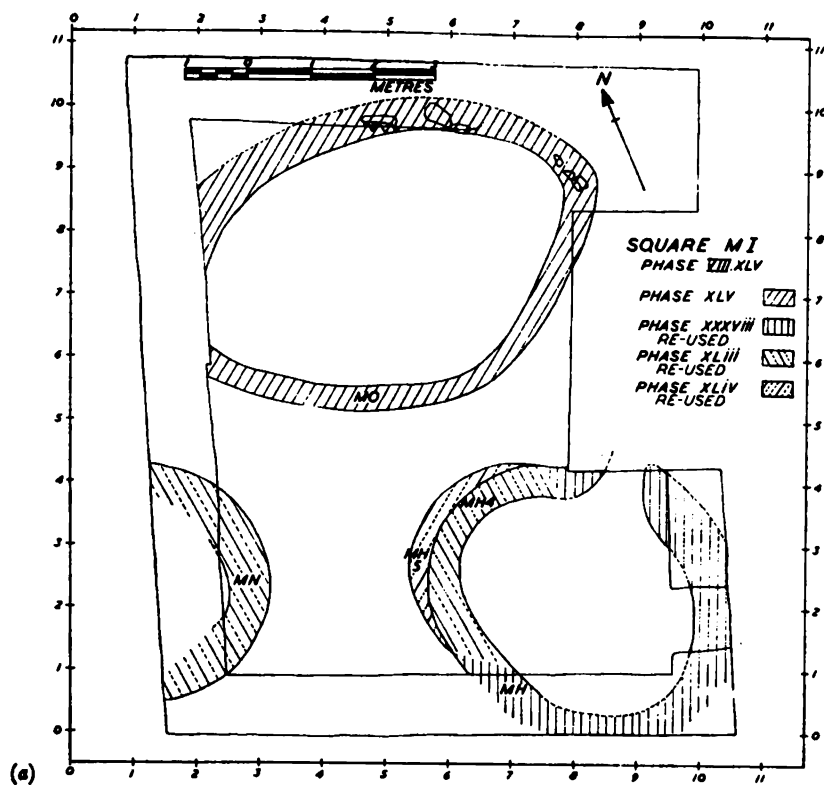
منظر عام يوضح التحصينات الدفاعية التي تعود للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار أ في أريحا



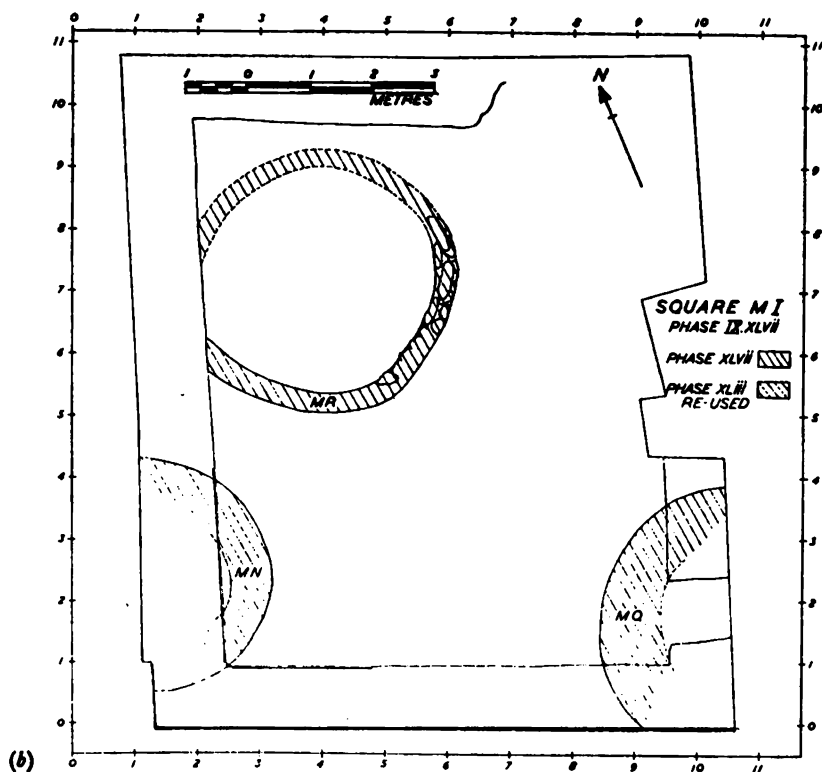
منظر عام يوضح البرج الحجري الذي يعود إلى مرحلة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار أ في أريحا



بيوت دائرية الشكل بنيت من الطوب الترابي تعود للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخاراً عثر عليها في أريحا



(a)



(b)

مخططات لبيوت سكنية تعود للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار أ، عثر عليها في أريحا

ولا يعرف حتى الآن بالضبط هل كانت هذه الفترة قد انتهت في مدينة أريحا عن طريق عوامل طبيعية كالزلازل أو على يد قادمين جدد، لكن كنيون تذكر بأنه كان هناك هجران سكاني لموقع أريحا بين هذا العصر والعصر اللاحق^(٥١).

تميز العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (ب) الذي يعود إلى الفترة الواقعة ما بين حوالي ٧,٠٠٠ و ٦,٠٠٠ ق.م عن العصر السابق بحدوث تغير واضح في وسائل المعيشة والإنتاج، فقد توصل الإنسان لتدجين الحيوانات، وكما حدث تغير في أنماط البناء والأدوات، إذ تميزت الأدوات الصوانية بالشفرات الرقيقة والطويلة ورؤوس السهام ذات التتوء، كذلك الأمر من النواحي المعمارية حيث أصبحت البيوت تبنى غالباً بشكل منتظم: إما مربع أو مستطيل. ومن ناحية أخرى فقد جاءت الأرضيات والجدران مقصورة وأحياناً مغطاة بطبقة من الدهان الأحمر.

أما من الناحية الاقتصادية فيبدو أن الإنسان كان لا يزال يعتمد بعض الشيء في حياته اليومية على الصيد إلى جانب الزراعة. وفي موقع أريحا ظهرت أولى بؤادر الحيوانات المدجّنة مثل الماعز والكلب والوعل إلى جانب الحيوانات غير الأليفة مثل الخنزير والماشية^(٥٢).

وفي موقع البيضا بالقرب من البتراء في جنوبي الأردن فقد ذكر المنقبون أن الإنسان كان يعتمد على زراعة المحاصيل ورعي المواشي فضلاً عن الصيد في معيشته اليومية^(٥٣). وأما في موقع المنحطة، إلى الجنوب من بيسان فقد تم العثور على بقايا حيوانية تمثل الماشية والماعز والأغنام والخنائير^(٥٤).

أما النباتات التي كان يزرعها الإنسان الأول في فترة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (ب) فكانت متنوعة أيضاً فقد تم العثور في مدينة أريحا على بذور الشعير والقمح والبازيلاء والعدس والنباتات العلفية^(٥٥). وبالإضافة إلى هذا فقد تم التعرف في موقع البيضا إلى الشمال من البتراء في الأردن على بقايا بذور الفستق والبلوط. أما في عين غزال بالقرب من عمان فقد عثر المنقبون على كميات كبيرة من الحمص.

وقد جاءت معظم الأدوات المصنوعة من مادة السبع (الأوبسديان) في أريحا مستوردة من منطقة الجفتلك في منطقة ديار بكر في بلاد الأناضول، في حين جاء بعضها الآخر والتي عثر عليها في البيضا في الأردن مستوردة من منطقة نمروت داغ بالقرب من بحيرة وان في البلاد نفسها.

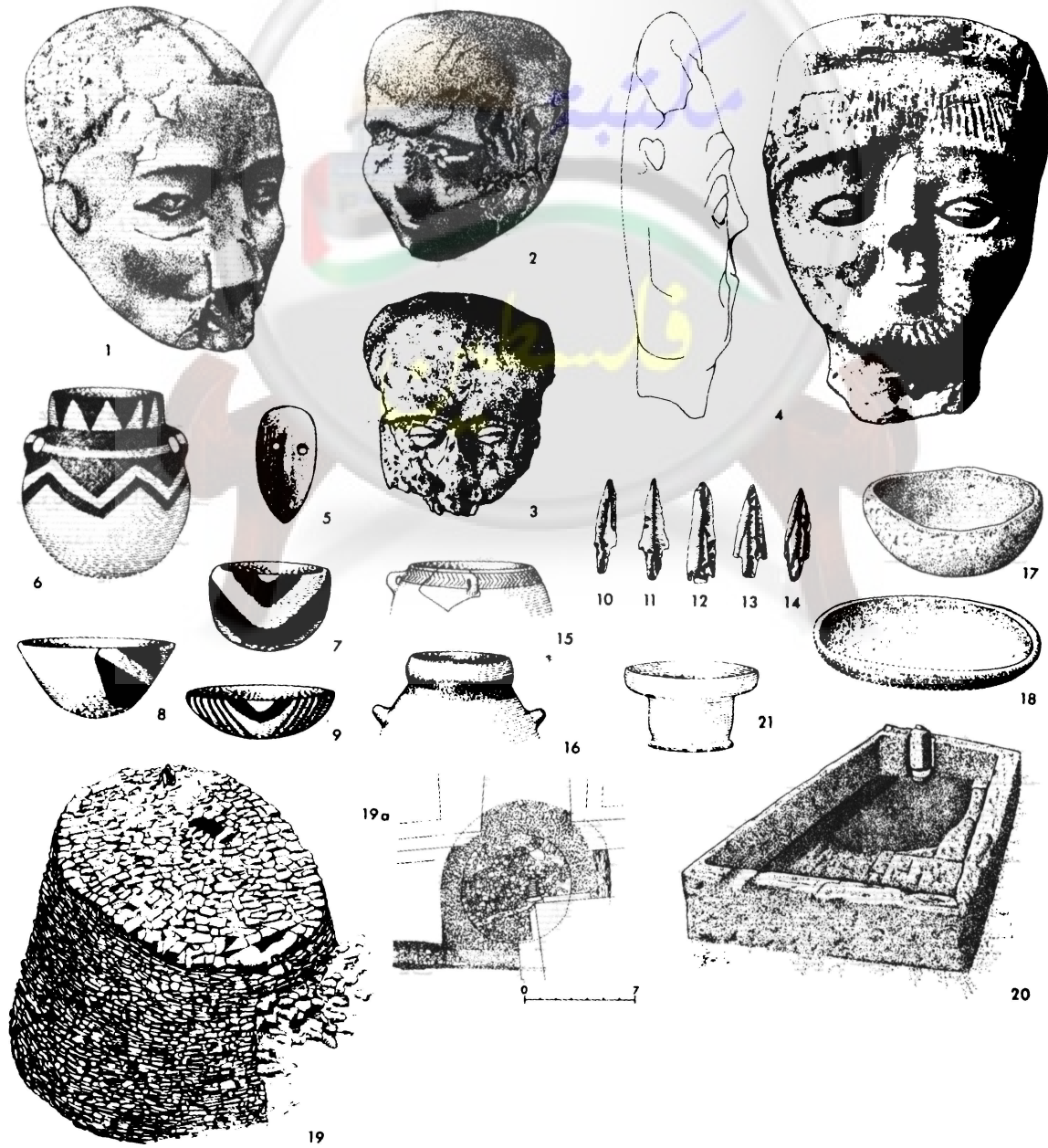
ربما كانت على شكل قباب، كما تم اكتشاف درج يقود إلى داخل البيوت التي كانت مبنية تحت مستوى سطح الأرض. أما أهم ما عثر عليه من بقايا معمارية في أريحا من هذا العصر فكان نظام التحصينات المكون من جدار وبرج وخنق. ففي الجهة الغربية للموقع عثر على جدار يبلغ عرضه ١,٥ م ويبلغ ارتفاع الأجزاء المتبقية منه حوالي ٣,٩٠ م. وفي الجهة الداخلية لهذا الجدار بني برج من الحجارة يبلغ ارتفاعه ٨,٥ م، وبداخله درجات تؤدي من أسفله إلى أعلاه، وقد بررت كنيون بناء مثل هذا البرج لأغراض دفاعية^(٥٦). وعثر على بيوت دائرية مشابهة لبيوت أريحا في هذه الفترة في مواقع مختلفة من بلاد الشام مثل عين الملاح وادي الفلاح في فلسطين وتل المريط وتل أسود في سوريا.

أما الأدوات الصوانية المنسوبة إلى مرحلة ما قبل الفخار (أ) فقد تميزت برؤوس السهام ذات التتوءين على كل جانب من الجوانب والمثاقب المشدبة على الوجهين والأزاميل والفؤوس اليدوية والسكاكين وشفرات المناجل. ففضلاً عن أريحا عثر على بعض هذه الأنواع من الأدوات في مواقع وادي الفلاح والخيّام وجلجلال في فلسطين أيضاً.

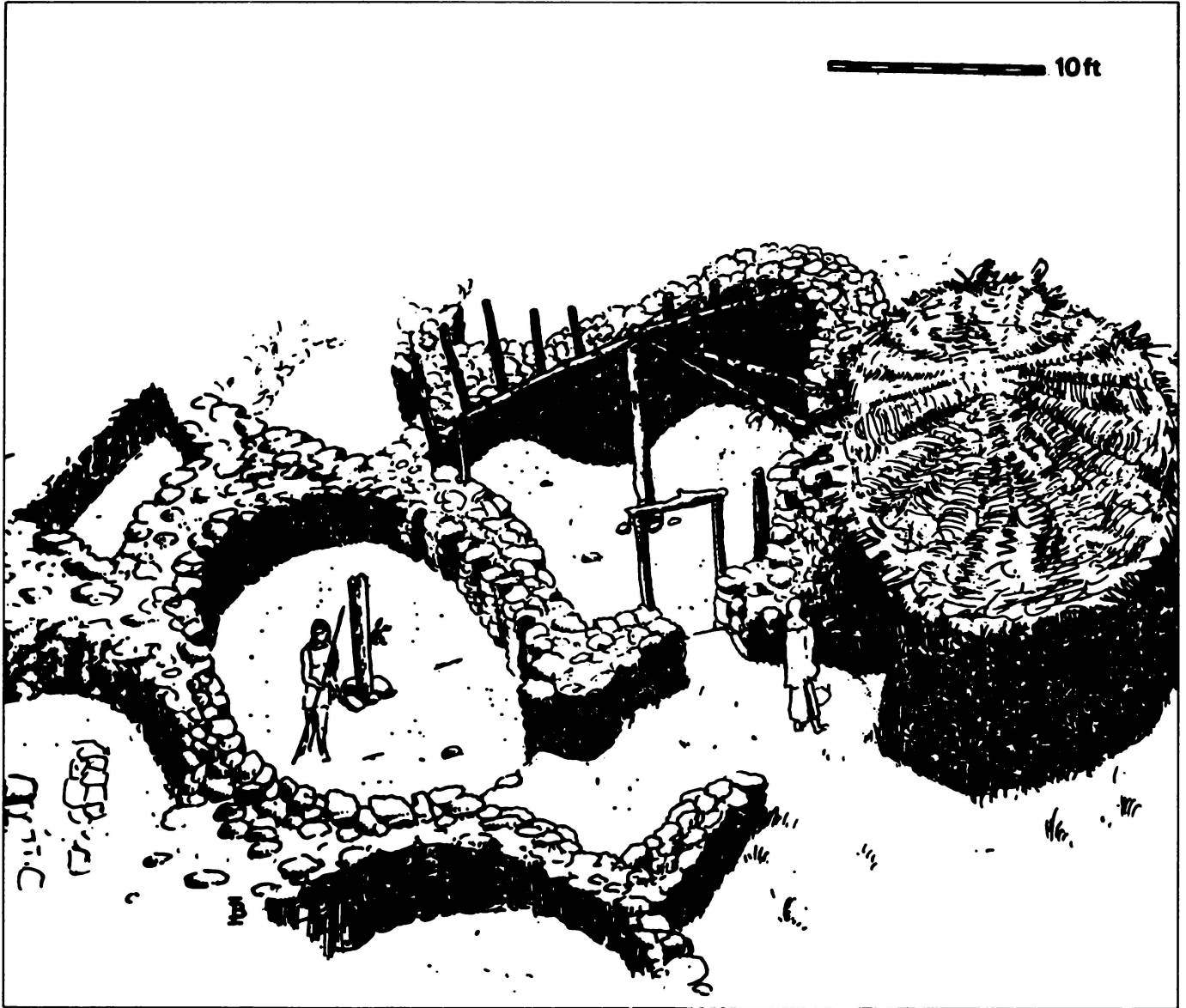
ومع العلم أنه قد تم العثور على بقايا بذور شعير وقمح وتين في أريحا من سويات هذا العصر^(٥٧) فإنه يبدو أنه كان لا يزال للصيد دور كبير في حياة الإنسان، ويبدو أن الحيوان الذي كان يصطاد ويؤكل بكثرة هنا هو الغزال، والدليل على هذا العدد الكبير من العظام التي عثر عليها في مواقع أريحا وادي الفلاح.

وهكذا يمكننا أن نخلص إلى أن الإنسان في هذه المرحلة كان يعتمد في حياته على الصيد بالإضافة إلى زراعة بعض الحبوب، لكنه لم يتوصل في هذه الفترة إلى تربية الحيوانات، وإلى جانب ذلك كانت هناك صلات تجارية بين فلسطين وبلاد الأناضول، حيث تم العثور على عدد من الأدوات المصنوعة من مادة السبع «الأوبسديان» الذي كانت تصدّره بلاد الأناضول إلى أريحا وغيرها. ومقابل هذا فإن أريحا ربما صدرت المواد الخام مثل القار والملح من البحر الميت^(٥٨).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن عدد المواقع التي تعود إلى هذا العصر قليل جداً مقارنة بمواقع العصور السابقة واللاحقة، ففضلاً عن مواقع أريحا وادي الفلاح والخيّام وجلجلال في فلسطين تم جمع بعض الأدوات من مواقع أخرى في شرقي الأردن مثل منطقة جبل عويند والحراثة وادي صبرا ذكر أنها تعود إلى هذا العصر.



- جماجم بشرية مزخرفة عثر عليها في أريحا تعود للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (الأرقام من ١ - ٥)
- أوان فخارية تعود للعصر الحجري الحديث (الأرقام من ٦ - ٩، ١٥ - ١٦)
- رؤوس رماح صوانية تعود للعصر الحجري الحديث (١٠ - ١٤)
- صحون حجرية تعود للعصر الحجري الحديث (١٧ - ١٨)
- برج أريحا الحجري والذي يعود إلى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (رقم ١٩)
- مخطط توضيحي لأحد البيوت من أريحا يعود للعصر الحجري الحديث (رقم ٢٠)



مخطط يمثل بيوت العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب في موقع البيضا بجنوب الأردن

والخيام وغيرها. أما في الأردن فإن أهم موقع إلى جانب البيضا هو موقع عين غزال فضلاً عن مئات المواقع الأخرى.

يغطي موقع عين غزال مساحة تبلغ حوالي (١٢٠ دونماً) ويعتبر من أكبر مواقع العصر الحجري الحديث المبكر في الشرق الأوسط، ومساحته تعادل ثلاثة أضعاف مساحة أريحا في ذلك الوقت. ويقع على الضفة الغربية لنهر الزرقاء على الطريق الرئيسي بين عمان والزرقاء، ويمثل مجموعة من البيئات المختلفة حيث هناك هضاب جبلية مكسوة بالأشجار وسفوح جبلية خصبة وأراض رعوية، ولقد زرع سكان عين غزال القدامى البازيلاء والعدس والشعير والتين والقمح والحمص، وكانت الماعز الأليفة هي المصدر الرئيسي للحوم، علماً أن عملية صيد الغزلان وبعض الحيوانات الأخرى كان لا يزال لها دور رئيسي في حياة هؤلاء الناس. وعثر في هذا الموقع على عدد من البيوت المنتظمة الشكل والمبنية من الحجارة وجاءت أرضيات هذه البيوت وجدرانها مغطاة بطبقة من القصارة ومدهونة باللون الأحمر. ومعظم البيوت المكتشفة تتراوح ما بين ٥ - ٨ م طولاً، علماً أنه بلغ طول أحد البيوت حوالي ١٥ متراً.

وكما هو الحال في أريحا كذلك كان في موقع عين غزال، فعند موت شخص مانجد أنهم كانوا يدفنونهم تحت أرضيات البيوت، ويبدو أنه كانت هناك قاعدة بأن يدفن الشخص المتوفى بالقرب من موقع الموقد في غرفة الجلوس بعد أن يعاد قصارة أرضية الغرفة مرة أخرى. إن إمكانية وجود طبقتين من الناس عاشوا في موقع عين غزال واردة من خلال مدفن عثر عليه في حفرة نفايات. وربما يدل هذا على أن هذا الشخص لم يقدر أو يحترم بعد وفاته وربما يكون عبداً ولم يملك بيتاً خاصاً به.

(ب) مرحلة العصر الحجري الحديث المتأخر:

اليرموكية، العصر الحجري الحديث الفخاري (أ) و (ب):

تميزت هذه الفترة عن سابقتها بمعرفة الإنسان الأول لمادة الفخار واستعمالها في صناعة أدواته اليومية. ففي مدينة جبيل في لبنان وفوق سويات العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (ب) تم اكتشاف نوع من الفخار الأسود المصقول، وهذا النوع من الفخار اكتشف في قليل من المواقع الفلسطينية.

وفي نهاية مرحلة العصر الحجري الحديث المبكر وبداية المتأخر يبدو أن فلسطين كغيرها من مناطق بلاد البحر المتوسط قد تعرضت لتغيرات مناخية، حيث نرى أنه قد تراجعت في منطقة

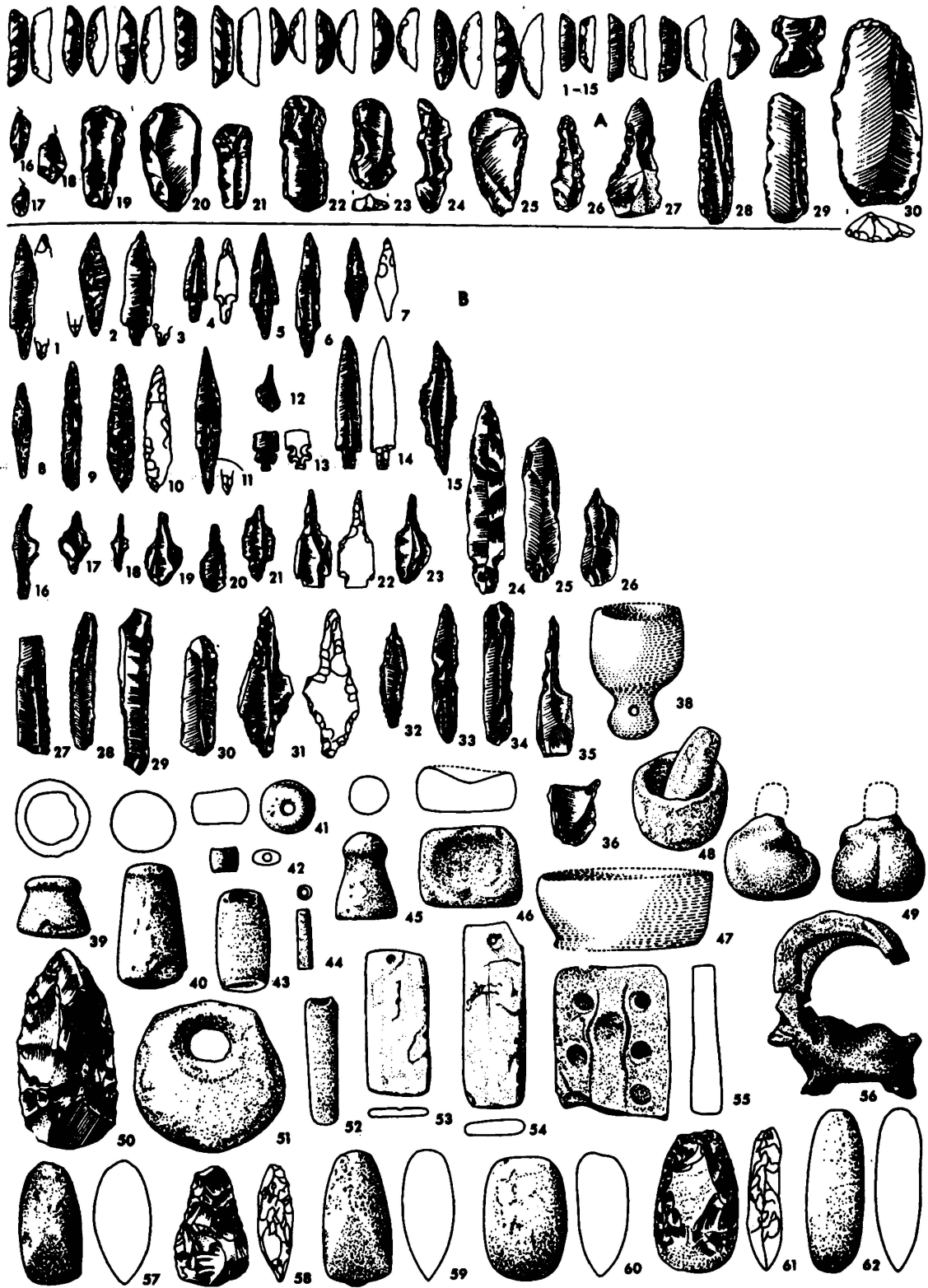
أما بالنسبة للأجران وأدوات الطحن فقد كانت غالباً ما تتكون من مادة البازلت، وتميزت بأن لها أيدياً على شكل سرج ودون حواف كذلك كانت هناك للأجران مدقات ومهارس مصنوعة من حجر الغرانيت كما هو الحال في موقع البيضا في الأردن.

ومن مميزات فترة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (ب) هو ظهور نوع جديد من الأدوات يسمى الأواني المصنوعة من العجينة البيضاء، هذه العجينة تتركب من الحجر الجيري أو الجبس فضلاً عن الرماد في بعض الأحيان. وقد تميزت هذه الأدوات بأن جاءت في الغالب كبيرة الحجم وجدرانها سمكية جداً وسطحها غالباً ما تكون مصقولة. مثل هذه الأدوات عثر عليها في موقع المنحطة وأبو غوش في فلسطين وعين غزال في الأردن ومواقع أخرى في سوريا ولبنان.

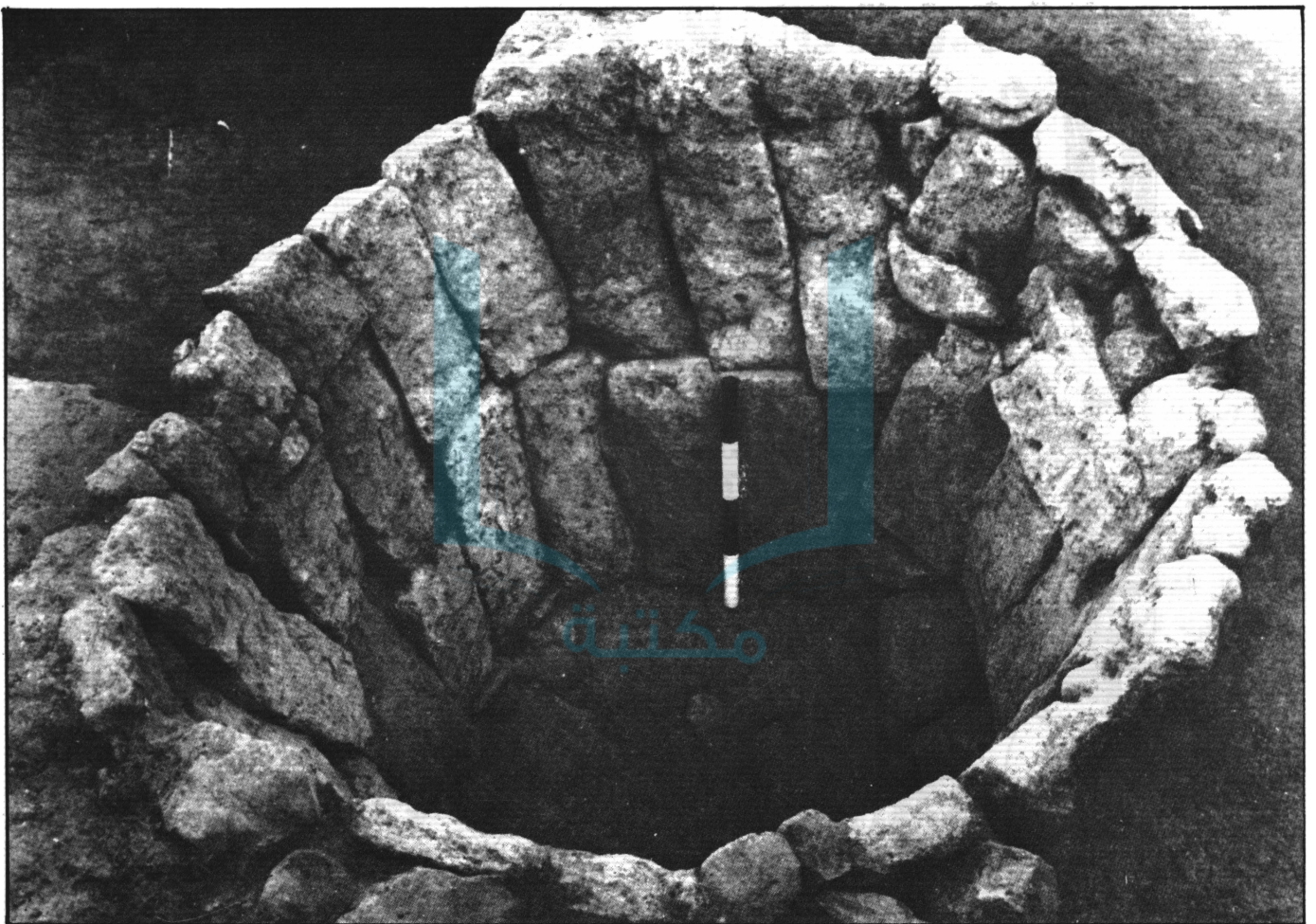
في عام ١٩٣٥ تم العثور في أريحا على مجموعتين من التماثيل الصغيرة، وقد ذكر المنقب بأنهما تعودان إلى فترة العصر الحجري الفخاري^(٥٦)، في حين تعتقد كنيون بأنها يجب أن تؤرخا إلى فترة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار^(٥٧)، وقد كانت كل مجموعة تمثل رجلاً وامراً وطفلاً، وقد جاء شعر الرأس واللحية مرسوماً بأشرطة من الدهان، أما العينان فاستعيض عنها بصدفتين صغيرتين. وذكر ديفو بأن هذه المجموعة لها صفة دينية تمثل إلهاً وإلهة وإلهاً وطفلاً^(٥٨). وقد عثر على مثل هذه التماثيل مؤخراً في موقع عين غزال.

وبشكل عام فإن الناس في فترة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (ب) قد عبدوا أو قدسوا أسلافهم حيث عثر على مجموعة من الجماجم مفصولة عن الهياكل العظمية في أريحا وتعود إلى هذا العصر. وقد استعيض عن العيون بالأصداف البحرية وعن عضلات الوجه بطبقة من القصارة. وإحدى هذه الجماجم عليها رسوم تمثل الشارب، والهياكل العظمية التي تخص هذه الجماجم جاءت مدفونة تحت أرضيات البيوت. مثل هذه العادة وجد أنها مورست في هذه الفترة ليس فقط في فلسطين وإنما في مناطق مختلفة من سوريا والأردن (تل الرماد، عين غزال).

كذلك يبدو أن الأحوال الجوية قد تحسنت في هذه الفترة عن الفترة السابقة^(٥٩). وهذا مما سبب في زيادة الاستقرار وانتشار المواقع الأثرية التي تعود إلى هذه الفترة على مساحة واسعة من بلاد الشام، ومن أهم المواقع التي عثر عليها في فلسطين، عدا أريحا والمنحطة، مواقع أبو غوش والشيخ علي وبيسامون وعين أم الفلوس



أدوات صوانية وبازلتية وتمثال صغير يمثل حيواناً من موقع البيضا في جنوب الأردن تعود إلى فترة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار



حفر أرضية استعملت للسكن في أريحا تعود لفترة العصر الحجري الحديث الفخاري

وبأدوات صوانية مختلفة الأشكال منها المناكيش والأزاميل والمخارز وشفرات المناجل التي كانت أسنانها بارزة بشكل كبير وبرؤوس السهام. إن المواقع التي تم العثور فيها على مخلفات يرموكية تمتد على مساحة واسعة من بلاد الشام، حيث تم التعرف على مخلفات بشرية من هذه الحضارة في جبيل في لبنان شمالاً وحتى عين غزال في الجنوب. وربما تكشف التنقيبات الأثرية المستقبلية عن هذه الحضارة لتشمل رقعة أوسع.

● **مرحلة العصر الحجري الحديث الفخاري «أ»:** في موقع أريحا تبع سكان مرحلة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (ب) أناس عرفوا صناعة الأدوات الفخارية. هذه الأدوات تميزت بأنها كانت مدهونة بزخارف حمراء اللون ومصقولة. وهذا النوع من الفخار عثر عليه في أريحا داخل حفر كانت مقطوعة في الطبقات العليا من المرحلة السابقة. أما في بقية فلسطين فلقد تم العثور على مثل هذا النوع من الفخار في المنحطة وفي تلييلات البطاشي^(٦٣)، وفي جفعات هابرسا^(٦٤)، وقد تميز فخار العصر الحجري الحديث الفخاري «أ» بالأشكال البسيطة مثل الصحون والجرار البيضوية الشكل وبأن العجينة كانت مخلوطة بالقش. أما الزخارف فكانت مدهونة باللون الأحمر على أرضية لونها كريمي وبأشكال مثلثات أو خطوط بسيطة أو بشكل متعرج.

ولقد أظهرت هذه المواقع جميعها على أن الإنسان في هذه الفترة قد استعمل الحفر للسكن. وذكرت كنيون أنه ليس من الممكن معرفة هل كانت أريحا قد هجرت لبعض الوقت قبل بداية العصر الحجري الحديث المتأخر أم أن الموقع قد دمره قادمون جدد. وبينما نجد أن ديفو يعتقد بأن صناعة الفخار قد دخلت إلى أريحا عن طريق قادمين جدد^(٦٥)، نرى أن ميلرت يجادل بأن هذه الجماعة قد وصلت من الاتجاه الشمالي أو الشمال - الشرقي لفلسطين^(٦٦). وعلى أية حال فإن كنيون ذكرت بأنه كان هناك انقطاع سكاني واسع في أريحا في الفترة الواقعة ما بين نهاية العصر الحجري الحديث المبكر وبداية المتأخر. وهذا الأمر غير ممثل في جميع مواقع بلاد الشام.

أما الإنسان فقد اعتمد في حياته اليومية على صيد الأسماك والحيوانات وتربية الماشية والزراعة على درجة أفضل من الفترات السابقة. فضلاً عن المواقع المذكورة فقد اكتشفت مواقع أخرى في الأردن تعود إلى هذه الفترة، من أهمها: موقع الذراع في جنوبي الأردن^(٦٧). علماً أن مواقع هذا العصر جاءت قليلة بل نادرة عند المقارنة بعدد مواقع الفترات السابقة واللاحقة.

الأردن مناطق السكن في نهاية المرحلة المبكرة من العصر الحجري الحديث من مناطق الصحراء الأردنية إلى المناطق الجبلية ومنطقة وادي الأردن، مع العلم أنه قد تم العثور على مواقع تعود للفترة المبكرة من العصر الحجري الحديث لكنها ربما تكون قد استعملت كمخيمات موسمية أو مناطق غير دائمة للسكن، وأن بعض المجتمعات قد تحولت إلى مجتمعات رعوية تربي المواشي ومن أهم هذه المواقع موقع عين أبو نخيلة في وادي رم^(٦٨).

اعتمد الناس في هذه المرحلة في معيشتهم على زراعة المحاصيل الزراعية وتربية الحيوانات المستأنسة. ولقد ذكر بأن القرى الزراعية قد أخذت في هذه الفترة في التوسع وأنه لم يكن للتجارة الدور نفسه الذي كان لها في السابق^(٦٩).

ومن خلال دراستنا للمخلفات الإنسانية المكتشفة في فلسطين والأردن، التي تعود بتاريخها إلى هذه المرحلة أمكننا تقسيمها إلى قسمين فرعيين هما:

● **العصر الحجري الحديث المتأخر الأول:** وهذا يتمثل في الحضارة اليرموكية - التي استمدت أصولها من مواقع مختلفة في غور الأردن - وفي أريحا الطبقة التاسعة (مرحلة الفخار «أ») وفي المنحطة الطبقة ٢ (ب).

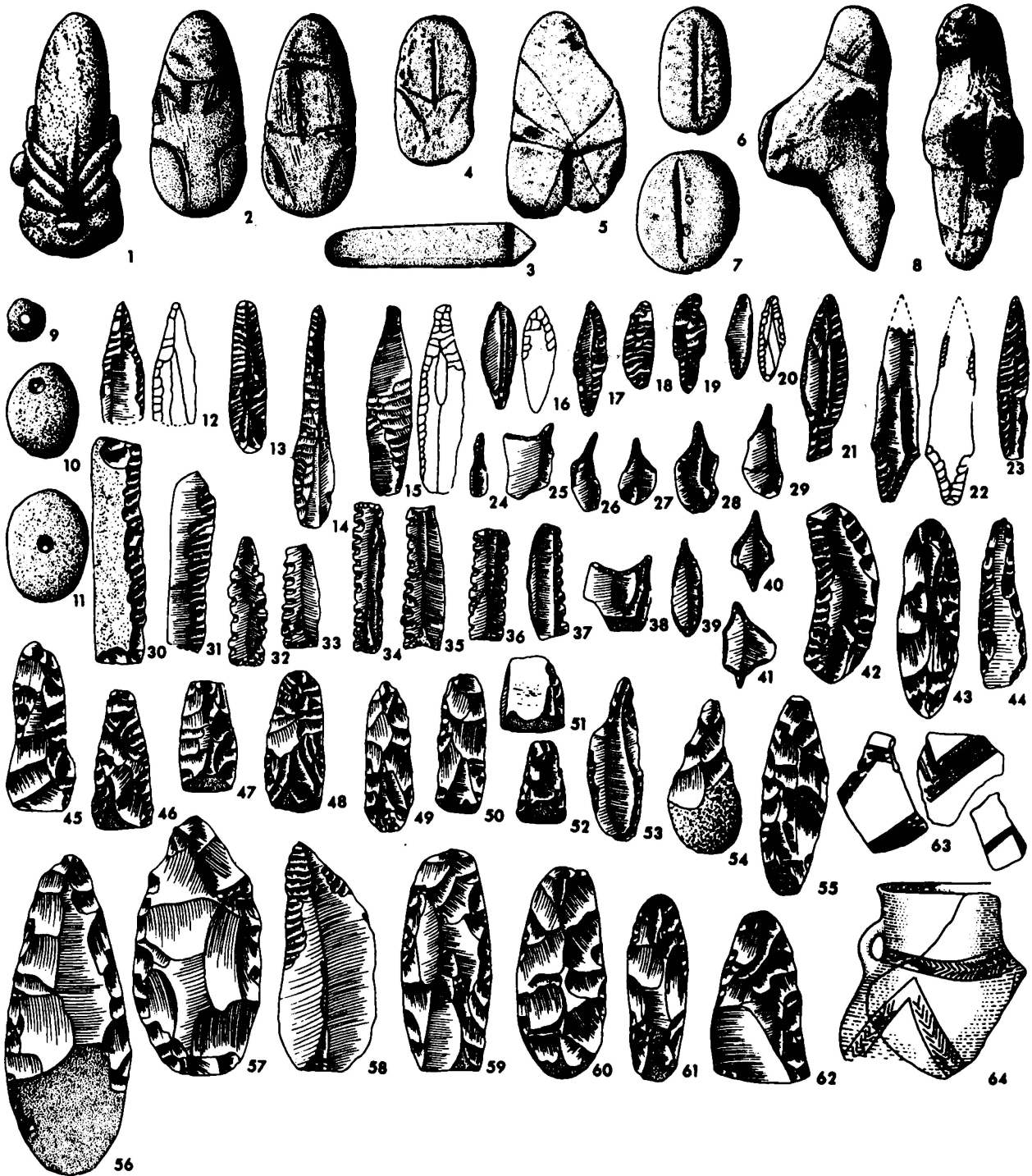
● **العصر الحجري الحديث المتأخر الثاني:** ويتمثل في أريحا الطبقة الثامنة (الفخار «ب») والمنحطة ٢ (أ) ومواقع فلسطينية أخرى.

وفيا يلي نلقي الضوء على كل فترة على حدة.

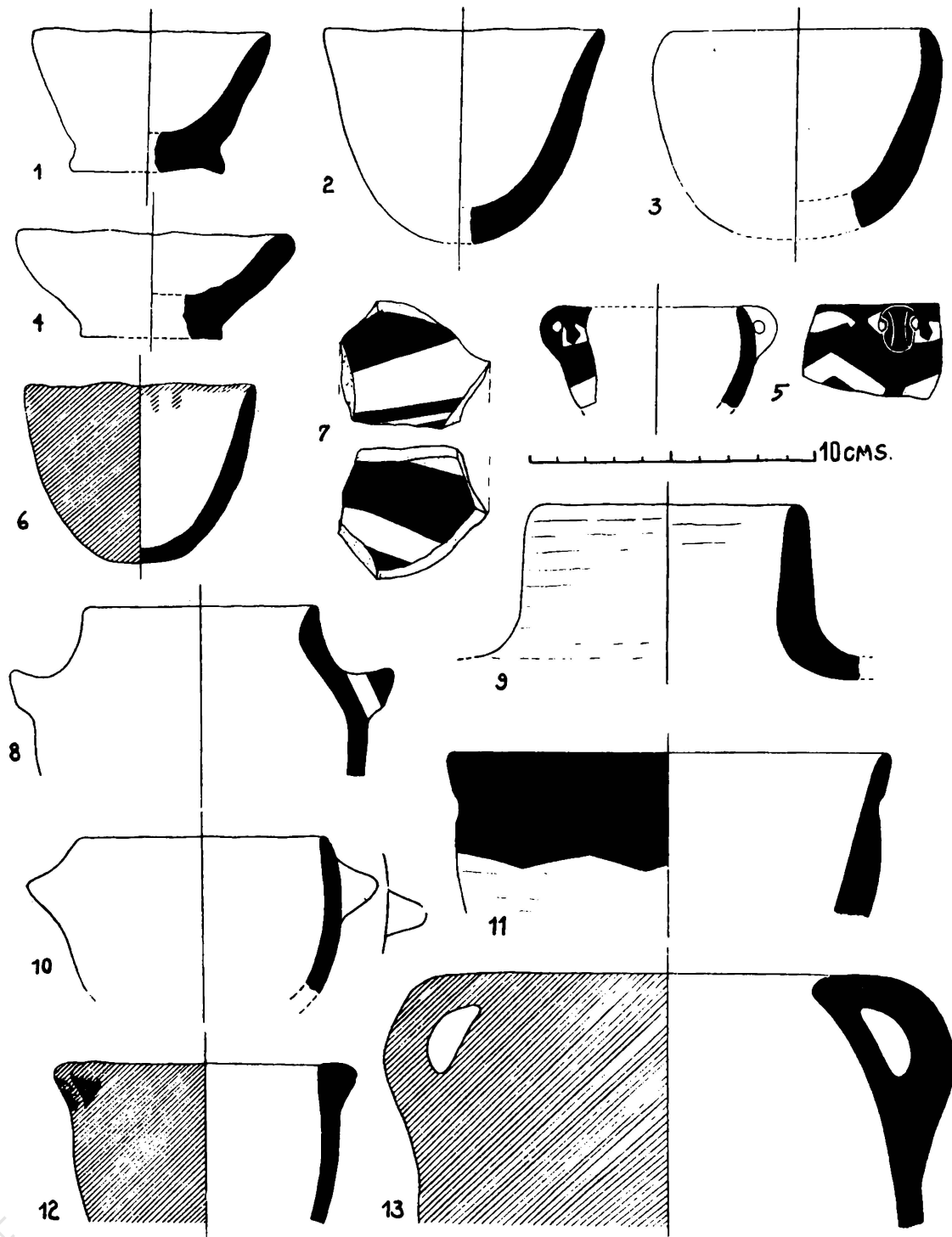
(١) العصر الحجري الحديث المتأخر الأول:

● **الحضارة اليرموكية:** يبدو لنا أن الحضارة اليرموكية تمثل المرحلة الأولى لصناعة الأدوات الفخارية في كل من فلسطين والأردن، ما لم يكتشف مستقبلاً شيء يناقض هذا، واسم اليرموكية كان قد أطلق من قبل المنقب الذي نقب في موقع الأقحوانة عند مصب نهر اليرموك في وادي الأردن، والذي اعتبر أن أدوات هذه الحضارة أقدم في تاريخها من الأدوات الفخارية التي اكتشفت في أريحا^(٦٧). وهذا ما ثبتت صحته مقارنة بما ظهر في موقع المنحطة إلى الجنوب من بيسان وعين غزال وأبو الشواب وعين راحوب في الأردن. ولقد جاءت جميع الأدوات المكتشفة في الأقحوانة من طبقة واحدة مكونة من تراب رمادي.

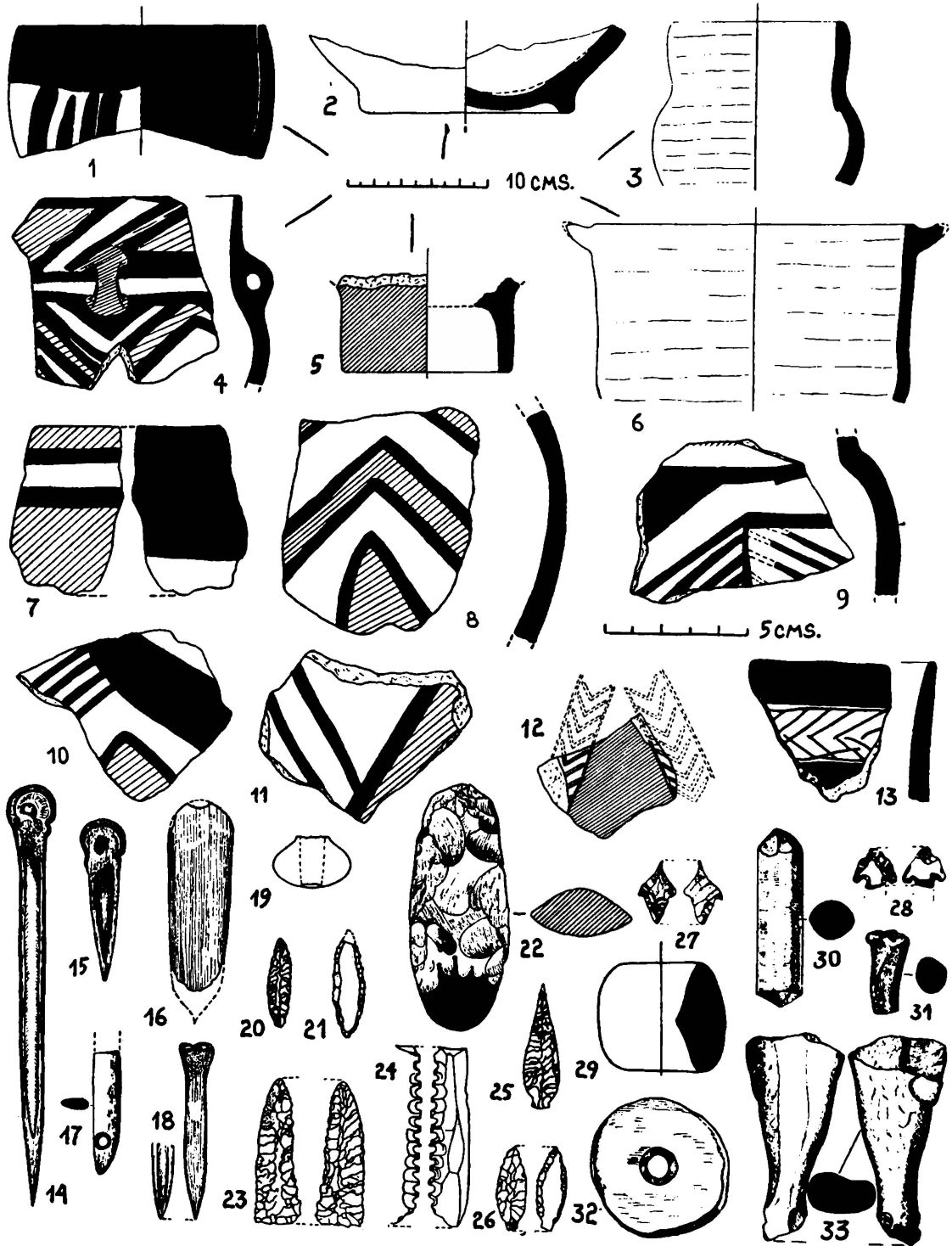
ولقد تميزت الحضارة اليرموكية بفخار محزز ومزخرف بالزخرفة المسماة زخارف عظام ظهر السمكة والمدهون أحياناً باللون الأحمر الغامق، وتماثيل صغيرة محفورة على الحصى،



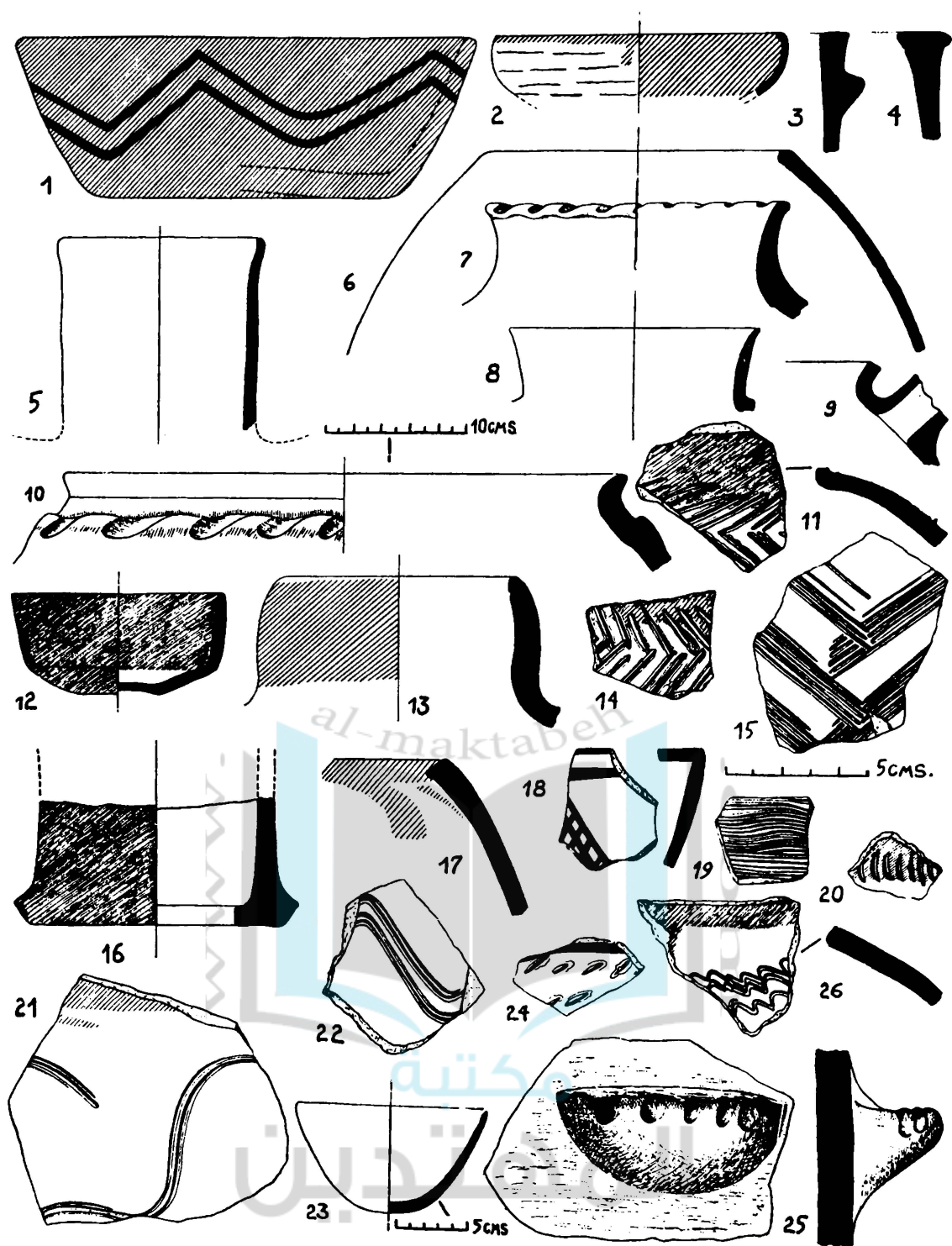
دمى وأدوات صوانية وفخارية تمثل الحضارة البرموكية من موقع الأقحوانة (شعار هاجولان) بفلسطين وتعود لفترة العصر الحجري الحديث المتأخر الأول



أوان فخارية من موقع تليلات البطاشي الطبقة IV في فلسطين وتعود للعصر الحجري الحديث الفخاري أ



آنية فخارية وأدوات صوانية وعظمية من موقع تليلات البطاشي وتعود بتاريخها للعصر الحجري الحديث الفخاري



أوان فخارية من موقع تليلات البطاشي، الطبقة III تعود للفترة الانتقالية ما بين العصر الحجري الحديث الفخاري والعصر الحجري النحاسي

(٢) العصر الحجري الحديث المتأخر الثاني:

من دراسة الأدوات الفخارية المكتشفة في أريحا استطاع كل من غارستغ وكنيون تمييز نوعين من الفخار، عثر عليهما معاً في حفر استعملت للسكن. النوع الأول سمي «أ» والنوع الثاني سمي «ب». ويجادل العديد من العلماء بأنها جاءا مختلطين معاً في أريحا، وهذا صحيح، وبناء عليه نجد أنهم يفضلون اعتبارهما يعودان لفترة واحدة^(٦٨). لكن، واعتماداً على الحفريات التي أجريت في موقعي المنحطة في فلسطين وتلييلات الغسول في الأردن حيث عثر على كل من النوعين السابقين في طبقة منفصلة عن الأخرى، فإننا نفضل اعتبارهما يعودان لفترتين مختلفتين متتاليتين. وفضلاً عن استعمال الحفر للسكن فقد بنى الإنسان لنفسه بيتاً في هذه الفترة. ففي أريحا عثر على بيوت مستطيلة الشكل ومبنية بطوب ترابي يختلف في شكله عن الذي استعمل في الفترات السابقة، حيث جاءت الطوبة الواحدة ذات مقطع دائري الشكل بقاعدة مبسطة وبسطح منحني، وموضوعة فوق ملاط طيني ومبنية فوق جدار تأسيسي مبني من صف واحد من الحجارة.

وقد تميزت هذه الفترة بتطور كبير في صناعة الأدوات الفخارية والصوانية التي تميزت بزخارف محفورة. وجاءت العجينة أكثر صلابة وأفضل حرقاً عنها في الفترة السابقة. أما استعمال القش في العجينة فقد جاء أقل من الفترة السابقة. فضلاً عن هذا ظهرت أشكال جديدة للأنية الفخارية نذكر منها على سبيل المثال الجرار ذات العنق على شكل قوس وأيد على شكل حلقة واسعة تصبح عريضة عند اتصالها سواء بالبدن أو بالعنق، ولقد اقتصرَت عملية الصقل على الأواني الصغيرة.

وفضلاً عن أريحا فلقد اكتشف العديد من المواقع التي تعود إلى هذه الفترة في فلسطين منها تل المتسلم وبيسان والشيخ علي وبلاطة وتل الفارعة وغيرها الكثير. ولقد ظهرت أيضاً مواقع كثيرة في الأردن نذكر منها غروية وتل الشونة الشمالية وتل أبوهابيل وسحاب.

في الختام فإن محاولتنا لفهم التطور للمجتمع الحديث تعتمد بشكل أساسي على فهمنا للتغيرات التي تحصل الآن والتي حصلت في الماضي البعيد. ولقد شهدت منطقة بلاد الشرق الأدنى القديم معظم الابتكارات والاختراعات الأساسية خلال فترات ما قبل التاريخ، وكذلك التغيرات التي طرأت على الجنس البشري، وتعتبر فلسطين مركزاً غنياً لمثل هذه الشواهد. لكن وبكل تأكيد فإننا لا زلنا بحاجة لإجراء المزيد من الأبحاث لتفهم اتجاهات هذه التغيرات وأسبابها، حيث أصبح من المعروف أن مجتمعات القرى

الزراعية هذه قد أصبحت مستقرة بشكل فعلي وقام الإنسان بزراعة ما يحتاجه من محاصيل، ودجن الماشية فضلاً عن توصله لمعرفة صناعة أدوات من مادة الصلصال في حوالي ٦,٠٠٠ ق. م. لكننا نرى هذا التطور بشكل أوضح في الفترة اللاحقة (العصر الحجري النحاسي) حين استطاع سكان فلسطين تصنيع أدوات لهم من خامات النحاس في بداية الألف الرابع قبل الميلاد.

ثانياً - العصر الحجري النحاسي:

لم تكن مرحلة الانتقال من العصر الحجري الأخير إلى هذا العصر حاسمة من حيث التغير في أنماط المعيشة ووسائل الإنتاج، إلا أن العاملين في الآثار لجأوا إلى الفصل بين العصرين من خلال تغيرات في بعض المكتشفات كالأواني الفخارية والأدوات الصوانية والعظمية. وكما يستنتج من التسمية، فإن تصنيع النحاس قد دخل في حياة سكان المنطقة، غير أن الأدوات النحاسية لم تظهر إلا في أواخر هذا العصر وبكميات قليلة وبقيت الأدوات الحجرية والصوانية وكذلك الفخارية هي الغالبة في الاستعمال. وتوجد مواقع هذا العصر المعروفة لدينا حول الأودية والأنهار ومصادر المياه الأخرى وفي المناطق الخصبة أو مناطق أخرى سهل على السكان استغلالها وجلب المياه إليها. ويبدو واضحاً زيادة عدد السكان والمواقع السكنية في هذه المرحلة، بالرغم من استمرار غط المجتمعات القروية الزراعية التي بدأت على شكل قرى صغيرة تطورت بالتدريج دون تخطيط مسبق وذلك على غرار العديد من القرى الفلسطينية الأردنية التي تعيش بشكل رئيسي على الزراعة. ولم تكن المجتمعات القروية الزراعية في فلسطين خلال هذا العصر متجانسة، إذ أثرت في كل منها عوامل بيئية ومقومات اقتصادية متنوعة.

أول هذه المواقع التي أمكن التعرف عليها وأوضحها هو موقع تلييلات الغسول على الزاوية الشمالية الشرقية للبحر الميت، حتى إن هذه الفترة كانت ولا تزال تنسب إلى الموقع لتعرف باسم حضارة غسول (Ghassul Culture)، مع أنه تبين فيما بعد أن لهذه الحضارة انتشاراً واسعاً يغطي غور الأردن بأكمله، ومرج ابن عامر والساحل الفلسطيني، وفي الجنوب بئر السبع ووادي غزة، وفي الشرق المناطق الجبلية إلى أن تتصل بالمنخفضات باتجاه الصحراء.

لقد كشفت أعمال المسح والتنقيب عن عدد كبير من مواقع

(١٩٦٧ - ١٩٧٨) قام بازل هنسي بالإشراف على حفريات تليلات الغسول نيابة عن المدرسة البريطانية للآثار وجامعة سدني الاسترالية.

أمكن من خلال الحفريات المبكرة تمييز أربع مراحل أو طبقات رئيسية (Phases I-IV) تمثل حضارة واحدة عرفت بحضارة غسول وفيها بعد بحضارة غسول / بثر السبع. أما بازل هنسي فقد تمكن من تمييز تسع مراحل سكنية رئيسية يعود أقدمها إلى العصر الحجري الأخير لما قبل صناعة الفخار.

تشير مخلفات الموقع بأنها تمثل مجتمعاً من مجتمعات القرى الزراعية التي انتشرت في فلسطين وغيرها من مناطق الشرق القديم، إذ لم تكن مستوطنة تليلات الغسول كغيرها من المواقع الفلسطينية المعاصرة محاطة بسور دفاعي كما هو الحال في عصر دويلات المدن اللاحقة في الألف الثالث ق. م.

كشفت الحفريات عن مجموعات من البيوت المتجانسة المستطيلة الشكل مبنية من الحجارة والطوب الطيني، أما سقفوها فكانت من القصب والطين. أرضيات البيوت مرصوفة أو مقصورة ولغالبية البيوت ساحة مسوّرة كانت تستعمل للطبخ والخزن وسائر أسباب الحياة اليومية بدليل وجود مواقد وطواوين وحفر للخزن فيها. ووجد في حفر الخزن قمح وذرة وتمر وبذور الزيتون. وكشفت الحفريات الأخيرة عن غرفة كبيرة مستطيلة الشكل يعتقد بأنها كانت معبداً.

وأبرز مكتشفات تليلات الغسول بضع أدوات نحاسية تعتبر من أقدم ما عثر عليه من معدن مصنّع إلى الآن، وهذا ما يبرر تسمية هذه الفترة بالعصر الحجري النحاسي، ووجد على جدران بعض البيوت طبقات من اللوحات الجدارية (Frescos) المزخرفة بألوان مختلفة تتضمن أشكالاً هندسية ونجوماً وصوراً وأقنعة وأشكالاً أخرى ميثولوجية وخرافية، ولبعض الأشكال صبغة واقعية مثل صورة لطير له ذيل طويل. وهناك مشهد ديني يتضمن معبداً جالساً وأمامه أشخاص وهم وقوف يقدمون له الطاعة والولاء.

كان سكان تليلات الغسول يدفنون موتاهم، وبخاصة الأطفال، في جرار فخارية وجدت ضمن المنطقة السكنية وبعضها تحت مصاطب البيوت.

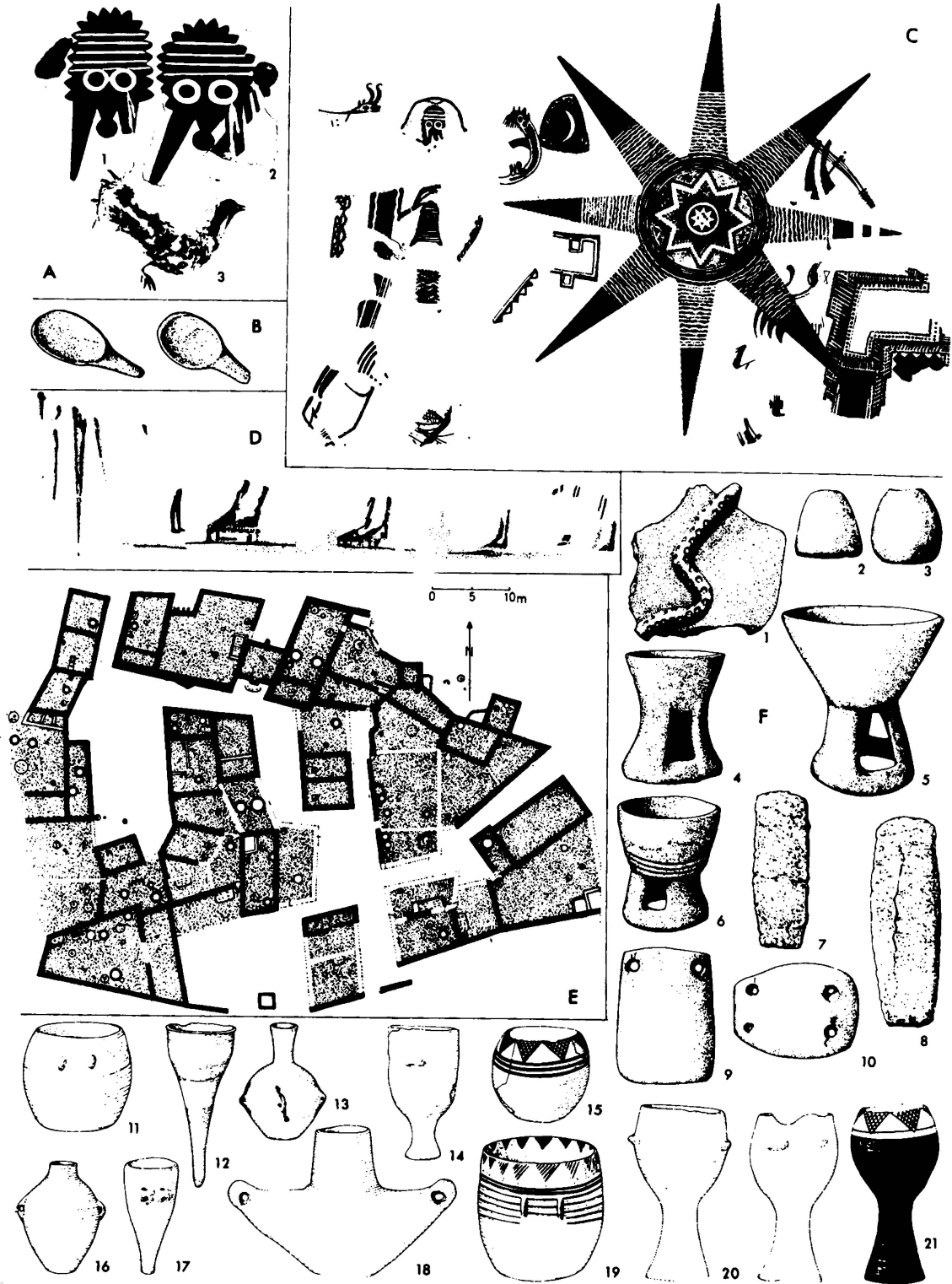
أما المكتشفات الأخرى فتضم أعداداً كبيرة من الأدوات الصوانية كالفؤوس ورؤوس السهام والسكاكين والمناشير والمثاقب. وهناك الكثير من الأواني البازلتية كالصحون العميقة والمزهريات

العصر الحجري النحاسي في مناطق فلسطين المختلفة. وتدلنا المكتشفات الأثرية أن لكل منطقة مميزات متنوعة تختلف عن الأخرى رغم التشابه في كثير من عناصرها. يعزى هذا الاختلاف في كثير من الأحيان إلى العوامل البيئية بشكل رئيسي. وعوامل البيئة هذه تتنوع في مناطق أكثر من غيرها مما كان له أثر على حياة السكان في كل منطقة.

فسكان المنطقة الشمالية أعادوا سكنى مواقع العصر الحجري الأخير التي غالباً ما توجد في مناطق زراعية، بينما نجد المواقع الجنوبية في منطقة شبه جافة قريبة من الصحراء، ولا بد من البحث عن الأسباب الحقيقية والمقومات الاقتصادية لوجودها. هناك عدد كبير من المواقع الشمالية التي تدل على استقرار السكان أكثر مما هو الحال في الجنوب، ففي بعض المواقع الشمالية استعمل السكان الحجر والطوب في بناء مساكنهم وتنوعت أدواتهم وأوانيتهم الفخارية لتنسجم مع إنتاجهم من الزراعة التقليدية. ومع أن لبعض هذه المكتشفات صبغة دينية أو فنية فقد تطورت بعض المواقع الشمالية مع نهاية الألف الرابع ق. م لتشكل بداية مرحلة التمدن في فلسطين. بينما نجد عدداً من المواقع في الجنوب قد اقتصر وجوده على مرحلة معينة من العصر الحجري النحاسي وهجر بعد ذلك.

وبالرغم من التباين في طبيعة هذه المواقع ومكتشفاتها فإنها تمثل بلا شك ترابطاً حضارياً، وهناك احتمال كبير في أن بعض المواقع الرئيسية قد نشأت بالتعاقب. وقد يعزى هذا التباين إلى اختصاص السكان في كل موقع أو مركز حضاري بصناعات معينة لها علاقة بتوافر موادها الخام ومعرفة استخراجها وتصنيعها. ولتوضيح ذلك نفضل استعراض أهم هذه المواقع التي أجريت فيها دراسات وأعمال ميدانية:

١ - تليلات الغسول ووادي الأردن: يتكون هذا الموقع من مجموعة من التلال الصغيرة والمنخفضة الواقعة في وادي الأردن إلى الشمال الشرقي للبحر الميت. وتعود أهمية هذا الموقع إلى مكتشفاته الأثرية المتنوعة والتي تميز العصر الحجري النحاسي (٤,٥٠٠ - ٣,٢٠٠ ق. م). والجدير بالذكر أن مكتشفات هذا الموقع صبغت الفترة الزمنية المشار إليها حتى أصبحت تعرف أو تستبدل بالحضارة الغسولية (Ghassulian Culture). وأول من أدرك أهمية تليلات الغسول هو مالون الذي قاد حملة تنقيب بالاشتراك مع كويل من المعهد البابوي التوراتي بروما في الفترة ما بين ١٩٢٩ و ١٩٣٨. وقد أرسل المعهد نفسه عام ١٩٦٠ الأب نورث لمواصلة العمل الميداني في الموقع. وفي فترة متأخرة



لوحات جدارية ومخطط لبيوت سكنية وأوان فخارية تمثل الحضارة الغسولية من موقع تليلات الغسول وتعود للعصر الحجري النحاسي

ويبدو واضحاً من طبيعة المواقع السكنية وارتباطها بمصادر المياه بأن سكان وادي الأردن إلى الشمال من البحر الميت كانوا مزارعين بينما يرتبط وجود مواقع العصر الحجري النحاسي والبرونزي القديم في وادي عربة إلى الجنوب من البحر الميت، بمصادر النحاس واستخراجه كما هو الحال في خربة افدان وفينان وأخرى كثيرة على الامتداد الغربي لوادي عربة^(٧٠).

٢ - بئر السبع والمواقع الجنوبية: هناك ثلاثة مواقع هامة تقع بالقرب من بئر السبع وتتبع حضارة واحدة ضمن العصر الحجري النحاسي، وهي خربة البيطار (Horvat Beter)، وبئر الصفدي وتل أبو مطر. وهذه المواقع الثلاثة متشابهة، وتقع ضمن فترة متأخرة من تلييلات الغسول (النصف الثاني للألف الرابع ق. م)، إلا أنها تنتظم معها في إطار حضاري واحد. وقد اعتمد الاقتصاد المحلي لهذه المواقع على زراعة القمح والشعير، وكذلك حياة الرعي والاستغلال الجزئي للنحاس فضلاً عن التجارة مع المناطق المجاورة^(٧١).

أجريت تنقيبات في المواقع المشار إليها (١٩٥١ - ١٩٦٠) من قبل بعثة الآثار الفرنسية بإشراف جان بيررو (J. Perrot) الذي تمكن من تمييز ثلاث مراحل سكنية متعاقبة تقع جميعها ضمن الألف الرابع ق. م اعتماداً على عينات تم فحصها بواسطة الإشعاع الكربوني (١٤) وكذلك مقارنتها بمكتشفات من مواقع فلسطينية ومصرية من فترة ما قبل عهد الأسرات.

أقدم هذه المراحل ممثلة بمبانٍ تحت الأرض تتضمن غرفاً مستطيلة الشكل متوسط أطوالها ٧ × ٣ م ويصل طول بعضها إلى حوالي ١٠ م. يمكن الوصول إلى الغرف بواسطة مدخل رأسي أو جانبي وترتبط فيما بينها بممرات ضيقة. يؤدي المدخل في العادة إلى ساحة وجد فوقها موائد الطبخ وأماكن الخزن. ووجد في أرضيات الغرف حفر للخزن تتسع من الأسفل وتضيق باتجاه الأعلى. ولم تعمر مثل هذه المرافق السكنية طويلاً، ويظهر أنها هجرت فجأة، إذ وجد فوق بعض الأرضيات أدوات وأوانٍ في وضعها الأصلي.

ويمثل المرحلة السكنية الثانية غرف دائرية أو مخروطية بنيت من الطوب المجفف فوق أساس من الحجارة، أما السقوف فتتكون من لوحات خشبية متعاضدة ومغطاة بطبقة طينية.

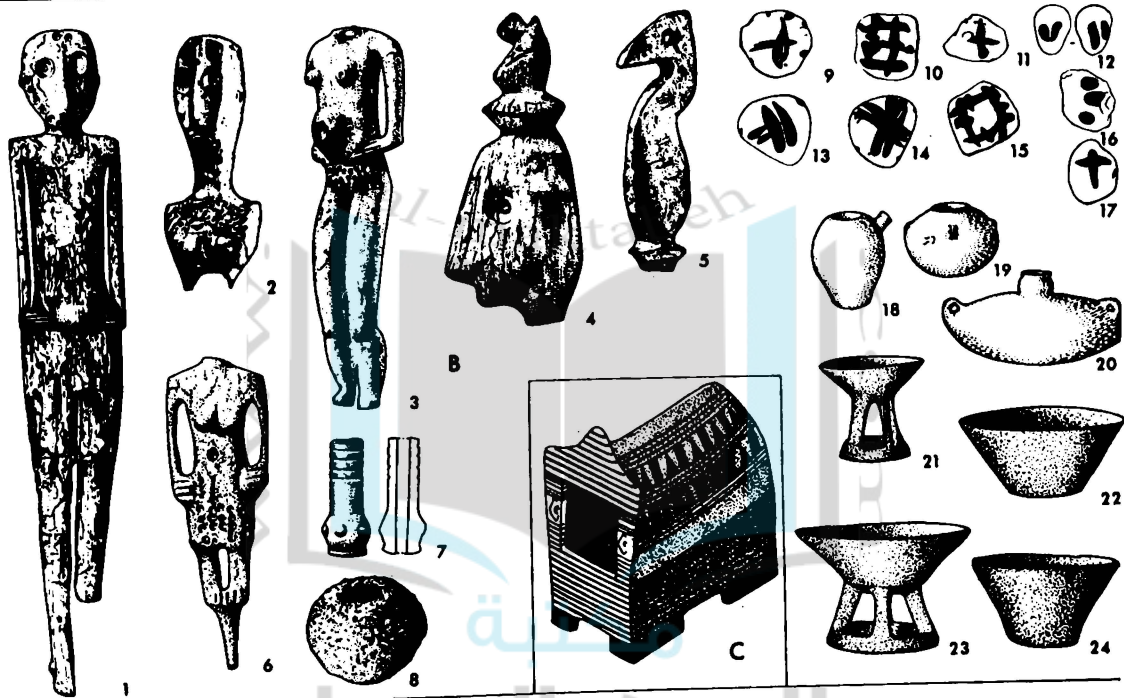
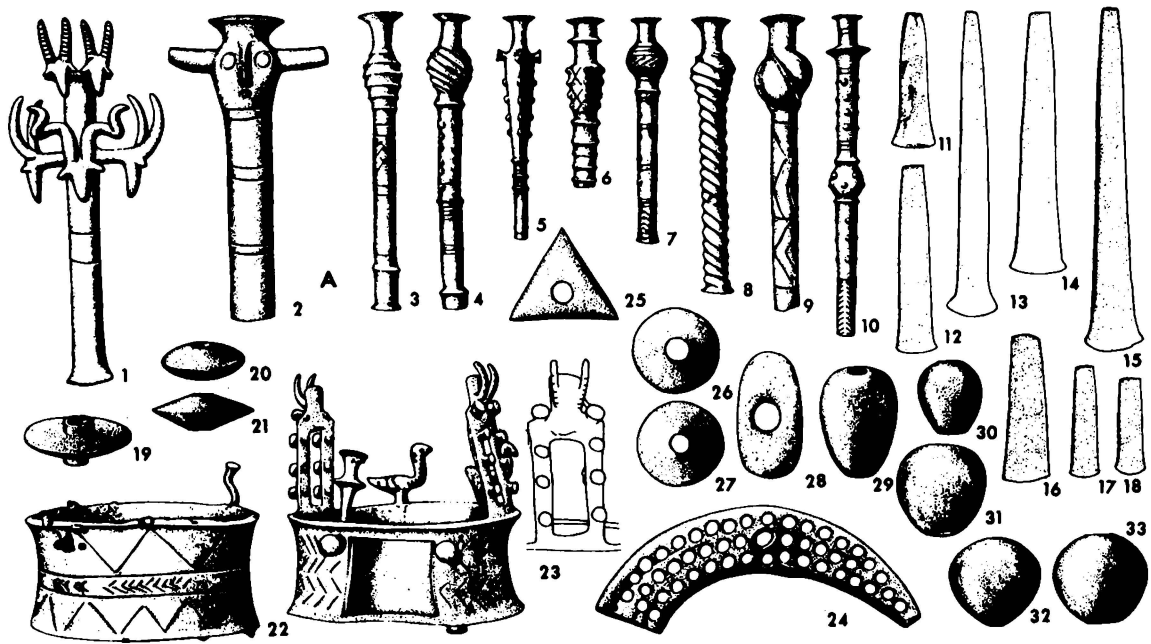
وبقي الموقع مهجوراً بعد المرحلة الثانية لفترة يصعب تحديدها تماماً، غير أنه تبع ذلك مرحلة سكنية ثالثة وأخيرة تم إنشاؤها فوق منازل المرحلة الثانية من الطوب المجفف فوق طبقات من الحصى. وتأخذ الغرف هنا شكلاً مستطيلاً بأطوال

التي تركز على قواعد يتخللها فتحات، ويكثر وجود الأواني والأدوات البازلتية التي كانت تستعمل للجرح والطحن. تشمل المكتشفات رؤوس الدبسات الحجرية والرخامية التي استعملت لأغراض عسكرية ودينية، ومن بينها أيضاً المغازل بأعداد كبيرة ووزنات النسيج كدليل على هذه الصناعة.

أما تنوع الأواني الفخارية التي صنع معظمها على العجلة البدائية البسيطة فيظهر أنه يتعلق باستعمالات السكان وإنتاجهم الزراعي وكذلك بوظيفة جزء من الموقع كمركز ديني. من هذه الأواني جرار كبيرة للخزن ومزهريات مرتكزة على قواعد كمثلياتها من البازلت وآنية مدبية وأخرى للتعليق تشبه ممخضة اللبن. العديد من الأواني مزخرف بصفوف من النقاط المحفورة وبأفاريز ملصقة مضغوطة بواسطة أصابع اليد، واستعملت على الكثير منها زخارف بالألوان البيضاء والبنية المائلة إلى الاحمرار بأشكال هندسية بسيطة.

مع أن موقع تلييلات الغسول يحتل حتى الآن مكان الصدارة في التعريف على معالم حضارة العصر الحجري النحاسي، فإن مواقع وادي الأردن في هذا العصر كثيرة وقد يضاهي بعضها تلييلات الغسول من حيث الحجم، وفي الحقيقة فإن منطقة وادي الأردن تعتبر أكثر مناطق فلسطين كثافة في مواقع مجتمعات القرى الزراعية التي تعود في غالبيتها إلى الألفين الخامس والرابع ق. م، كما دلت المسوحات الأثرية والتنقيبات المحدودة في هذه المنطقة.

وتمتد غالبية المواقع المشار إليها حول مصادر المياه كالسيول والينابيع والأودية الممتدة بين بحيرة طبرية شمالاً والبحر الميت جنوباً مثل وادي الكفرين ووادي نمرين ووادي الزرقاء ووادي راجب ووادي كفرنجة ووادي اليابس، ووادي العرب، ووادي اليرموك^(٦٩). من أهم هذه المواقع تل غنام وتل عفاش وغربة على وادي نمرين، وتل أم حماد الشرقي والروحية وذراع الحصيني على وادي الزرقاء، وتل السعيدية وتل القلايا على وادي كفرنجة، وكذلك تل أبو حامد إلى الشمال منه، وتل أبو هبيل إلى الجنوب من وادي اليابس، وتل الري وتل الشونة على وادي العرب والباقورة بالقرب من مصب نهر اليرموك في وادي الأردن. تم تأسيس الجزء الأكبر من هذه المواقع في العصر الحجري النحاسي أو الحجري الأخير مع الأخذ بعين الاعتبار صعوبة تمييز حد فاصل بين الفترتين من خلال المكتشفات السطحية، كما اقتصر استعمال عدد منها في هذه المرحلة إذ لم تكن مثل هذه المواقع ذات طابع استراتيجي فلم تعد صالحة لأغراض دفاعية وتحصينية كمواقع العصر البرونزي القديم.



أدوات نحاسية وعظمية وآنية فخارية وصوانية وتمثال ورؤوس دبسات وثقالات نسيج من مواقع متعددة في فلسطين تمثل حضارة العصر الحجري النحاسي

مختلفة إلا أن بعضها تميز بكبر الحجم إذ يبلغ طول الغرفة الواحدة حوالي ١٥ م كما وجدت أبنية يتألف كل واحد منها من عشر غرف تحيط بفناء كبير.

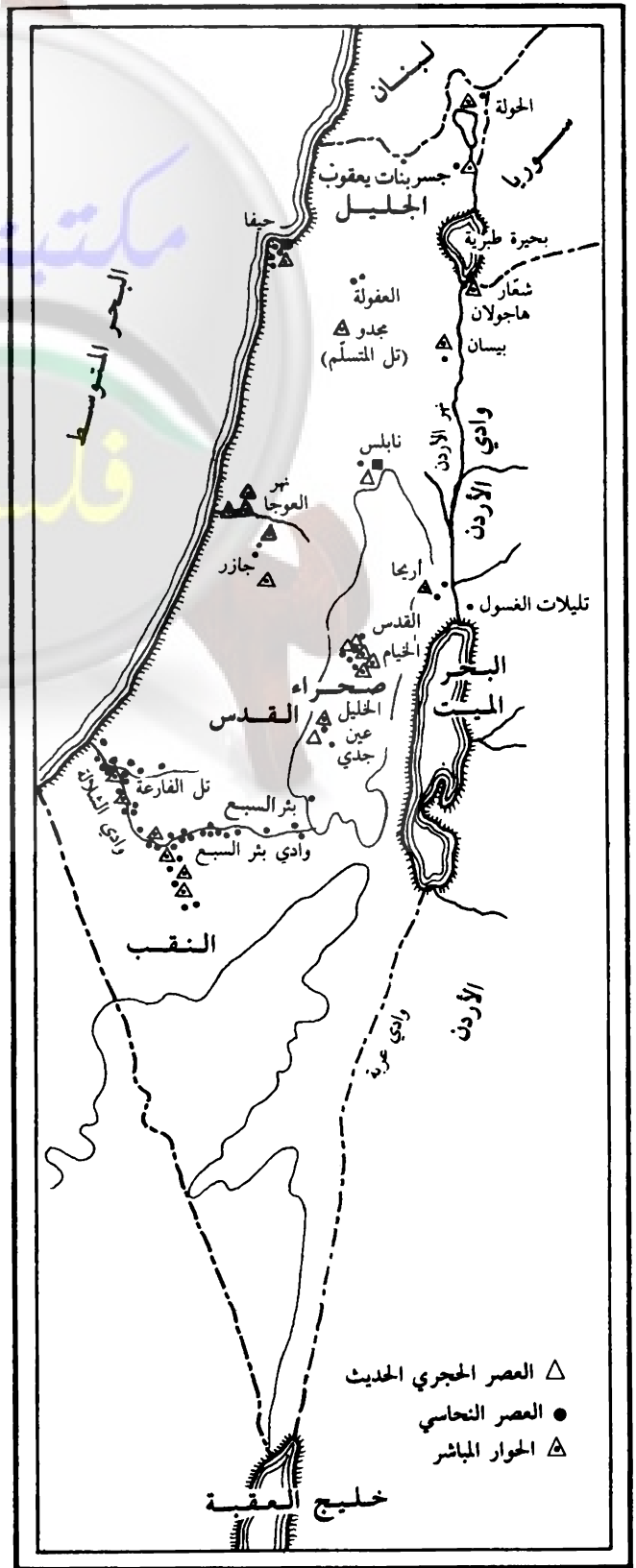
هناك دلائل واضحة على تصنيع المعدن في مواقع بئر السبع حيث وجدت أدوات وأفران لصهر النحاس الذي غالباً ماتم جلبه من المنحدرات باتجاه وادي عربة. من بين المكتشفات النحاسية فؤوس ومخارز وأزاميل وهراوات فضلاً عن بعض أدوات الزينة، رغم ذلك فقد بقيت الأدوات الصوانية أكثر استعمالاً مع أنها أقل تنوعاً من المواقع التي تم العثور عليها في الشمال ومواقع غور الأردن.

تضمنت الأدوات الصوانية مكاشط وأدوات للقطع ومثاقب وأزاميل وبعض رؤوس سهام وشفرات وفؤوس. كما وجدت أوان وأدوات حجرية أخرى كالبازلت والهيماتيت التي استعملت للصفل والدق، وصنعت رؤوس المهرات من الحجر العادي.

غالبية الأواني الفخارية صناعة يدوية مع أنه يظهر أن بعض الأشكال البسيطة كالصحنون صنعت بالدولاب. غالباً ما يكون الفخار باهت اللون ويسهل كسره نتيجة لخلطه بالرمل. من الجرار التي يكثر وجودها نوع بفوهة كبيرة وبدون رقبة (hole mouth) ونجدتها في بعض الأحيان مزينة بطبقات الأصابع على حافة الجرة. وتتضمن الزخارف على الفخار أشرطة من الطلاء الأحمر إما على الحافة أو على جسم الإناء. وهناك نوع متميز من الفخار الأبيض أو العاجي يظهر على شكل مزهية برقبة قصيرة وجسم متفخ حوله سلسلة من المقابض على شكل أذان.

أهم ما يميز اللقى في مواقع بئر السبع (خاصة في بئر الصفدي) وجود عدد من التماثيل (الدمى) الأدمية من العاج تمثل رجالاً ونساء. تعتبر هذه التماثيل من أقدم العاجيات المصنعة في الشرق القديم وتمثل تطوراً ملحوظاً في هذه الصناعة. والجدير بالذكر أنه وجد في بئر الصفدي مصنع للحلي والدمى العاجية والعظمية، مما يدل على أن هذه المكتشفات صنعت محلياً وبشكل مستقل عن الحضارات الشرقية القديمة المجاورة.

امتدت حضارة بئر السبع لتمثل الجزء الأكبر من شمالي النقب ابتداء من مواقع وادي غزة في الغرب وتل عرار في الشرق. يبدو أن غالبية مواقع العصر الحجري النحاسي في هذه المنطقة لم تعمر أكثر من مائة سنة، وحتى ان الكثير منها لم يسكن إلا لفترات موسمية، وكأنها ترتبط بحياة الرعي والصيد أكثر من كونها مجتمعات زراعية متطورة (٧٢).



المواقع الأثرية للعصر الحجري الحديث - النحاسي في فلسطين

حجماً^(٧٤). حتى ان هذا البناء يشبه في شكله الخارجي المبدع الذي كشف عنه بازل هنسي في موقع تليلات الغسول.

إلا أنه من الواضح أن سكان الساحل الفلسطيني مارسوا عادات دفن تختلف عن تلك التي تمارس في المواقع الجنوبية والشرقية - أي المرتبطة بتليلات الغسول وبثر السبع. فبينما نجد في تليلات الغسول مدافن فردية داخل جرار فخارية - غالبيتها لأطفال، فقد وجدت في المواقع الساحلية مدافن جماعية داخل توابيت أوصناديق من الصلصال المجفف على شكل بيوت، وجدت الصناديق في عدد من المواقع (الخضيرة ويازور وبني براق) على شكل مجموعات داخل كهوف كبيرة تم قطعها في الصخر الطبيعي أو الترسبات الرملية. وللكهوف مداخل رأسية يحيط بها من الداخل مصطبة مرصوفة بالحجارة حيث كانت توضع عليها التوابيت الفخارية^(٧٥).

وهذه الصناديق متنوعة ويكاد كل واحد منها يختلف عن الآخر، ولكنها تكون على الأغلب مستطيلة عند القاعدة، ويتخللها فوهة مربعة من الجانب الضيق تتسع لإدخال جمجمة إنسان. وللصناديق سقف قوسي أو مخروطي. تحمل هذه الصناديق من الخارج زخارف ورسومات هندسية متنوعة، وغالباً ما يتخللها من الأمام صورة وجه إنسان أو شكل حيواني، ويحمل بعضها زخرفة بارزة لقرون حيوانات وأفاف، غالبيتها منبسطة عند القاعدة إلا أن لبعضها أرجلاً قصيرة.

وتتضمن الزخرفة الملونة خطوطاً متوازية أو مثلثات، وتدل بعض الأمثلة الزخرفية على عناصر معمارية كسقف من الخشب أو أغصان النخيل.

وقد وجدت العظام داخل توابيت الدفن غير كاملة وتتبع شخصاً أو أكثر، والواضح أنه تم وضع العظام في الصناديق بعد مرحلة متأخرة من الوفاة، وقد تم حرقها أحياناً ووجد الرماد موضوعاً مع العظام.

تدل هذه المكتشفات على تطور واضح في عادات الدفن والمعتقدات الدينية المرتبطة بها والتي تكاد تكون محصورة حتى الآن في الساحل الفلسطيني، مع أنه وجد بعض الأمثلة المشابهة لهذه الصناديق في كهوف أم قطفة وأبواصبع خارج المنطقة الساحلية^(٧٦).

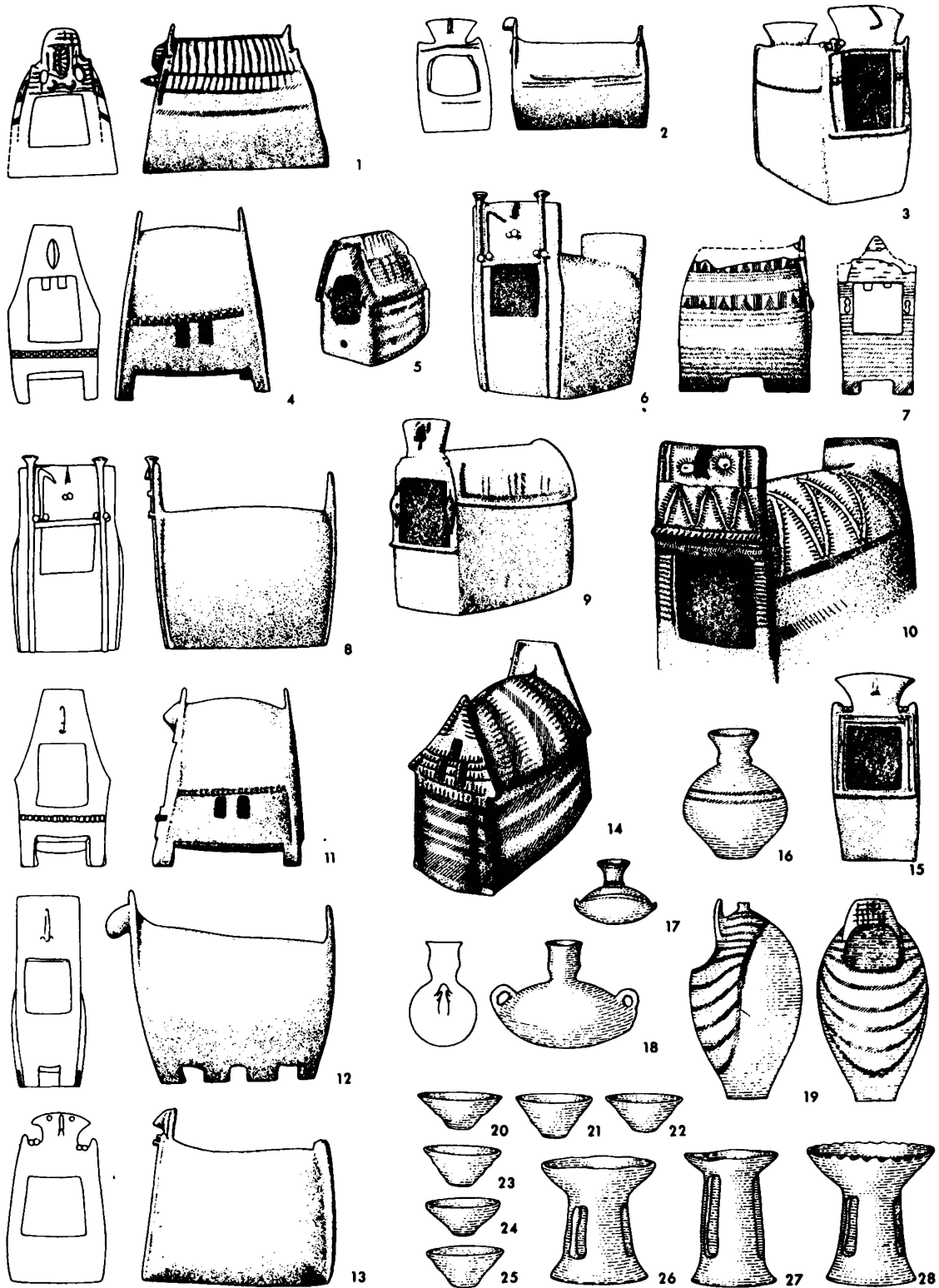
ويدور نقاش طويل حول أصل المجموعات البشرية التي تنسب إليها صناديق الدفن المشار إليها. يعتقد البعض بأنهم جاؤوا من شرقي الأناضول إذ يتميزون بجمجمة عريضة وأنف

يرتبط بهذه الحضارة عدد آخر من المواقع من أهمها الكهوف الصخرية التي استعملت للسكن كما هو الحال في كهوف أم قطفة وأم قلعة وعرق الأحمر إلى الجنوب الشرقي من بيت لحم. ويبدو واضحاً أن سكان الكهوف كانوا يعيشون جنباً إلى جنب مع أصحاب القرى الزراعية. هناك عدد آخر من الكهوف المماثلة على امتداد الأودية غربي البحر الميت ومنها وادي سدر ووادي حبرا ووادي سيال.

وجدت مثل هذه الكهوف السكنية أيضاً في جرف قمران والمربعات على الشاطئ الغربي للبحر الميت حيث وجدت أدوات صوانية وأمثلة فخارية تماثل تلك التي وجدت في حضارة غسول / بثر السبع. ووجد في أحد كهوف وادي محرس (Nahal Mishmar) أوان فخارية ولقى أخرى متنوعة من الجلد والقماش وسلال القش ومئات اللقى النحاسية المختلفة ورؤوس المهرات من الهيماتيت وبعض الأشكال العاجية والتعاويز.

لم تشهد منطقة الكهوف الصخرية إلى الغرب من البحر الميت نشاطاً سكانياً ملحوظاً كالنشاط الذي عرفته في العصر الحجري النحاسي، وهناك ما يدل على أنهم مارسوا طقوساً دينية معينة، إذ وجد معبد من بين مجموعة أبنية فوق مصطبة في منطقة عين جدي إلى الجنوب من المربعات. ويتضمن المعبد ساحة كبيرة يتصل بها بناء رئيسي في الجهة الشمالية، وآخر أصغر حجماً في الجانب الشرقي، وللمعبد مدخلان يقابل كلاً منهما نبع. ويقع المدخل الرئيسي في الجهة الشمالية ويضم غرفة صغيرة مستطيلة الشكل بمدخلين متقابلين ومقعد يحيط بها من الداخل.

٣ - الساحل الفلسطيني: استمر ظهور بعض أنواع الفخار النيوليثي خاصة من النوع المحرز والأحمر المصقول في مواقع الساحل الفلسطيني من العصر الحجري النحاسي. من الصعب اعتبار المكتشفات من المواقع السكنية الساحلية وحدة مستقلة عن غيرها من مواطن حضارة العصر الحجري النحاسي في فلسطين، إذ تعتبر اللقى الفخارية والصوانية التي وجدت في كل من خربة الشيخ ميسر (Meser) ومواقع مختلفة في ضواحي يافا وتل أبيب مشابهة لحضارة غسول / بثر السبع^(٧٣). كما لا تتميز المخلفات المعمارية القليلة التي تم الكشف عنها حتى الآن عن بقايا معمارية أخرى في الغسول، إلا من خلال الوظيفة ومواد البناء الميسرة. أما الأثر المعماري الرئيسي الذي عثر عليه في خربة الشيخ ميسر من العصر الحجري النحاسي (Stratum III) فهو عبارة عن بناء مستطيل الشكل أطواله ١٣ × ٦ م وله مدخل من الجانب العريض يؤدي إلى غرفة كبيرة تتصل بأخرى أصغر



مجموعة من الصناديق الصلصالية (الفخارية) استخدمت لحفظ عظام الموق وأنية ومزهريات فخارية من موقع يازور وتمثل جميعها حضارة الساحل الفلسطيني في العصر الحجري النحاسي

طويل وشعر غزير^(٧٧)، بينما يرجح الأب ديفو بأنهم ممن مارسوا حياة البداوة وسكنوا منطقة النقب، ولجأوا بقطعانهم للمنطقة الساحلية، وأبقوا مدافنهم فيها^(٧٨).

٤ - المنطقة الشمالية: تشكل مواقع المنطقة الشمالية في العصر الحجري النحاسي حلقة وصل بين جنوبي فلسطين وشمال سوريا. وتتركز المواقع الشمالية في مرج ابن عامر وحول مدينة نابلس وشمال وادي الأردن، وقد كشف النقب عن الكثير من مواقع هذا العصر كما هو الحال في تل المتسلم، بيسان، تل الشونة الشمالي، إلا أن الموقع الذي أجريت فيه أعمال ميدانية واسعة النطاق هو تل الفارعة على بعد ١١ كم إلى الغرب من نابلس بإشراف الأب ديفو. وتمكن المتقنون من تمييز طبقتين رئيسيتين في تل الفارعة وظهرت فيهما مكتشفات تشابه جزئياً مع اللقى التي كشف عنها في كل من تليلات الغسول وبئر السبع. ورغم ذلك فإن ديفو يعتقد بأن التطور الذي حصل في المنطقة الشمالية جاء متميزاً ومختلفاً عن ذاك الذي في المناطق الأخرى^(٧٩). ومن بين المكتشفات التي أظهرتها البعثة الفرنسية أدوات صوانية وأخرى بازلتية وأوان فخارية لونها فاتح. والأواني الفخارية هنا مصنوعة يدوياً وحرقتها غير مستكمل، فضلاً عن أن الكثير منها مزين بواسطة أفاريز من الصلصال مضافة على السطح الخارجي للإناء. وغالباً ما تكون هذه الأفاريز مزخرفة من خلال حروز أو بصمات أصابع الصانع.

٥ - الهضاب الشرقية: دلت الدراسات السطحية وأعمال المسح الأثرية على وجود عدد كبير من المواقع الأثرية التي تعود للعصر الحجري النحاسي. تمتد هذه المواقع من وادي اليرموك شمالاً وحتى خليج العقبة جنوباً، إلا أن المواقع التي أجريت فيها تنقيبات حتى الآن قليلة للغاية. وتجدر الإشارة هنا إلى موقع سحاب إلى الجنوب الشرقي من عمان حيث أجرت دائرة الآثار وجامعة اليرموك الأردنيتين حفريات تبين من خلالها أن الموقع وجد

أكبر اتساع له في العصر الحجري النحاسي. وقد تم الكشف عن عدد من البيوت أو الوحدات السكنية المبنية من الحجر، ووجد معها أراضي مقصورة، وعدد كبير من حفر الخزن التي وجد في بعضها كميات من القمح والشعير. إحدى هذه الوحدات السكنية عبارة عن مجموعة من الغرف تحيط بساحة مقصورة يتخللها حفر كبيرة للخزن غالباً ما كانت لأغراض جماعية. وأرضيات بعض الغرف مقطوعة جزئياً في التربة الطبيعية لتظهر على شكل مصطبة مرتفعة. ومن بين ما كشف عنه عدد من الكهوف الصخرية التي استعملت لأغراض السكن في العصر الحجري النحاسي. ويتصل بالكهوف جدران من الحجر تم بناؤها أمام المدخل الجانبي للكهف، ووجد في بعض الكهوف أرضيات متعاقبة مما يدل على أنها استعملت لفترات متقطعة. وتدل اللقى التي وجدت في الكهوف والبيوت السكنية على علاقة واضحة بحضارة غسول / بئر السبع، وتضم هذه اللقى أدوات صوانية وأواني فخارية متنوعة وأخرى بازلتية^(٨٠).

بقي أن نذكر الأنصاب الحجرية المعروفة بالدولنيز (Dolmens) والتي هي عبارة عن بلاطات صوانية كبيرة نصبت على جانبها فوق مصاطب، وسقفت ببلاطة مائلة تخرج عن أطراف البلاطات الجانبية ويحيط بها في العادة ساحة دائرية مرصوفة. تظهر الدولنيز أحياناً على شكل صفوف متصلة ضمن ساحة واحدة. وتنتشر على شكل حقول أو مجموعات وتتمركز بشكل رئيسي فوق الهضاب المطلة على وادي الأردن، إلا أن غالبيتها توجد على الهضاب الشرقية بالقرب من كفر يوبا ودامية ووادي حسان والعظيمة وناعور. ولم يتمكن الدارسون بعد من معرفة تاريخ دقيق أو وظيفة محددة لهذه الأنصاب مع أنها كثيراً ما تنسب للآلفين الخامس والرابع ق. م، وتشير بعض الأمثلة إلى أنها استعملت كمدافن. ومن المحتمل أن أصحاب الدولنيز كانوا يمارسون حياة غير مستقرة، أو أنهم كانوا من الرعاة الذين أرادوا إبراز مدافنهم على شكل صروح^(٨١).

الفصل الرابع عصر دويلات المدن (ظهور دويلات المدن)

أولاً - فلسطين في العصر البرونزي القديم (٣٢٠٠ - ٢٠٠٠ ق. م):

(أ) المرحلة الأولى (٣٢٠٠ - ٣٠٠٠ ق. م): شهدت

منطقة الشرق القديم ومنها فلسطين مع نهاية الألف الرابع قبل الميلاد تغيراً حاسماً في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والمعمارية. وأكثر ما يميز هذه المرحلة

الألف الرابع قبل الميلاد من جهات مختلفة، وغالباً ما تكون من الشرق والشمال^(٨٨)، ويعتقد بعض الباحثين أن أشكالاً فخارية معينة قد تطورت عن تلك التي كانت معروفة في العصر الحجري النحاسي^(٨٩).

وعلى الرغم من الغموض الذي يكتنف الطبقات السكنية التي تمثل هذه المرحلة المبكرة فإنه أمكن تمييزها في عدد من المواقع مثل تل المتسلم (Levels XX-XIX)، وبيسان (Levels XVII-XVI)، والعفولة، وتل أبو زريق، وتل الأساور، وخربة الشيخ ميصر (Levels II-I)، وخربة الكرك، وتل أم حماد الشرقي، وتل أبو العلايق، وأريحا، وباب الذراع، وتل الفارعة الشمالي، ويازور والتل (عي)، وتل الدوير^(٩٠).

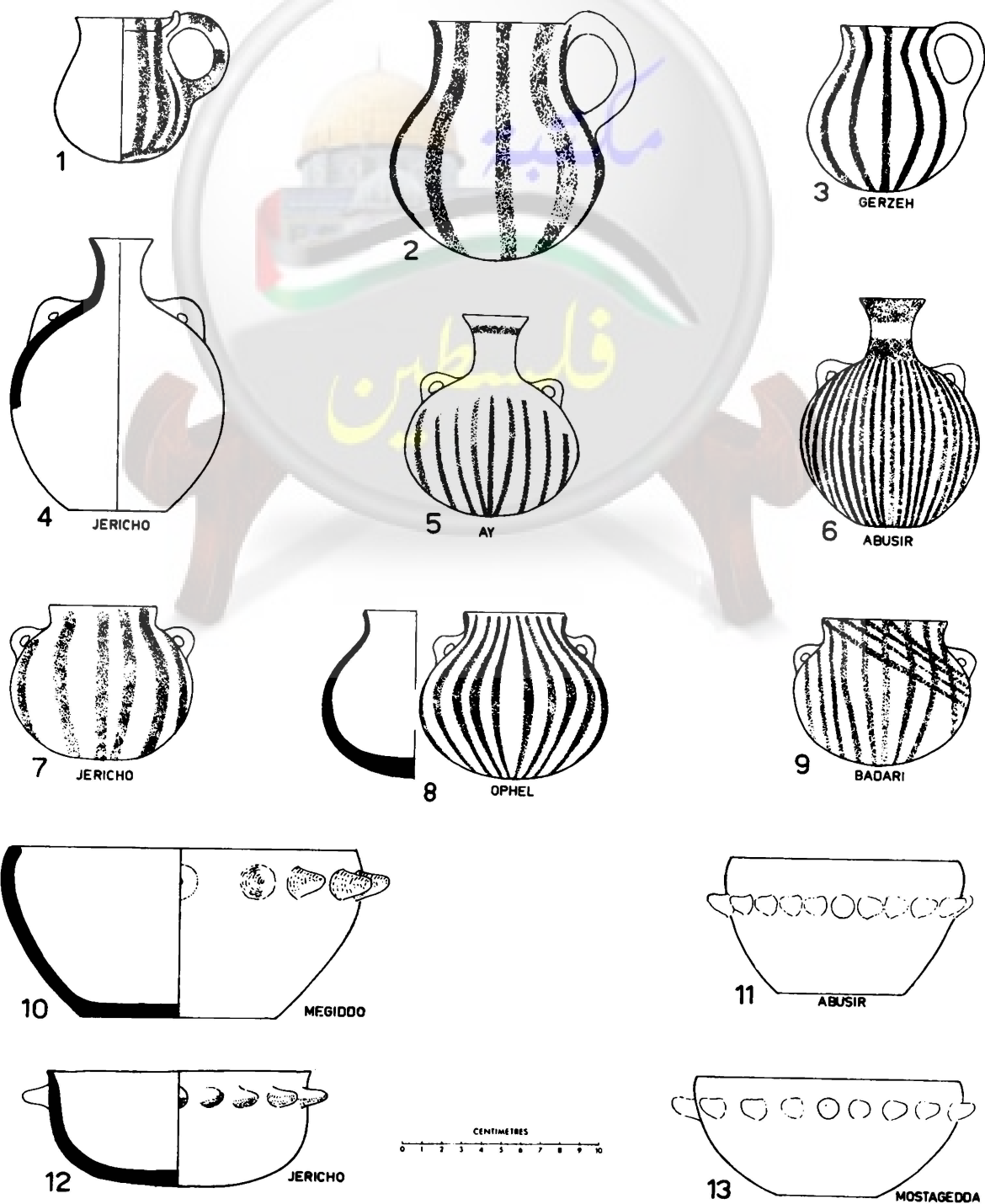
تبدو عادات الدفن في هذه المرحلة غريبة، ولقد أشرنا سابقاً إلى أن جميع القبور مقطوعة في الصخر، واستعملت لأغراض الدفن الجماعي، إلا أنه لم يعثر بالضرورة على جميع أجزاء الهياكل العظمية، كما وجدت بعض العظام مرتبة حول غرف الدفن من الداخل ووجد البعض الآخر في الوسط. والجدير بالذكر أن عدداً من الهياكل العظمية التي وجدت في أريحا كان قد حرق قبل وضعه داخل القبور. وتدلنا بعض مجموعات المدافن على أنها قطعت في الصخر من قبل مجموعة متخصصة في حفرها وهيئتها، ويظهر بأن الأواني الفخارية التي يتكرر وجودها بكثرة قد صنعت خصيصاً في مصانع مركزية لتوضع مع الموت. ومن المحتمل أيضاً أن بعض حقول المدافن الكبيرة كتلك التي وجدت في تل المتسلم وتل الفارعة وأريحا وباب الذراع وغيرها قد استعملت لمناطق أوسع من المواقع المحيطة بالمدافن.

تشير الدراسات المقارنة التي أجريت حتى الآن على وجود علاقات وطيدة بين فلسطين والمناطق المجاورة في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد. وقد ظهر الكثير من المكتشفات المتشابهة (الفخارية والأختام الأسطوانية ورؤوس المهرات الكمشية الشكل) في كل من فلسطين ومصر، حتى أن بعض الجرار الفخارية غالباً ما تم تصديرها إلى مصر أو أنها تقليد للصناعة الفلسطينية. كما وجدت أقرب الأمثلة للفخار الفلسطيني من النوع الرمادي المصقول في أواسط الأناضول وشرقيه. وكذلك في مواقع الساحل السوري مثل طرطوس وطبارا الأكراد. وظهر ما يشبه هذا الفخار في عدد من مواقع بلاد ما بين النهرين من مرحلة الوركاء.

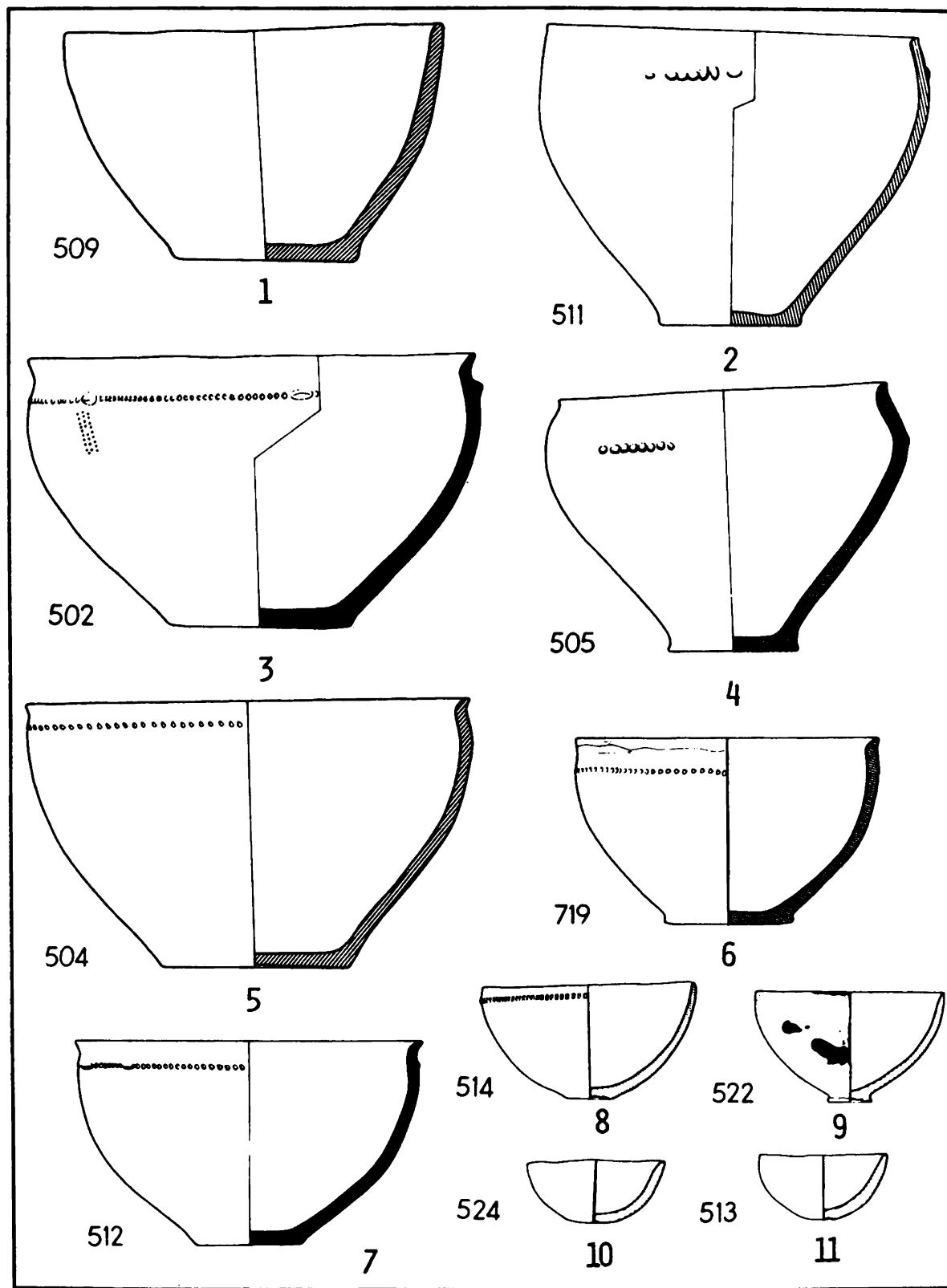
في فلسطين ظهور أعداد كبيرة من المدافن المقطوعة في الصخر (Shaft Tombs) تنسب إلى جماعات وضعت نهاية لحضارة العصر الحجري النحاسي أو حضارة غسول / بثر السبع. ولم يكشف إلى الآن عن مواقع سكنية تتناسب والعدد الكبير لهذه المدافن، وإذا ما وجدت مثل هذه المواقع فإنها غالباً ما تكون أقرب إلى معسكرات أو مواقع سكن مؤقتة أو موسمية منها إلى مواطن استقرار دائمة على غرار مجتمعات القرى الزراعية المتطورة التي تميز الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد في فلسطين.

تظهر هذه المدافن الصخرية لأول مرة في فلسطين وتنتشر على نطاق واسع، وقد استعملت لأغراض الدفن الجماعي ليصل عدد الهياكل العظمية في المدفن الواحد أحياناً إلى بضع مئات، وهو ما يدل على أنها تعطي مرحلة استعمال طويلة. ومع أن بعض الكهوف الصخرية الطبيعية استعملت لأغراض الدفن فإن الغالبية العظمى للمدافن التي تم العثور عليها مقطوعة في الصخر أو التربة الطبيعية ويتفرع عن مداخلها الرأسية غرف (تجاويف) جانبية تتراوح من غرفة واحدة إلى أربع غرف. وجد مع الهياكل العظمية في كل غرفة عدد كبير من اللقى أو المرفقات الجنائزية تتضمن بشكل رئيسي أواني فخارية وبازلتية، وبعض الأدوات البرونزية.

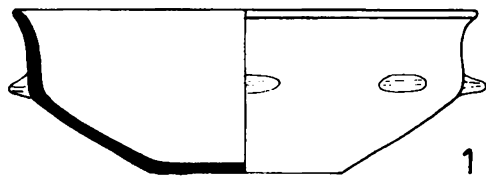
واختلف العاملون في الآثار الفلسطينية في تفسير هذه المرحلة الانتقالية، وأطلقوا عليها مصطلحات وتسميات مختلفة تبعاً لمفاهيمهم في تفسير المكتشفات، أو للشواهد التي ظهرت في المواقع التي أشرفوا على التنقيب فيها. لذا نسبها الأب رولاند ديفو إلى مرحلة متأخرة من العصر الحجري النحاسي (Late Chalcolithic) اعتماداً على حفرياته في تل الفارعة بالقرب من نابلس^(٨٢). وجاءت كاثلين كنيون بمصطلح «ما قبل التمدن» (Proto-Urban) نتيجة لحفرياتها في تل السلطان^(٨٣)، وتبعها هنسي^(٨٤)، وأناي^(٨٥)، وكالاواي^(٨٦). واعتبر الكثيرون هذه المدافن وما وجد فيها من مكتشفات فضلاً عن الطبقات السكنية المعاصرة على أنها تمثل مرحلة مبكرة من العصر البرونزي القديم^(٨٧)، كما وقع خلاف في تصنيف المكتشفات، وفي أصل أصحاب المدافن. إلا أنه من الواضح أن نوعين جديدين من الفخار قد ظهرا، أحدهما في شمالي فلسطين والوسط، خاصة في منطقة مرج ابن عامر من النوع الرمادي المصقول، والآخر في الجنوب من النوع الأحمر المصقول أحياناً. وقد نسبت كنيون وغيرها كل نوع إلى مجموعة بشرية جاءت إلى فلسطين في أواخر



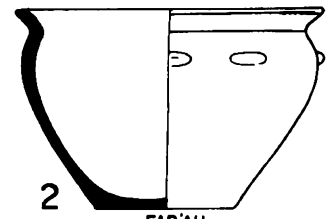
أوان فخارية من فلسطين ومصر توضح العلاقات التجارية بين البلدين في الفترة التي أطلقت عليها كتيون اسم مرحلة ما قبل التمدن



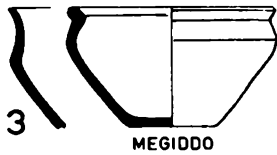
صحون فخارية مختلفة الأحجام من موقع باب الذراع تعود للعصر البرونزي القديم



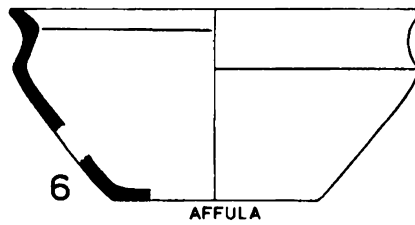
1 BETH SHAN



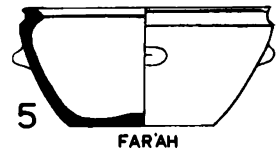
2 FAR'AH



3 MEGIDDO



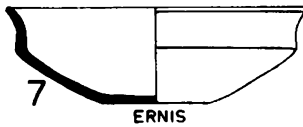
6 AFFULA



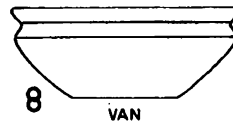
5 FAR'AH



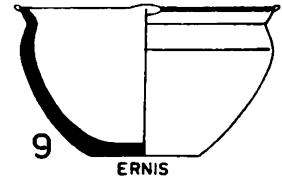
4 TABARA



7 ERNIS



8 VAN



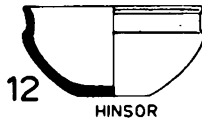
9 ERNIS



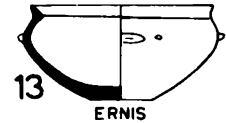
10 IKIZ TEPE



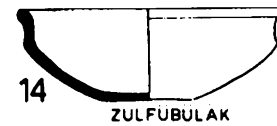
11 YAPAGIOYUK



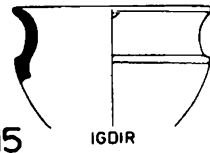
12 HINSOR



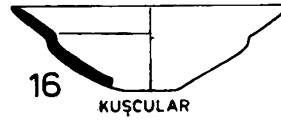
13 ERNIS



14 ZULFUBULAK



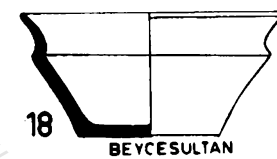
15 IGDİR



16 KUŞÇULAR



17 ALIŞAR



18 BEYCESULTAN



19 TARSUS

0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 cm

تعنك وأريحا وبيت ساحور والتل وتل أبو شوشة وتل الحسي ورأس العين وخربة الطباقي (رأس الناقورة).

هذا النوع من الفخار مصنوع يدوياً من طينة خشنة مخلوطة ببعض الكسر الحجرية والتبن، ويغطي جسم الإناء من الخارج قشرة مصقولة لامعة ويتخللها أحياناً زخارف بارزة أو أخاديد. أما لونها فهو بني فاتح إلى أحمر - بني أو أسود، وأحياناً خليط بين هذه الألوان نتيجة لكيفية حرق الأواني.

وتتنوع أشكال الأواني ولكن الشكل الغالب هو الصحن العميق، بأحجام مختلفة، الذي يظهر أحياناً في بعض المواقع دون غيره، كما يتصل ببعض الأواني يد واحدة بين الحافة والكتف.

ومن الواضح أن هذا النوع من الفخار لا يتصل مباشرة بالصناعة التقليدية للفخار في فلسطين، وقد أمكن تتبع مصدره حتى شرق وأواسط الأناضول مروراً بمواقع أو مناطق ساحلية شمالية وأخرى داخلية مثل سهل العمق وحماة ونهر العاصي^(٩١). وقد رأى البعض أن وجود هذا الفخار كان نتيجة هجرة أو هجوم بشري من الشمال^(٩٢)، في الوقت الذي لم يرافق ظهور فخار خربة الكرك تغير واضح أو تدمير للمدن والمواقع الفلسطينية الأمر الذي دفع هنسي وغيره إلى اعتبار وجود هذا الفخار عن طريق التجارة أو من خلال فئات صغيرة جاءت من الأناضول إلى شمالي سوريا وفلسطين^(٩٣).

العمارة في المرحلتين الثانية والثالثة:

● المساكن: لقد كانت مادة البناء الرئيسية في المدن والقرى الفلسطينية من الطوب المجفف على أرضية من الحجارة المساء، مع أن الحجارة غير المهندسة استعملت في عدد من المواقع. وغالباً ما كانت أراضي البيوت من التراب أو الحور المرصوص وكانت الأرضيات المرصوفة قليلة أو أنها محصورة في ساحات البيوت التي كانت تضم مرافق الطبخ والخزين. وقد خزن أصحاب البيوت حبوبهم في جرار كبيرة كانت كثيراً ما توضع داخل حفر. واستعان السكان في هذه الفترة بالأخشاب لتشكل المادة الرئيسية في سقف البيوت والتي كانت تدعم بأعمدة من الخشب أيضاً، وأوضح الأمثلة على ذلك تلك التي وجدت في تل الفارعة والتل (عي) وعراد وباب الذراع.

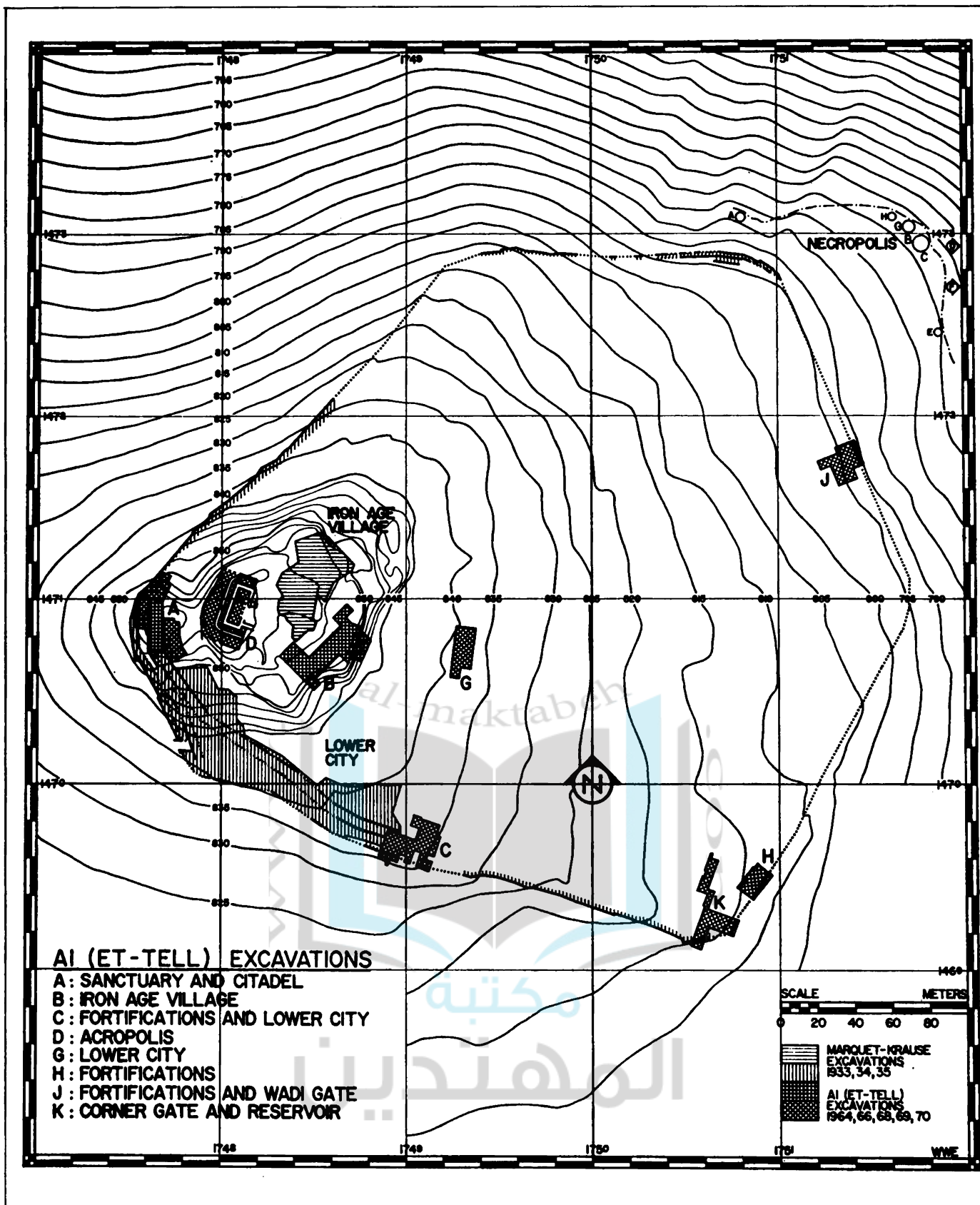
وكثيراً ما كانت البيوت مؤلفة من غرفة واحدة، وقد أضيفت غرف أخرى تبعاً لحاجة السكان وإمكاناتهم. وهناك منازل

ويبدو أن سكان فلسطين أخذوا في تزايد مستمر، وأصبحوا يطورون في مواقعهم السكنية تدريجياً حتى أصبحت مدناً محصنة ذات طابع مستقل شكّل المرحلة الثانية من العصر البرونزي القديم.

(ب) المرحلة الثانية (٣٠٠٠ - ٢٧٠٠ ق.م): تتميز المرحلة الثانية من العصر البرونزي القديم بتأسيس الكثير من المدن المسورة التي يعود الفضل في إنشائها إلى أصحاب المدافن ذات المداخل الرأسية. ويلاحظ انتشار المدن المحصنة هذه في جميع المناطق الفلسطينية ومنها المنطقة الساحلية ومرج ابن عامر وسلسلة الجبال الغربية ووادي الأردن والهضاب الشرقية في الأردن وحتى موقع جاور في الصحراء. كما أصبح تأسيس المدن ومرافقها الدفاعية والعامة والسكنية يفرض شيئاً من التخطيط المسبق، وغدت المدن الرئيسية تمثل وحدات سياسية مستقلة أشبه بدويلات المدن التي يتبعها عدد من القرى الزراعية. ويحتل عدد من هذه المدن هضاباً استراتيجية، ولكنها ليست بالضرورة فوق المرتفعات الجبلية العالية. ومن أهم هذه المواقع: تل المتسلم وتل تعنك وبيسان والعفولة في مرج ابن عامر، وتل الفارعة بالقرب من نابلس، وخربة الكرك (Beit Yerah) على بحيرة طبرية، وأريحا وتل أم حماد الشرقي وغيرهما من مواقع وادي الأردن، وباب الذراع في منطقة اللسان شرقي البحر الميت، وكذلك التل (عي) وتل النصبه والقدس في الوسط، وتل الدوير وعراد (Arad) وتل أبو شوشة وتل بيت مرسيم في الجنوب، ورأس العين وخربة الشيخ ميسر وتل الشيخ أحمد العربي «جَت» (Gath) بالقرب من الساحل الفلسطيني. وهناك موقع جاور في الصحراء على بعد حوالي ٧,٥ كم إلى الشرق من المفرق حيث أظهرت الحفريات أسوار مدينة فوق مرتفع طبيعي.

وتتميز هذه المرحلة باستعمال عجلة الفخار على نطاق واسع. واهتدى سكان فلسطين إلى خلط النحاس بنسبة معينة من القصدير فأنتجوا أدوات برونزية متعددة الأشكال والوظائف.

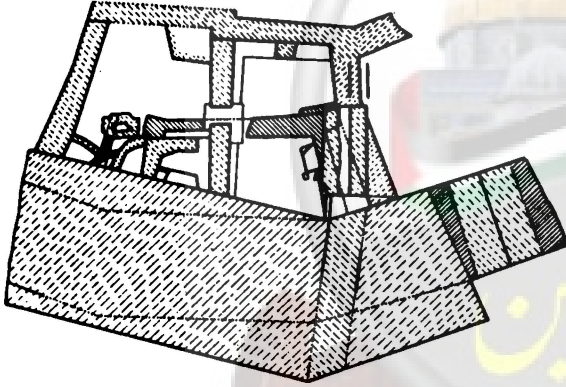
(ج) المرحلة الثالثة (٢٧٠٠ - ٢٣٠٠ ق.م): لم تشهد هذه المرحلة تغيراً حاسماً في الإنتاج أو العمارة، وكثيراً ما استمر سكنى المواقع السالفة الذكر مع بعض التغيرات أو الإضافات على مرافقها المعمارية، مع أن بعض المواقع قد هجرت تماماً مع بداية هذه المرحلة. وأكثر ما يميزها فخار من النوع المعروف بفخار خربة الكرك نسبة إلى الموقع الذي أمكن التعرف فيه على هذا النوع لأول مرة، إلا أنه ظهر فيما بعد أن له انتشاراً واسعاً يضم المواقع التالية: تل الشونة الشمالية وبيسان وتل المتسلم والعفولة وتل



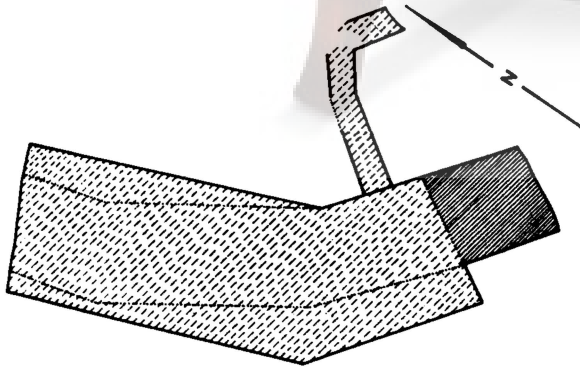
خارطة كنتورية للحفريات التي أجريت في موقع التل

LES FOUILLES DE ET-TELL.

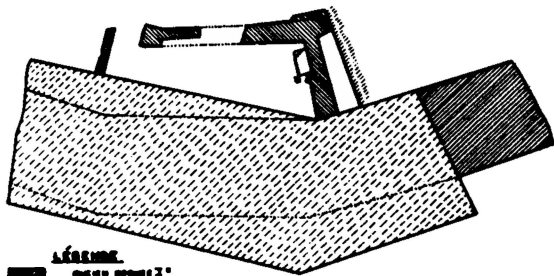
PLAN DES SANCTUAIRES.



PLAN DU SANCTUAIRE „B“



PLAN DU SANCTUAIRE „C“



للأغنياء مؤلفة من غرفتين أو أكثر كتلك التي وجدت في بيسان وتل الفارعة.

● المعابد والمباني العامة: احتوت كل مدينة من مدن العصر البرونزي القديم في العادة معبداً أو أكثر، وقد ظهر ذلك خاصة في المواقع التي تم الكشف عن أجزاء واسعة منها كما هو الحال في التل (عي) الذي عثر فيه على معبد أعيد بناؤه ثلاث مرات، أو أنها تمت على ثلاث مراحل أبرزها المرحلة الثالثة، حيث يتألف المعبد من ثلاث غرف. إحدى هذه الغرف قاعة طولها ٨,٥ م وعرضها ٦ م، ووجد فيها مقعد من التراب المرصوص على جانبيين من جدرانها الداخلية، وعثر على هذا المقعد على أواني تقديمت ذات طابع ديني، وتشمل أواني التقديمت جراباً كبيرة مغروسة في الأرض، وكشف أيضاً عن حجرتين مربعتي الشكل. كما وجد في غرفة أخرى مذبح (Altar) وغرفة مقدسة (Cella)، وفوق المذبح صينية ضمت أواني فخارية ورخامية وصحناً من الفرانيت صناعة مصرية وقطعاً أخرى تتعلق بالطقوس الدينية. بنيت جدران هذا المعبد من حجارة تغطيها طبقة من القصارة.

كما كشفت حفريات تل الفارعة عن معبد صغير من المرحلة الأولى يتكون من جزئين: الغرفة المقدسة لها مدخل من الجهة الشرقية وتضم مذبحاً وطاوله تقديمت، وصحناً مقدساً. وقد أعيد استعمال هذا المعبد في مرحلة لاحقة وبطل استعماله لأغراض دينية.

كذلك تم العثور في الطبقة السابعة في أريحا (المرحلة الأولى أ) على معبد، وهو عبارة عن غرفة تبلغ أبعادها حوالي ٥,٢٥ م × ٢,٥٠ م يحيط بجدران هذا المعبد عند الطرف الشمالي - الغربي دكة مرتفعة تشكل منصة، وأما المدخل فيوجد في الحائط الشمالي الطويل. وقد جاءت الجدران والأرضيات مقصورة بشكل جيد، ويفصل ما بين غرفة هذا المعبد والبيوت المجاورة جدران قوية. وقد عثر على معابد مشابهة لهذا المعبد في بلاد الرافدين، وسوريا (٩٤).

كشفت الحفريات في موقع تل المتسلم، وفي الطبقة السابعة عشرة أو السادسة عشرة عن كومة من الحجارة بشكل إلهيجي نوعاً ما، ويصعد إليها بواسطة درج. وربما كانت تستعمل كمذبح حيث تم العثور على عدد كبير من العظام الحيوانية والأواني في هذا المكان، مما يدل على أنها كانت تستعمل كمكان لتقديم القرابين. وهذا النوع من الأماكن المرتفعة كان معروفاً بل شائعاً في البلاد الكنعانية.

مخططات لمبانٍ ظهرت في موقع التل وتعود للعصر البرونزي القديم

لأغراض الدفن. والمدخل بيضوي أو أسطواني الشكل تقريباً، وأحكم إغلاقه بتراب كلسي من الصخر نفسه الذي قطع فيه القبر، وفي حالات أخرى تم تغطية المدخل بلوحة حجرية كبيرة تم وضعها بدقة تحت الفوهة بقليل، أما مداخل التجايف الجانبية فقد أغلقت بواسطة بلاطات حجرية يتخللها أحياناً حجارة أصغر حجماً، ووجد خلف كل مدخل درجة تؤدي إلى أرضية الغرف الجانبية.

والجدير بالذكر أن البعثة التي تنقب في باب الذراع منذ عام ١٩٦٥ قد كشفت عن عشرات بل مئات المدافن من هذا النوع، ويظهر أن غالبيتها بقيت بعيدة عن أيدي العابثين وللصوص.

وغالباً ما احتوى المدفن الواحد على كوم من العظام لعشرات الموق أقيمت على أرضية من الرمل الناعم أو الحصى، الكبيرة منها مرتبة بالتوازي والصغيرة دون انتظام ووضعت الجماجم على حدة. تمثل الجماجم رجالاً ونساء وأطفالاً مصطحبين بأعداد كبيرة من الأواني الفخارية، وكثيراً ما وجد وعاء أو وعاءان من البازلت، وكذلك هراوة من الرخام أو البازلت، وظهرت في بعض المدافن دمي من الطين أو الفخار وأساور وأسلحة برونزية. وتعد الأواني الفخارية التي استخرجت من مدافن باب الذراع بعشرات الآلاف تتضمن أصنافاً محدودة تمت صناعتها على ما يبدو في مصانع مركزية، ويظهر أنها صنعت خصيصاً لأغراض الدفن ولم يسبق أن استعملت لأغراض أخرى.

ما زالت المدافن ذات المداخل الرأسية ومحتوياتها هي مصدر معلوماتنا الرئيسية عن نهاية العصر الحجري النحاسي وبداية العصر البرونزي القديم. أما بالنسبة للمواقع السكنية المعاصرة لها فإنها تكاد تقتصر على ما هو أشبه بالمعسكرات كما هو الحال في باب الذراع^(٩٩)، أريحا^(١٠٠)، تلون أبو العلايق بالقرب من أريحا^(١٠١)، خربة الكرك على بحيرة طبرية^(١٠٢). قد يشكل موقع جاوة الذي يقع على بعد حوالي ١٤٠ كم إلى الشمال الشرقي من عمان، استثناءً، حيث عثر المنقب سفند هيلمز (Svend Helms) على مدينة محصنة يعيدها إلى مرحلة المدافن ذات المداخل الرأسية^(١٠٣).

● النوع الثاني: المدافن القبية: هناك عدد قليل من مدافن باب الذراع التي تلي النوع الأول زمنياً وقد تشكل حلقة وصل بين المدافن ذات المداخل الرأسية والمدافن المستطيلة. تم بناء هذا النوع من الطوب على شكل قبة، يستدير في الأسفل ويضيق باتجاه الأعلى وله مدخل ضيق نسبياً تحيط به بلاطتان حجرتان يعلوهما

ومن أشهر المعابد التي عثر عليها في فلسطين، وتعود إلى مرحلة العصر البرونزي القديم الثالث الذي تم العثور عليه في موقع التل (عي). وقد جاءت الملتقطات الفخارية من هذا المعبد مشابهة لتلك التي عثر عليها في قبر بأريحا وبيسان الطبقة (XII) وتعود إلى المرحلة الثالثة من العصر البرونزي القديم^(٩٥).

● المدافن: تبقى المدافن الشاهد الرئيسي على الفترة التي تسبق عصر دولات المدن، وقد وجدت غالباً في مواقع سكنية تطورت إلى مدن محصنة كما هو الحال في تل المتسلم، أريحا، بيسان، تل الفارعة وباب الذراع. وقد تم قطع هذه المدافن في الصخر الطبيعي على شكل كهف أو بئر. ويتضمن المدفن في العادة عدداً من الغرف الجانبية تتفرع عن المدخل الرأسي. واستعملت جميع الأمثلة المعروفة لدينا لأغراض الدفن الجماعي، إذ يصل عدد الهياكل العظمية في المدفن الواحد إلى العشرات أو المئات، الأمر الذي يدعو للاعتقاد بأنها تغطي فترة زمنية قصيرة قد تصل إلى ٢٠٠ - ٣٠٠ سنة.

لا شك بأن المدافن ذات المداخل الرأسية تمثل شيئاً جديداً في عادات الدفن لم تكن معروفة من قبل، ويعزو بعضهم هذه الظاهرة الجديدة إلى مهاجرين جدد أدخلوا عادات دفن مغايرة لما كان سائداً في العصور السابقة، ويرى هؤلاء أن المرفقات الجنائزية، وبشكل خاص الأواني الفخارية ذات اللونين الأحمر والأسود المصقولين، وكذلك الفخار الملون من إنتاج القادمين الجدد^(٩٦)، بينما يعتقد ديفو أن هذا التطور كان محلياً واعتبره استمراراً لحضارة غسول / بئر السبع^(٩٧). وجدت مدافن هذا النوع في مختلف المواقع الفلسطينية خارج المواقع السكنية، وهي متجانسة إلى حد كبير من حيث شكلها ومحتوياتها، لذا نورد هنا وصفاً مختصراً للمدافن التي تم الكشف عنها في موقع باب الذراع في منطقة اللسان شرقي البحر الميت.

استطاع المنقبون تمييز أربعة أنواع رئيسية من المدافن في باب الذراع، يمثل كل نوع مرحلة زمنية تغطي مجموعها مراحل العصر البرونزي القديم، أي من أواخر الألف الرابع وحتى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد^(٩٨).

● النوع الأول والأقدم (المدافن المقطوعة في الصخر): وهو عبارة عن تجويف عمودي مقطوع في الصخر الطري يزيد عمقه على المترين وقد يصل إلى أربعة أمتار، يتسع في الأسفل ويتفرع عنه تجويف آخر أو أكثر. واستعملت التجاويف أو الغرف الجانبية

بلاطة ثالثة. يسبق المدخل باحة صغيرة مسوّرة ومرصوفة بالحجارة. مادة البناء والمدخل مع الباحة المرتبطة به تشبه إلى حد كبير الوضع في مداخل النوع الثالث (المدافن المستطيلة). يعيد المنقبون تاريخ هذا النوع إلى مرحلة مبكرة من العصر البرونزي القديم، أي مستهل الألف الثالث قبل الميلاد.

● النوع الثالث: مداخل الغرفة المستطيلة (Charnel House): وهو عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل جدرانها مبنية من الطوب على طبقة من الحجارة غير المنتظمة. وتبلغ أطوال المدافن متوسطة الحجم ١١,٥٠ م × ٥,٥٠ م، بينما كشف عن مدفن أطواله ١٥,٥٠ م × ٧,٨٠ م ليشكل أكبر مدفن في الموقع حتى الآن. يتخلل المدفن مدخل منطقة وسطية للجانب العريض للغرفة كما هو الحال في المنازل والمعابد الكنعانية. ويصطف على جانبي المدخل بلاطتان حجريتان يعلوهما لوحة أخرى، بينما أغلق المدخل بواسطة بلاطة أو أكثر من نفس النوع. ويصل المدخل بأرضية الغرفة درجة أو درجتان. ووجدت غالبية المدافن مرصوفة بالحصى، وهناك دلائل واضحة على أنه سقف بلوحات خشبية بعرض الغرف شوهه حريق شمل عدداً من هذه المدافن، ومن المحتمل أن الحريق قد تسبب من المهاجمين للمنطقة الذين دمروا المدينة المحصنة الواقعة إلى الشمال من منطقة المدافن.

وتتضمن موجودات هذه المدافن أكواماً من العظام بلغ ارتفاعها أحياناً أكثر من المتر. وبعض هذه الأكوام كانت مصنفة حسب أحجام العظام، فيظهر أن العظام الكبيرة قد وضعت على جانب والصغيرة على جانب آخر والجماجم منفصلة عنها، وكذلك حال الأواني الفخارية التابعة لها، إلا أنه يجب القول إنه عثر على هذه الأكوام أحياناً بشكل يخالف هذا التصنيف.

ويستدل من الكيفية التي وجدت فيها محتويات المدافن وأنواع الأواني الفخارية بأن هذا النوع من المدافن استعمل لفترة طويلة قد تصل مئات السنين لتغطي مرحلتين رئيسيتين من مراحل مطلع العصر البرونزي القديم (Early Bronze Age II-III) وتتضمن الأواني الفخارية تنوعاً أكثر من المدافن الأقدم، فمنها ما هو مصقول ومغطى بقشرة رقيقة ملساء أو مطلي بأشكال هندسية، وألصق على جوانب الكثير منها أياض مختلفة الأشكال والأحجام بشكل أفقي. وهناك عدد وافر من الأواني المعروفة بأباريق أبيدوس المصرية الأصل. والجدير بالذكر أن الأواني الفخارية التي وجدت في هذه المدافن مصنوعة على العجلة وتشبه إلى حد كبير ما يعثر عليه في المدن والمواقع السكنية المعاصرة لها، كما عثر بداخل المدافن على لوحات ودبسات من الحجر ومجموعات من

الخرز وبعضها من الذهب، وكذلك أسلحة تضم فؤوساً وخناجر طويلة. ومن بين المكتشفات بقايا من القماش والخشب شمنها الحريق. ويتصل بالمدخل من الخارج باحة مستطيلة مرصوفة بالحجارة ومحيط بها جدار منخفض من الطوب. يعتبر باب الذراع من أهم المواقع في فلسطين والأردن من عصر دويلات المدن للألف الثالث ق.م التي تلت المدافن الرأسية ذاتها كما تقدم. والمدافن المستطيلة أمثلة ليس لها مقارنات مباشرة في المنطقة. وبالرغم من انتشار المدن على نطاق واسع فإن المدافن التي تم الكشف عنها حتى الآن قليلة نسبياً. الأمثلة المعروفة لدينا من الألف الثالث قبل الميلاد توجد خارج المدن أو المناطق السكنية، وغالباً ما دفن سكان المنطقة موتاهم في كهوف أو غرف صخرية وجدت على جوانب الهضاب والمرتفعات. فوهات هذه المدافن على مستوى أرضياتها تقريباً بخلاف المدافن ذات المداخل الرأسية. أما غرف الدفن فكانت إما لعائلة أو لمجموعة بشرية تم دفنها عبر مرحلة طويلة، وقد وضعت الجثث تبعاً لنظام معين بحيث يترك مكان لوفيات جدد. لم نستطع التعرف تماماً على الكيفية التي دفن فيها الموق بسبب الدمار الذي أصاب غالبيتها، إلا أن بعض الأمثلة تشير بأنها وضعت على جانبها، وكان لها وضع قرفصائي، أي بثني الركبتين وضم اليدين أمام الوجه. وهناك أمثلة تدل على حرق الموق قبل دفنهم، كما هو الحال في خربة الكرك على بحيرة طبرية، وفي بعض المدافن المستطيلة في باب الذراع. ووجدت بعض هذه المدافن في أريحا وتل الجزر في الجنوب من فلسطين^(١٠٤).

● النوع الرابع: مداخل عمودية مقطوعة في الصخر (Cairn Tombs): عبارة عن حفرة عمودية مقطوعة في الصخر يتفرع عنها غرفة جانبية أو أكثر. وجد في الغرفة هيكل عظمي واحد بصحبه بضعة أوان فخارية صنعت باليد عدا العنق الذي تظهر عليه آثار العجلة، وغالباً وضع فوق الفوهة كوم من الحجارة. لم يعثر في باب الذراع حتى الآن إلا على عدد قليل من هذا النوع إلا أنه ينتشر في عشرات المواقع الفلسطينية الأردنية، ويمتد وجود هذه المدافن حتى شمالي سوريا. وعلى أي حال تختلف هذه المدافن مع موجوداتها عن الأنواع السالفة الذكر.

ووجدت مثل هذه المدافن في الكثير من المواقع في الأردن حول مدينة عمان (جبل التاج، المدينة الرياضية، المشرفة، أم الرجوم، المدينة الطبية)، وكذلك في تل الحصن بالقرب من إربد، وفي ظهر مرزبانة وعين سامية والجيب وحيلة العمود وبيت ساحور في منطقة القدس، وخربة كوفين وبيسان وتل المتسلم في مرج ابن عامر وتل العجول بالقرب من غزة وتل بيت مرسيم

ولم يصل إلى نهايته بعد، فإن الواضح بأن أواخر الألف الثالث قبل الميلاد تشهد تحولاً جذرياً في النواحي السياسية والدينية والمعمارية والتجارية. ليس فقط في فلسطين وإنما في أنحاء مختلفة من الشرق القديم. والشاهد الرئيسي على هذه المرحلة قد استخرج حتى الآن من المدافن التي وجدت بأعداد كبيرة في فلسطين والأردن، ولم يعثر بالمقابل على مواقع سكنية تتناسب والعدد الضخم من المدافن الفردية. وإذا ما وجدت مثل هذه المواقع السكنية فإنها غالباً ما تكون أشبه بالمعسكرات أو قرى زراعية صغيرة وبسيطة، خاصة إذا ما قورنت بالمدن المحصنة التي انتشرت على نطاق واسع في المرحلتين الثانية والثالثة من العصر البرونزي القديم.

وجدت مثل هذه المدافن في عشرات المواقع الفلسطينية الأردنية كما هو الحال في تل العجول بالقرب من غزة^(١١٣) وتل الدوير^(١١٤) وعين سامية وظهر مرزبانة^(١١٥) والجيب^(١١٦) وخربة كوفين^(١١٧) وتل المتسلم^(١١٨) وأريحا^(١١٩). ويتوالى ظهور مثل هذه المدافن في العديد من مواقع غور الأردن مثل تل أكتنو وتل أم حماد الشرقي وسيل الحمة وحتى تل القدح إلى الشمال من بحيرة طبرية. كما امتد انتشار مقابر المرحلة الانتقالية لتظهر في باب الذراع في منطقة اللسان شرقي البحر الميت^(١٢٠). وكشفت الحفريات في السنوات الأخيرة عن أعداد منها في مواقع مختلفة داخل مدينة عمان وحولها^(١٢١) وقبل ذلك في موقع الحصن بالقرب من إربد^(١٢٢).

وتتميز مدافن هذه المرحلة في أنها استعملت لأفراد بخلاف الأنواع الأخرى التي سبقتها من العصر البرونزي القديم، وقد تم قطعها في الصخر أو الأرض الطبيعية، ولها في العادة مدخل رأسي يتفرع عنه تجاويف أو غرف جانبية، ويكون المدخل أحياناً من الجانب كما هو الحال في مدافن تل المتسلم. صُنفت كاثلين كنيون المدافن التي عثرت عليها في أريحا إلى سبعة أنواع تبعاً لحجمها، وشكلها، وطبيعة المكتشفات التي وجدت بداخلها كالأواني الفخارية والمعدنية والحلي، وقادها هذا التصنيف إلى الاعتقاد بأن أصحاب هذه المدافن يمثلون مجموعات قبلية من أصول واحدة^(١٢٣). أما أميران فقد قسمت الأواني الفخارية التي ظهرت في مثل هذه المدافن إلى ثلاث عائلات أو مجموعات تبعاً لتسلسل زمني وتوزيع جغرافي، وحاولت إيجاد علاقة مباشرة مع مقارنات وجدت في شمالي سوريا وما بين النهرين^(١٢٤).

وتكاد تكون المرفقات الجنائزية بداخل المدافن متجانسة إلى حد كبير، إذ غالباً ما يضم المدفن الواحد بضعة أوان فخارية،

وغيرها. وقد أسهب بول لاب (Paul Lapp) في دراسة هذا النوع من المدافن عند استعراضه لمدافن ظهر مرزبانة^(١٢٥)، كما قامت كاثلين كنيون بتصنيف المدافن التي كشفت عنها في أريحا إلى سبعة أنواع^(١٢٦).

ومع أن النقاش يطول حول ماهية هذه المدافن، فإن هناك إجماعاً على أنها تعود لأواخر الألف الثالث ومستهل الألف الثاني قبل الميلاد لتشكل الشاهد الرئيسي على المرحلة الانتقالية ما بين العصرين البرونزي القديم والمتوسط، إذ أن المواقع السكنية المعاصرة للمدافن قليلة جداً. وغالباً ما كان أصحاب هذه المدافن من جماعات أشبه بالرحل يعيشون في معسكرات أو مواقع زراعية بسيطة للغاية، لم تكن المرحلة الانتقالية التي تعيشها لتقتصر على جنوبي سوريا، وإنما شملت معظم بلاد الشرق ومنها مصر وبلاد الرافدين. وهناك اعتقاد بأن المجموعات القبلية وراء هذا التحول هي نفسها التي ترد في سجلات السومريين والبابليين القدماء وعرفوا بالسومرية باسم (مرتو) والبابلية القديمة باسم (امورو)^(١٢٧).

ثانياً - نهاية العصر البرونزي القديم ومرحلة الانتقال للعصر البرونزي المتوسط (٢,٣٠٠ - ٢,٠٠٠ ق.م):

يكتنف نهاية العصر البرونزي القديم الكثير من الغموض وهو ما جعل العاملين في الآثار الفلسطينية يختلفون في طبيعة هذه الفترة وميزاتها وحتى نسبتها إلى فترة زمنية محددة، فبينما نسبها رايت (Wright) وروланд ديفو إلى مرحلة رابعة من العصر البرونزي القديم^(١٢٨) اتبعتها كنيون إلى مرحلة انتقالية ما بين العصرين البرونزي القديم والمتوسط^(١٢٩)، أما أميران وأولبرايت وغيرهما فقد اعتقدوا بأنها تمثل مرحلة مبكرة من العصر البرونزي المتوسط^(١٣٠)، ولجأ بول لاب إلى تقسيمها لمرحلتين ضمن المرحلة الانتقالية بين العصرين البرونزي القديم والمتوسط (Intermediate Bronze I, II) لدى معالجته لمدافن ظهر مرزبانة^(١٣١)، وقدم فيها بعد اقتراحاً مختلفاً بعض الشيء عن اقتراحه الأول في ضوء حفرياته في باب الذراع، بحيث أطلق على الجزء الأقدم من هذه المرحلة اصطلاح «العصر البرونزي القديم الرابع» = (EB IV) والجزء المتأخر منها لبداية العصر البرونزي المتوسط^(١٣٢).

مع أن النقاش حول هذا الموضوع معقد ويطول البحث فيه

وأحياناً بعض الأسلحة البرونزية، وفي حالات أخرى قليلة ضمت بعض الحلي من الخرز والبرونز، أما الهيكل العظمي فقد وجد في الغالب بوضع قرفصائي وليس له اتجاه معين.

وغالباً ما كان أصحاب هذه المدافن من جماعات أشبه بالقوم الرُّحْل جاءت إلى فلسطين على شكل موجات متلاحقة، ولم تكن شواهد المرحلة الانتقالية لتقتصر على جنوبي سوريا، وإنما شملت معظم بلاد الشرق القديم ومنها مصر وبلاد الرافدين، كما ذكر سابقاً^(١٢٥).

ويبدو أن هذه الجماعات أخذت في الاستقرار التدريجي لتؤسس فيما بعد عدداً من المواقع السكنية والمدن المحصنة من العصر البرونزي الوسيط في فلسطين وشمال سوريا، في الوقت الذي اعتبر هؤلاء مسؤولين عن تأسيس الامبراطورية البابلية القديمة في بلاد ما بين النهرين.

— الصناعة والتجارة: إن تطور حياة المدنية زاد في الحركة العمرانية التي تدل على نمو سكاني، وارتفاع مستوى المعيشة، وتقدم ملحوظ في نظام الزراعة مثل الحبوب والزيتون واللوز^(١٢٦). وقد تم العثور في معظم المواقع التي جرت فيها أعمال حفر على أدوات للزينة مصنعة محلياً، أو مستوردة، مثال ذلك الخرز والعظام والأحجار الكريمة وبعض القطع الذهبية^(١٢٧).

وهناك أمثلة قليلة من الأختام الأسطوانية التي ظهرت في بعض المواقع الفلسطينية مثل تل المتسلم وأريحا وأماكن أخرى تشابه في أسلوبها أختام عصر جمدت نصر وعصر السلالات المبكر في بلاد الرافدين^(١٢٨).

ومن الصناعات التي كانت معروفة في السابق واستمرت خلال هذه المرحلة، ولكن بشكل أفضل، صناعة الفخار. فقد أصبحت الأدوات الفخارية المصنوعة بواسطة الدولاب منتشرة على نطاق واسع. وكذلك أصبحت مادة الفخار معدة على أسس أفضل بخلط مادة الصلصال بكسر من الحور والكوارتز. وقد مكنت التحسينات صانعي الفخار من إعطاء أشكال متنوعة أكثر من العصور السابقة^(١٢٩).

وكذلك أصبح في هذه الفترة النحاس والبرونز يُنتجان على نطاق واسع حيث استخرجت أعداد كبيرة من الأدوات البرونزية في الكثير من المواقع مثل كفار مناش الذي يقع ما بين حيفا وتل أبيب حيث وجد فيه ٣٥ قطعة معدنية ضمت خناجر ورؤوس حراب وفؤوساً وسكاكين ومنشاراً^(١٣٠). اكتشفت أيضاً

مجموعات معدنية مشابهة في مواقع تل الحسي^(١٣١) وأريحا^(١٣٢) وتل الفارعة^(١٣٣) وتل الجزر قرب أبو شوشة^(١٣٤) وتل الدور^(١٣٥) وغيرها.

وفضلاً عن هذه الأدوات المختلفة، استمرت صناعة الأدوات الصوانية في هذه المرحلة، ولكن بطريقة أسهل، حيث عثر على مجموعة من الأدوات في مواقع مختلفة، وجاءت بعض أشكالها استمراراً للتي كانت معروفة في السابق مثل الفؤوس والمكاشط ورؤوس السهام والشفرات، أما الأدوات العظمية فقد تكونت في الغالب من الإبر والمخارز.

لقد أدى التقدم في الزراعة والصناعة إلى زيادة الرخاء الاقتصادي كما هو ظاهر في تطور الحياة المدنية. فأصبح من الضروري قيام علاقات اقتصادية ما بين المدن المختلفة والبلدان الأجنبية الأخرى، فعلى سبيل المثال كان زيت الزيتون ينتج لسد الحاجة المحلية، وبعضه كان يصدر إلى مصر، وأصبح يحسب حساب خزن هذه المنتجات في البناء والتنظيم حيث أصبحت تبنى المخازن الكبيرة لحفظها^(١٣٦).

— المرحلة الانتقالية من العصر البرونزي القديم إلى البرونزي المتوسط (EB IV — MB I): لم يستطع علماء الآثار تحديد نهاية العصر البرونزي القديم بشكل دقيق، والسبب في هذا يعود إلى أنه لم يظهر أي موقع من المواقع الرئيسية التي تعود إلى هذه المرحلة استمرارية واضحة في الطبقات السكنية. فعلى سبيل المثال نجد أنه في موقع التل (عي) ظهر هناك انقطاع مفاجئ في السكنى في نهاية المرحلة الثالثة للعصر البرونزي القديم (EB III) كذلك الحال في موقعي تل الفارعة ورأس العين. علماً بأنه في مواقع تل المتسلم وبيسان وأريحا استطاع المتقبن أن يميزوا شواهد استمرارية ما بين العصر البرونزي القديم والمتوسط علماً أنها جاءت فقيرة.

وحتى نستطيع أن نميز مرحلة رابعة للعصر البرونزي القديم نجد أنه من الضروري القيام بأعمال تنقيب في بعض المواقع التي سكنت في هذه المرحلة، علماً أن مواقع أخرى مثل تل بيت مرسيم وعين شمس وبيتين وباب الذراع وادر وأريحا وتل المتسلم قد ظهر فيها مخلفات تعود إلى هذه المرحلة. على أية حال فإن المرحلة الرابعة للعصر البرونزي القديم إنما تمثل مرحلة انتقالية ما بين هذه المرحلة وبداية العصر البرونزي المتوسط^(١٣٧). وتبقى هذه المرحلة غامضة بسبب تدمير المدن والمواقع الرئيسية من العصر البرونزي القديم، ولم يعثر المتقبن حتى الآن إلا على بعض القرى الزراعية

البسيطة وأعداد كبيرة من المدافن القروية والتي تم استعراضها سابقاً.

– المواقع: لكثرة المواقع التي تمثل العصر البرونزي القديم في مراحلها المختلفة ولتوضيح الميزات لهذه المراحل نستعرض فيما يلي أهم المدن التي أجريت فيها تنقيبات ودراسات مستفيضة أشير إلى المهم منها عند نهاية النص عن كل موقع.

– أريحا (تل عين السلطان): تقع مدينة أريحا في منطقة وادي الأردن وتبعد حوالي ١٠ كم إلى الشمال من البحر الميت، كما أنها تنخفض حوالي ٢٥٠ م عن مستوى سطح البحر وتعتبر أكثر المناطق انخفاضاً في العالم، وتتروى المدينة بالمياه بواسطة نبع عين السلطان ونبع عين ديوك الذي يبعد حوالي ٣ كم إلى الشمال الغربي للمدينة. ويرتفع تل عين السلطان حوالي ٢١,٥ م عن المنطقة المحيطة به، ويغطي مساحة قدرها ٤ هكتارات (٤٠ دونماً).

أولى التنقيبات الأثرية في هذا الموقع أجرتها جمعية استكشاف فلسطين بإشراف ضابط إنكليزي اسمه وارن لم يستطع العثور على أي شيء مهم خلال هذه التنقيبات. ولذا قامت بعثة ألمانية في الفترة الواقعة ما بين ١٩٠٧ – ١٩٠٩ وبإشراف كل من سيلين وواتزيرغر بالتنقيب مرة أخرى في هذا المكان، حيث كشفت التنقيبات هذه المرة عن بقايا عمائرية وغيرها تعود إلى العصر البرونزي المبكر والمتوسط. وجاءت نتائج التنقيبات مقبولة إلى حد ما، علماً بأنه وفي ذلك الوقت لم يكن هناك تسلسل زمني مقبول من جميع علماء الآثار. لكن جرى في فترة لاحقة، وبعد أن ازداد الاهتمام بالآثار وأصبح العلماء على دراية أفضل من السابق، أن قامت بعثة بإشراف غارستانغ في الفترة الواقعة ما بين ١٩٣٠ – ١٩٣٦ بالتنقيب مرة أخرى في هذا الموقع. لكن، ومع هذا، وجدنا أن التواريخ المعطاة لفترة العصور البرونزية جاءت خاطئة حيث لم يكن هناك أي شيء يعود إلى العصر البرونزي المتأخر عكس ما ذكره غارستانغ. وأهم ما كشفه لنا هذا المنقب كان الوصول إلى طبقات العصر الحجري الحديث خاصة مرحلة ما قبل الفخار. لكن أهم التنقيبات التي أجريت في هذا الموقع، بل وأفضلها كانت تلك التي قامت بها المدرسة البريطانية للآثار في القدس في الفترة الواقعة ما بين ١٩٥٢ – ١٩٥٨ بإشراف كنيون.

وكما ذكرنا، فإن أقدم البقايا الإنسانية التي عثر عليها في أريحا تعود إلى الفترة الناطوقية ومن ثم تم العثور على بقايا تعود إلى فترة العصر الحجري الحديث سواء ما قبل الفخار أو الفخار

(حوالي ٨,٠٠٠ – ٤,٥٠٠ ق. م)، وبعد هذه الفترة يبدو أن الموقع قد هجر حتى قدوم جماعة جديدة من الناس الذين سكنوا الموقع مرة أخرى وكان هذا في نهاية الألف الرابع ق. م وقد جلبوا معهم أشكالاً فخارية جديدة، وقد أطلقت كنيون على هذه الفترة اسم مرحلة «ما قبل التمدن» لكن عملية دراسة شاملة وواقية لهذه الفترة لم تتم علماً أنه تم العثور على الكثير من القبور المقطوعة في الصخر والتي لم يكشف إلا على بقايا سكنية قليلة معاصرة لها.

وقد عثر في هذه القبور الجماعية على عدد من الأدوات الفخارية والجثث الإنسانية، لكنه كان من الصعب جداً محاولة إعطاء فكرة أو تفسير لهذه الأمور، وذلك لأن أسطح هذه القبور المقطوعة في الصخر، كانت إما مفقودة أو متآكلة. على هذا الأساس نجد أن القبور استعملت لعدة مرات. لكننا، واعتماداً على الشواهد الحالية، لا نستطيع أن نطلق حكماً سواء أكان كل قبر جماعي من هذه القبور مخصصاً لعائلة معينة أم أنه لعامة الناس. ولقد جاءت نهاية العصر البرونزي المبكر في أريحا بشكل مفاجئ، حيث أظهرت المرحلة البنائية الأخيرة للجدار بالمدينة بأنه قد دمر من جراء حريق هائل. وجاءت بنايات المرحلة التالية لهذه الفترة تختلف عن البيوت التي كانت معروفة فيها، حيث كانت مبنية بشكل غير منتظم وبواسطة لبن طيني مخضراً اللون. على أية حال هذه البيوت لم تأت بشكل مباشر فوق طبقات العصر البرونزي المبكر، وذلك لأنه تم العثور على طبقة فاصلة بين الطبقتين تحتوي على عدد من قطع الفخار بأشكال جديدة وربما تكون هذه مرتبطة بقادمين جدد، من المحتمل أنهم كانوا يسكنون الخيام بدلاً عن البيوت. وقد أطلق على هذه الطبقة الفاصلة وعلى محتوياتها اسم (EB IV – MB I)، على اعتبار أنها تمثل مرحلة اتصال ما بين فترتي نهاية العصر البرونزي المبكر، وبداية العصر البرونزي المتوسط. وهؤلاء القادمون الجدد ربما كانوا بداية ورعاة. وحتى عندما بدأوا ببناء منازل لهم نجد أنها جاءت بسيطة جداً، ولم يعثر على أي جدار يحيط بالمدينة في هذه الفترة. وقد ظهرت سمات البداوة والقبلية من خلال عادات دفنهم. فقد كان الإنسان يدفن بشكل فردي في قبر منفصل، وهذا ملمح يميز هذه الفترة عن الفترات السابقة واللاحقة. لكن ضمن هذا الملمح العام كانت هناك اختلافات متميزة جعلت كنيون تصنفها في سبع مجموعات مختلفة. وجاء هذا التمييز اعتماداً على الاختلاف في موضع الجثة وحالة الجسم ومن ثم شكل القبر والحفرة العمودية وحجمها وطراز التقدّمات الجنائزية. وربما تمثل هذه الاختلافات عادات دفن مختلفة لمجموعات بشرية منفصلة. لكنه كان هناك صفة مشتركة تظهر في عدد من المدافن من حيث العناية بالمدفن والدفن

وتم الحفر في موقع مدينة العصر البرونزي المبكر على ستة مواسم متتالية تم العثور في أثنائها على نظام لتزويد المدينة بالمياه، وعلى نظام للتحصينات مبني بشكل جيد، وعلى أماكن سكنى خاصة وعمامة ومعبد، ولقد بلغ سمك الجدار الذي يحيط بالمدينة حوالي ٢,٣ - ٢,٤ م بينما بلغ محيطه حوالي ١٢٠٠ م. ويبدو أن طوبوغرافية الموقع التي من الواضح أنها تسهل عملية جلب المياه لتخزينها في مركز المدينة هي التي ساعدت على اختيار هذا المكان وجعله مناسباً للاستقرار، والدليل على هذا الكلام هو وجود منطقة منخفضة واسعة على شكل صحن ربما كانت تستعمل كمكان لتجميع المياه.

استطاع المتقربون في موقع مدينة العصر البرونزي أن يتعرفوا على أربع مراحل زمنية. أقدمها المرحلة الرابعة (IV) والتي تمثل بداية السكنى في هذه المدينة (EBI)، ويبدو أن الناس سكنوا في ذلك الوقت داخل كهوف. ويبدو أن المدينة بلغت أوج عظمتها وازدهارها أيام المرحلتين الثالثة والثانية، وقد أثارت الدلائل الأثرية أنه لربما كانت نهاية هاتين المرحلتين على إثر هجوم تعرضتا له من قبل مهاجرين. ولكنه كان من الواضح، وتبعاً للتتابع الزمني، أن المراحل الأربع جاءت متتالية دون أية فجوة زمنية، وبدون أي تغير عرقي لسكان المدينة خلال هذه المدة.

ويدل نظام التحصينات على دراية في تخطيط المدن، وعلى مجتمع منظم، وعلى عمارة عسكرية متميزة. فقد جاءت أساسات الجدار المحيطة بالمدينة مبنية على الصخر، وهذا الجدار مزود بمجموعة من الأبراج شبه الدائرية الشكل، والمبنية من الحجارة يبعد الواحد منها عن الآخر مسافة تتراوح ما بين ٢٠ م - ٢٥ م. هذه الأبراج جاءت متشابهة في الحجم ولها ممرات يستطيع الإنسان بواسطتها الدخول إلى داخل المدينة.

أما بالنسبة للبيوت السكنية فقد جاءت ملامحها العمائرية مميزة لفترة العصر البرونزي المبكر الثاني بشكل عام. أحد نماذج البيوت التي عثر عليها كان متشابهاً في المراحل السكنية الثالثة والثانية والأولى، وتميز المنزل في عراد بمساحته الواسعة، ويتكون من غرفة رئيسية، وغرفة إضافية أخرى ربما استعملت للتخزين أو كمطبخ بالإضافة إلى ساحة. وجاءت أبعاد الغرفة الواحدة تتراوح ما بين ٧,٣ × ٥,١ م إلى ٤,٣ × ٣,٣ م وفتحة المدخل الرئيسي (الباب) كانت دائماً في الجهة العريضة ولها درجات تقود إلى داخل الغرفة، إذ كانت أرضية المنازل تحت مستوى الشارع أو الساحة. وكان السقف بلا شك مستوياً وكان يدعم بواسطة القضبان الخشبية. ويبدو أنه لم يكن هناك منافذ

في قبر عميق واسع وهياكل عظمية متآكلة وغير كاملة على الأغلب. وهذا يمكن أن يكون شاهداً على طريقة حياة بدوية، يظهر فيها أنه عند موت أحد الأشخاص أثناء الهجرات الموسمية يعاد إحضارهم إلى أحد المدافن عند عودة القبيلة إلى أحد الأماكن المعروفة لديهم.

ويبدو أن سكان فترة (EB IV - MB I) كانوا منتشرين بشكل كبير في فلسطين، ومع العلم بأن الأدوات، وعادات الدفن كانت تختلف من مكان لآخر لكن هذا يؤكد الطبيعة القبلية لهؤلاء الناس. كذلك عثر على بقايا تعود إلى هذه الفترة في سوريا وهو ما يشير إلى ظهور الأموريين وانتشارهم في سوريا والذين تذكرهم المصادر السومرية التي تعود إلى زمن سرجون الأكدي (٢٣٧١ - ٢٣١٦ ق. م) والأسرة الثالثة في أور (٢١١٣ - ٢٠٠٤ ق. م). وهؤلاء الأموريون هم المسؤولون عن تدمير مدينة جبيل (بيبلوس)، وبعد هذا كون الأموريون عنصراً هاماً للعناصر السكانية في فلسطين والأردن في النصف الثاني من الألف الثاني ق. م.

ومن الملاحظ أيضاً في أريحا أنه كان هناك تغير مفاجئ ما بين نهاية فترة (EB IV - MB I) وبداية العصر البرونزي المتوسط. وهذا التغير كان في عادة الدفن والأدوات والأسلحة والأدوات الفخارية وهو ما يعتبر بداية مرحلة جديدة أطلق عليها اسم العصر البرونزي المتوسط.

- عراد: تقع عراد في منطقة النقب الفلسطينية إذ تبعد حوالي ٣٠ كم شمال شرقي بئر السبع. وهذا الموقع عبارة عن تلة صغيرة ترتفع بشكل واضح بين تلال منطقة النقب. وبما أن المكان يفترق إلى المصادر المائية كالينابيع والأنهار فهو يعتمد على مياه الجمع.

بدأ الموسم الأول للحفريات الأثرية في هذا الموقع في عام ١٩٦٢، وكان ذلك بإشراف كل من أهاروني وأميران. أما الموسم الثاني وهو الذي كان في عام ١٩٦٣ فكان بإشراف أهاروني بمساعدة كوشافي (M. Kochavi) وبعد الموسم الثالث أي في عام ١٩٦٤ أصبحت الحفريات الأثرية تجري سنوياً هناك، ولكن في منطقتين مختلفتين الأولى، منطقة التل ويشرف عليها أهاروني، والثانية منطقة مدينة العصر البرونزي المبكر، وهي المنطقة المنخفضة من التل وتشرف عليها أميران، واستمرت الحفريات حتى عام ١٩٧١.

الجهة الشمالية قد أقيم في المرحلة السكنية الثالثة للموقع لكنه حصل فيه تغيرات في المرحلة الثانية. أما القاعة الجنوبية فقد أضيفت في المرحلة اللاحقة. ويشابه هذا المعبد المعابد التي عثر عليها في تل المتسلم وعين جدي والتل (عي).

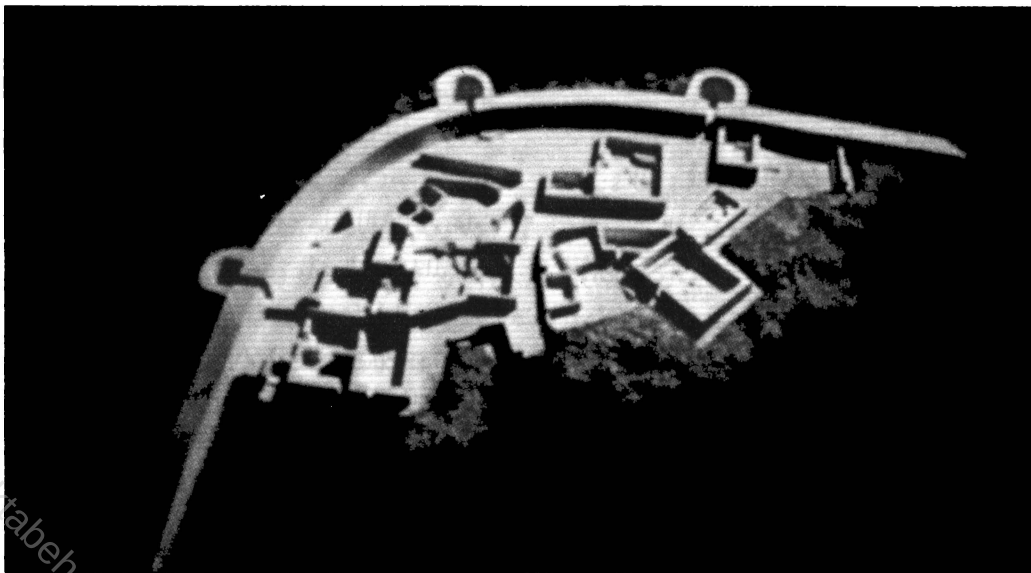
أما الأدوات الفخارية التي عثر عليها في عراد فتكونت من صحنون وأطباق وسُرُج على شكل صحنون وأباريق وأباريق صغيرة وفناجين صغيرة الحجم وجرار مختلفة الأحجام. وكان

أوشبابيك لمثل هذه البيوت. ولقد تم العثور داخل البيوت على أوان فخارية، وأدوات للطحن، وأجران، وأدوات نحاسية، وصوانية، وعظمية، وخرز.

من أهم المباني العماثرية التي عثر عليها في هذا الموقع هو المعبد المسمى بالمعبد التوأم (Twin Temple) والذي يتكون من مساحة واسعة عليها بناء ضخم يضم قاعتين واسعتين يفصل بينهما حائط قليل الارتفاع، ويفتحان على ساحة، وكلاهما يقابل الشرق حيث كان المدخل من هذه الناحية. ولقد كان المعبد الذي بني في



الشكل (١) يمثل صورة لمنطقة الحفر (K) في موقع عراد بجنوب فلسطين



الشكل (٢) يمثل نموذجاً لإحدى مناطق الحفر بموقع عراد

هناك أوان مدهونة مثل الأباريق الصغيرة التي عثر على ما يشابهها في كل من بيسان وأريحا والتل.

بعد هذا العرض عن مدينة عراد نقول بأن بداية السكنى لهذا الموقع كانت في فترة العصر البرونزي المبكر الأول، واستمرت خلال الفترة الثانية لهذا العصر، علماً أنه تم العثور على حفر محفورة داخل الأرض حوت قطعاً فخارية مشابهة للتي عثر عليها في بئر السبع وتليلات الغسول وتعود بتاريخها إلى العصر الحجري النحاسي.

– التل (عمي): يقع التل إلى الشرق من قرية بيتين في محافظة القدس. ويغطي مساحة مقدارها ٢٧,٥ هكتاراً (٢٧٥ دونماً). ولقد أجريت فيه أولى الحفريات الأثرية في عام ١٩٢٨، وكان ذلك بإشراف غارستانغ الذي لم يقدم لنا الكثير عن هذا الموقع خلال تقريره المكون من ثلاث صفحات ملخصة عن هذه الحفريات.

وفي الفترة الواقعة ما بين المواسم ١٩٣٣ و ١٩٣٥ قامت السيدة ماركويت – كراوزه بالحفر مرة أخرى في هذا الموقع، وركزت أعمالها في المنطقة المرتفعة من التل. وكشفت هذه الحفريات عن بقايا أثرية تعود لفترة العصر البرونزي القديم وكان فيها معبد وقبور وقصر. وكذلك، وفي موسم عام ١٩٣٤ استطاعت المنقبة العثور في الجهة الشرقية من التل على قرية تعود بتاريخها للعصر الحديدي. كذلك اكتشفت في عام ١٩٣٥ نظاماً للتحصينات في الجزء الأسفل للموقع وهذا يتكون من بوابة خلفية لها أبراج إهليجية الشكل. لكن أهم الملاحظات التي قدمت لنا عن مكتشفات هذا الموسم هي أن بيوت العصر الحديدي الأول جاءت مبنية على أنقاض بيوت العصر البرونزي القديم الثالث.

وخلال فترة ١٩٦٤ – ١٩٧٠ قام كالاواي بالحفر للمرة الثالثة في هذا الموقع، ومواقع أخرى في المنطقة نفسها مثل خربة حيان، وخربة خضيرة، وخربة ردانة (Raddana) عشتاروت حيث لوحظ أنها تعود للفرات الرومانية والبيزنطية.

نتيجة لهذه الحفريات جميعها استنتج بأن بداية السكنى في هذا الموقع كان في العصر البرونزي القديم الأول (ب) (٣١٠٠ – ٣٠٠٠ ق. م)، واستمرت دون انقطاع حتى نهاية العصر البرونزي القديم الثالث (ب) أي في حوالي (٢٧٢٠ – ٢٤٠٠ ق. م)، ومن ثم أعيد سكناها في بداية العصر الحديدي. ففي الفترة الأولى للسكنى (EBI b) في هذا الموقع لوحظ أن

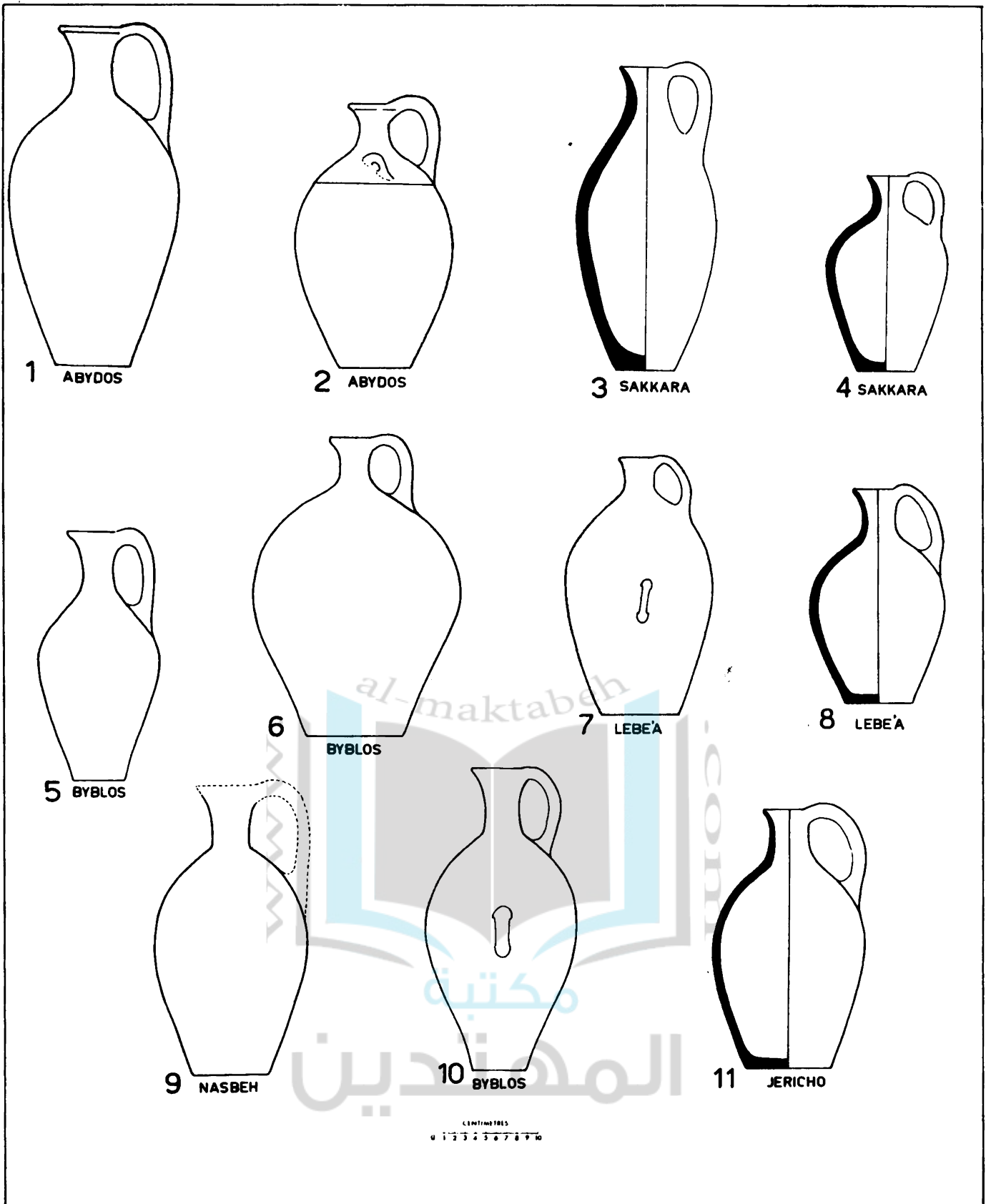
الموقع لم يكن محصناً، وقد تم العثور على بقايا بيوت بسيطة، كما أنه لم يعثر على أية بقايا أثرية تعود لما هو أقدم من هذه المرحلة. وكذلك فإن سكان هذه الفترة دفنوا أمواتهم داخل كهوف على المنحدر الشمالي الشرقي للتل حيث كانوا يعيشون. وبعد دراسة الفخار الذي عثر عليه داخل هذه القبور وجد أنه يشابه الفخار الذي عثر عليه كنيون في أريحا وأرخته لفترة سمتها «مرحلة ما قبل التمدن».

وفي الفترة اللاحقة، أي العصر البرونزي القديم (ج) (EBI c) حوالي (٣٠٠٠ ق. م)، جاءت المدينة محصنة يحيط بها سور. وقد عرفت هذه المنطقة على أنها المنطقة الصناعية ومكان الاستقرار السكاني في هذا الموقع، كذلك عثر هنا على بوابة. وتم العثور أيضاً على بناء منتظم الشكل مبني من الحجارة الضخمة وغير المشذبة. وكانت هناك أعمدة حجرية تساعد في رفع السقف، ويبدو أنه قد أعيد بناء هذا المبنى واستعماله في فترة العصر البرونزي المبكر الثالث (أ)، وذكر انه ربما كان يمثل معبداً. ومن الأشياء العماثرية البارزة التي وجدت وتعود إلى الـ (EBI c) أربع بوابات ضخمة جاءت ثلاث منها محصنة بأبراج إهليجية أو شبه إهليجية الشكل بينما كان هناك برج في بوابة القلعة.

الأدوات الفخارية المكتشفة، وتعود بتاريخها إلى (EBI c)، عثر على ما يشابهها في مواقع أخرى مثل أريحا وتل الفارعة الشمالي وباب الذراع وعراد.

وقد استطاع المنقبون أن يتعرفوا على حريق هائل كان سبباً في دمار مدينة الـ (EBI c)، وربما كان سبب هذا مهاجمون أعداء. لكن مع هذا فقد تم إعادة بناء المدينة مرة ثانية وأطلق على هذه الفترة اسم (EBII a) العصر القديم الثاني (أ)، وهذه المرحلة كانت معاصرة للمراحل (K-iii-H) في مناطق (E-III-IV) في أريحا والطبقات (III و II) في عراد والمرحلتين ٢ – ٣ في تل الفارعة الشمالي. في هذه الفترة الزمنية أجريت بعض الإضافات على الأبنية الأولى، كذلك نجد أن التحصينات قد وسعت وقويت.

أما الأدوات الفخارية التي عثر عليها، وتعود إلى (EBII a) فقد تكونت في الغالب من طاسات لها حنية في الجسم وحافة مطوية للخارج وأباريق بريقة طويلة وأيد تتصل ما بين الرقبة والبدن (Loop-handle). مثل هذه الأدوات عثر عليها في مواقع مختلفة مثل تل الفارعة الشمالي وأريحا.



أباريق فخارية من مواقع فلسطينية ولبنانية تبين التأثيرات المصرية وتعود للمرحلة الثانية من العصر البرونزي القديم

وكما هو الحال في الفترة السابقة نجد أن الموقع دمر هذه المرة أيضاً بواسطة حريق، ولكن السبب يختلف عن المرات السابقة ويعتقد أنه هزة أرضية.

وقد وجد أن التدمير كان شاملاً لموقع التل في فترة العصر البرونزي القديم لذا نجد أن الأدوات الفخارية الأخرى تسمى (EBII b). حيث ظهرت أشكال جديدة للأدوات الفخارية مثل الأباريق الصغيرة المعروفة باسم أباريق أيبندوس التي من أصل مصري حيث تم العثور عليها في بادية الأمر في سقارة في مصر، وعثر على مثل هذه الأباريق في أريحا في فلسطين وفي الطبقة «C» في العمق في سوريا. ولقد تم التعرف على آثار حريق كان السبب في تدمير الموقع في هذه الفترة.

● العصر البرونزي القديم الثالث (أ): تمتد فترة العصر البرونزي المبكر على مدى ثلاثمائة عام من الزمن وتحتوي مرحلتين رئيسيتين في أبنيتها وتحصيناتها.

العصر البرونزي القديم (أ) في موقع التل يتميز بكونه مرحلة من البناء والتعمير وكذلك التخريب، ويؤرخ للفترة الواقعة ما بين ٢٧٠٠ - ٢٥٥٠ ق.م. فبعد عملية تهديم بيوت وتحصينات المرحلة الثانية (ب) من العصر الحجري القديم كان لابد من إجراء إعادة بناء لهذه العمائر وقد أعيد بناء الجدار المحيط بالمدينة أولاً. كذلك هناك شواهد على مظاهر مصرية في عملية إعادة بناء المدينة، منها بعض الملامح الظاهرة في بناء معبد العصر البرونزي القديم الثالث (أ)، الذي يظهر بأن صناعات مصريين قد بنوه وقد تم بناء أحد الجدران بحجارة مشدبة. كذلك تم العثور على بعض أدوات المرمر المصرية ومثل هذه الآنية ترتبط بالأسرتين الأولى والثانية في مصر. وظهر أيضاً التورط المصري في عملية البناء المعماري لموقع التل في بناء صهرج المياة والذي يعود إلى هذا العصر ويتسع لحوالي ١,٨٠٠ متر مكعب من الماء.

لقد تم كشف بوابتين تعودان إلى فترة العصر البرونزي القديم الثالث (أ). حيث وجد أن بوابة العصر البرونزي القديم الثاني قد أغلقت بواسطة سد من الانهيارات واستعوض عنها ببناء بوابة جديدة أصغر منها محصنة بواسطة برجين. وبنيت فوق قمة هذا السد البوابة الثانية في جدار المدينة الجنوبي ولم يبق منها ظاهراً إلا الجزء الشرقي بينما لم يعثر على أي آثار قائمة للجزء الغربي.

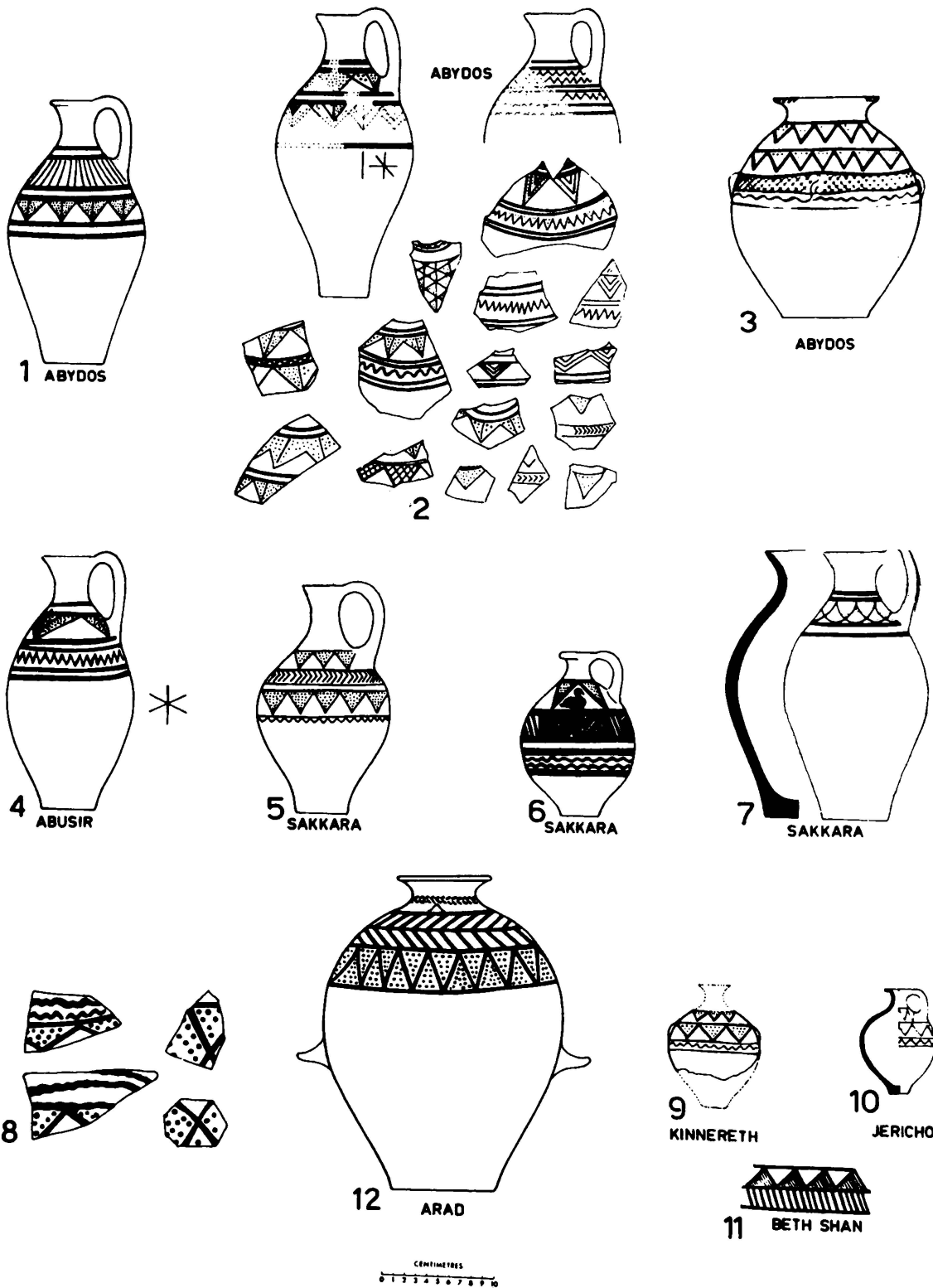
● العصر البرونزي القديم الثالث (ب): لقد طرأت بعض التغيرات على هذا الموقع خلال المرحلة الانتقالية ما بين الفترة السابقة وهذه الفترة (حوالي ٢٥٥٠ ق.م). وربما تعزى هذه التغيرات إلى تأثيرات خارجية، خاصة من المنطقة الشمالية لبلاد كنعان والمرتبطة بحضارة خربة الكرك عند بحيرة طبرية.

وهناك دلائل على أن المدينة في هذا العصر قد احتلت احتلالاً، منها أن الجدار الواقع غرب البوابة الجنوبية قد دمر تدميراً مع وجود بقايا حريق في التحصينات، من هنا كان لابد من بناء جدار جديد حول المدينة. وبني هذا الجدار ملاصقاً لجدار المرحلة السابقة، لذا نجد أن عرضه بلغ في بعض الأماكن حوالي ٨ م. كذلك أغلقت البوابة الجنوبية لكن أعيد بناء البوابة التي كانت تطل على الوادي واستعملت كمدخل فرعي. كما أعيد ترميم المعبد الذي كان موجوداً خلال المرحلة السابقة ولكن تم في هذه المرحلة ملء الغرف المحيطة بهذا المعبد بالطعم. وفي مثل هذه الحالة فقد توجب على الكاهن والحاكم أن ينتقلا إلى مكان آخر.

على أية حال فلقد حل بالمدينة وفي حوالي ٢٤٠٠ ق.م أي زمن الأسرة المصرية الخامسة خراب عنيف. لكن هوية هؤلاء المهاجمين الجدد لا تزال غير معروفة. وتشير الدلائل إلى أن المصريين قد هاجموا هذه المدينة عدة مرات وربما كانوا هم المهاجمون هذه المرة أيضاً. ويبدو أن هذه المدينة لم تعمر مرة أخرى بعد هذه الهجمة إلا في العصر الحديدي، وربما يكون مردّ هذا إلى قدوم الأقوام البدوية في الفترة المسماة بالعصر البرونزي القديم الرابع.

— خربة الكرك: تقع خربة الكرك على الشاطئ الجنوبي الغربي لبحيرة طبرية وتغطي مساحة مقدارها خمسين هكتاراً (٥٠٠ دونم)، وقد أطلق عليها مؤخراً اسم (Tel Beth Yerah). ولقد حاول بعض المؤلفين تعريفها على أنها موقع (Philoteria) الذي بناه بطليموس فيلادلفيوس الثاني، كما ذكر آخرون بأنها موقع سنابري (Sannabri) الذي ذكره يوسيفوس على أنه نقطة الحدود الشمالية لوادي الأردن والتي كانت مخبأً لجيش الامبراطور الروماني قسبيان.

من خلال المسوحات والحفريات الأثرية التي أجريت في هذا الموقع لوحظ أن الفترات الزمنية التي مر بها تبدأ من العصر البرونزي القديم ومن الفترة الهلنستية حتى الإسلامية. ولقد تم العثور على نوع مميز من الفخار في هذا الموقع أطلق عليه أولبرايت اسم فخار خربة الكرك. واللامح الرئيسية لهذا الفخار أنه ذو لون



أباريق فخارية متماثلة عثر عليها في فلسطين ومصر وتعود للفترة الثانية من العصر البرونزي القديم

العصر البرونزي القديم: في المنطقة الجنوبية من التل تم العثور على بقايا العصر البرونزي القديم تحت طبقات الفترة الهلنستية مع وجود طبقة رقيقة جداً تفصل ما بينها. ولقد استطاع المنقبون في هذه المنطقة الوصول إلى الطبقة البكر على عمق ٧,٣٠م والتعرف على بقايا العصر البرونزي القديم بجميع مراحله من الأولى حتى الرابعة وأطلق عليها اسم خربة الكرك:

خربة الكرك I: يبدو أن السكان الأوائل لهذا الموقع لم يسكنوا الكهوف، بل عاشوا داخل حفر مسقوفة يتراوح عمقها ما بين ٣,٥ - ٥ م وقطرها ما بين ٣ - ٤ م. وقد وجد بداخل هذه الحفر رماد وكسر فخارية وبقايا عظام حيوانية. وكانت الكسر الفخارية ذات لون رمادي ومصقولة.

خربة الكرك II: تم العثور في هذه المرحلة ولأول مرة في هذا الموقع على بيوت منتظمة الشكل بجدران مبنية من اللبن الطيني. كذلك تم الكشف عن ساحات مبلطة بالحجر البازلي كما هو الحال في بعض الغرف. ولقد تميز فخار هذه المرحلة بأنه مصقول وله بطانة (Band Slip) وعلى جرار ذات فوهة واسعة بأيد على شكل بروز تلتصق على جانبي البدن.

خربة الكرك III: في هذه المرحلة جاءت أساسات جدران البيوت مبنية من البازلت ولم يتم العثور على فخار خربة الكرك في هذه الطبقة، وعلى هذا الأساس يمكن إرجاع مرحلة خربة الكرك III إلى مرحلة العصر البرونزي القديم الثاني. معظم مباني المدينة جاءت مبنية من اللبن الطيني. ولقد تم العثور على طبقات لاختم أسطوانية.

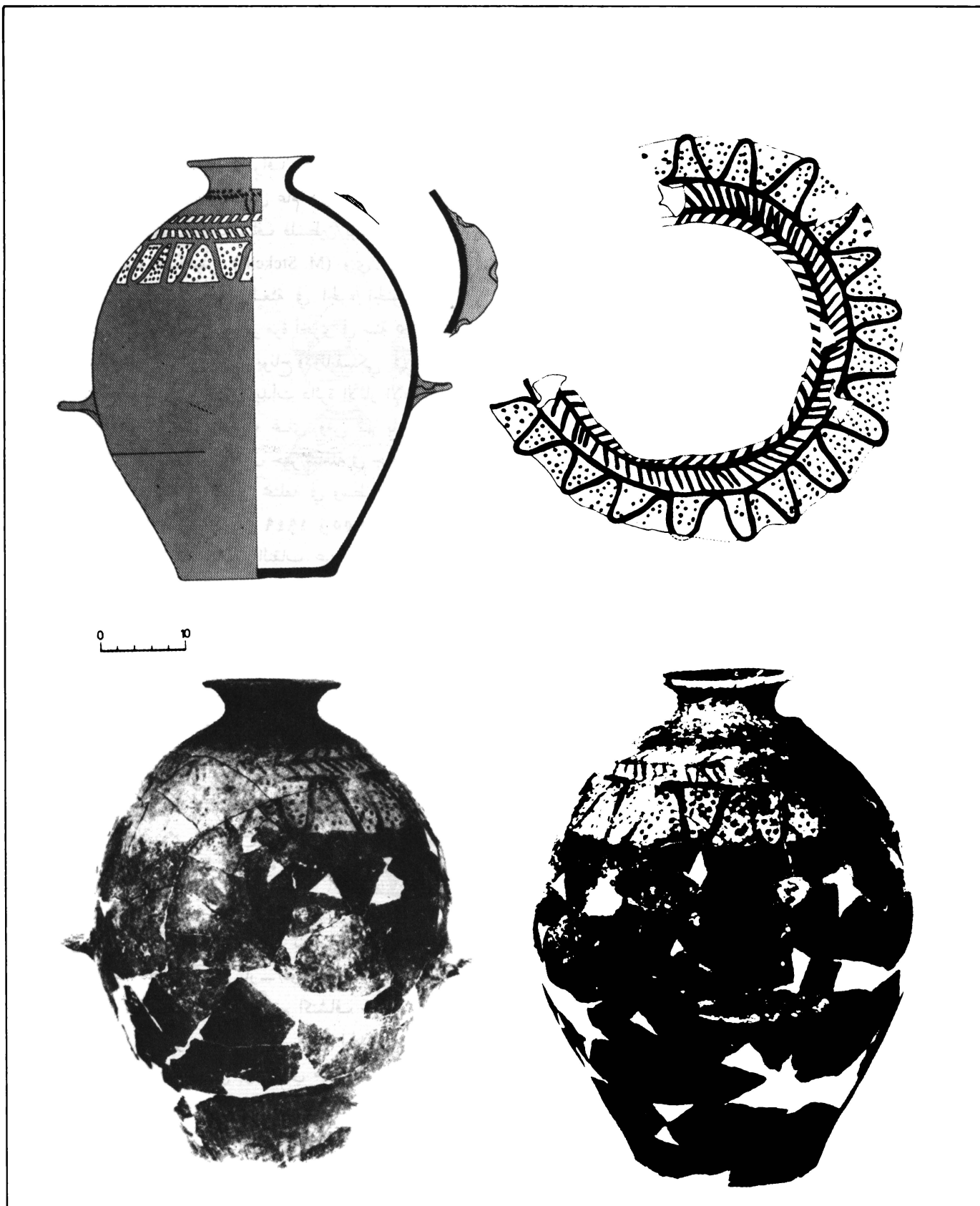
خربة الكرك IV: لقد دامت السكنى في هذه المرحلة أكثر من أي وقت مضى. ولقد تم تمييز أربعة أوجه زمنية مختلفة خلال طبقة بلغ سمكها ٢ م. وجاءت معظم البيوت مبنية من البازلت، علماً أنه وجد بعضها مبنياً من الطوب الطيني على أساس من البازلت. كذلك اكتشف بناء تبلغ أبعاده ٧م × ٨م ويتجه من الشمال إلى الجنوب. وفضلاً عن الكمية الكبيرة من الأدوات الفخارية التي عثر عليها هناك فقد تم العثور على خمس دمي حيوانية ونموذجين من الفخار لبيوت وجزء من دمية فخارية تمثل أسداً يزأر. كذلك عثر على بعض الأدوات الصوانية تمثل أغلبيها سكاكين. أما الفخار الذي عثر عليه في هذه الطبقة فيمثل في الغالب فخار خربة الكرك ولهذا نجد أن هذه الطبقة تعود إلى العصر البرونزي القديم الثالث.

أحمر أو أسود مصقول ومزخرف بواسطة حزوز غائرة أو نافرة. ولقد عثر على هذا النوع من الفخار في مواقع مختلفة من فلسطين وفي شمالي سوريا. وأغلب الظن أن أصول هذا الفخار مستمدة من بلاد الأناضول.

لقد قامت جمعيات يهودية بإشراف منقبين صهيانية بالحفر في هذا الموقع. وكانت أولى الحفريات في عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥ التي قامت بها الجمعية اليهودية لاستكشاف فلسطين بإشراف كل من ب. مازار وموشيه ستكليس (M. Stekelis) وي. دونايفسكي (I. Dunayevsky). ونقبت هذه البعثة في الجزء الجنوبي من التل. ومن ثم استؤنف العمل بالحفر مرة أخرى في سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦ وبإشراف ستكليس وأفي-يوناح ودونايفسكي في شمال التل وفي جنوبه. ومنذ عام ١٩٤٩ بدأت دائرة الآثار الإسرائيلية بالحفر في هذا الموقع تحت إشراف غاي ومن ثم بار-آدون (P. Bar-Adon). وقام الأخير بأعمال حفر شاملة في جنوبي التل كما عمل مجسات تجريبية في مناطق مختلفة في وسط التل وغربيه وكان ذلك في الفترة الواقعة ما بين ١٩٤٩ و ١٩٥٥. وفي أثناء عمليات الحفر الأخيرة تم كشف النقاب عن المناطق السكنية وبعض أجزاء من الجدار المحيط بالمدينة. وفي أعوام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ و ١٩٦٣ - ١٩٦٤ قامت بعثة أمريكية بإشراف معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو وبإشراف ديلوغاز (P. Delougaz) وبمساعدة هيلين كانتور (Hélène Cantor) بأعمال تنقيب في هذا الموقع وقد تركز العمل على الجزء الشمالي من التل وفي بعض الأحيان في الوسط.

تحصينات المدينة: الجدران المحيطة بالمدينة بنيت خلال الحقب المختلفة والتي مر بها الموقع في الجهات الجنوبية الغربية والجنوبية من التل، بينما كونت بحيرة طبرية من الجهة الشرقية مانعاً طبيعياً.

أولى التحصينات التي عثر عليها تنسب إلى بداية العصر البرونزي القديم. ولقد استطاع بار-آدون أن يتعرف على ست مراحل. ففي الجهة الجنوبية من التل تم اكتشاف جزء من جدار يسير باتجاه شرق - غرب. ولقد بني هذا الجدار من اللبن الطيني. كذلك تم الكشف عن بوابتين في هذا الجدار. وجاءت الأجزاء المحيطة بالأبواب مبنية من الحجارة البازلتية كما هو الحال في بعض الممرات المبنية على شكل درج. على أية حال فلقد تم التعرف على بقايا تحصينات تعود في تاريخها إلى فترات مختلفة من العصر البرونزي القديم، وإلى العصر البرونزي المتوسط الأول والفترة الهلنستية.



جرار فخارية عثر عليها في موقع عراد بفلسطين وتعود للعصر البرونزي القديم

كشفت الحفريات عن عدد من القبور تعود في عهدها إلى عصور البرونزي القديم الثالث والمتوسط الثاني والحديث الثاني والهلنستي والروماني. فضلاً عن هذا فقد أشارت الحفريات إلى أن أقدم البقايا السكنية في هذا الموقع تعود إلى العصر الحجري النحاسي حيث تم العثور على عدد من القطع الفخارية والصوانية التي تعود إلى هذه المرحلة. أما المرحلة السكنية التالية في هذا الموقع فتعود لمرحلة العصر البرونزي القديم الأول والثاني والثالث والرابع حيث تم العثور أيضاً على أدوات فخارية تعود لهذه الفترات. كذلك وجدت بقايا سكنية تعود لمراحل العصر البرونزي المتوسط والحديث والحديدي والروماني والبيزنطي والأيوبي والمملوكي (١٣٨).

نسبت الطبقة التاسعة من التل إلى العصر البرونزي القديم الأول حيث تم العثور على ملتقطات أثرية وجدران ترتفع إلى حوالي ٣ م. وجاءت بقايا هذه الفترة فوق بقايا العصر الحجري النحاسي (الطبقة العاشرة) وتحت الطبقة الثامنة التي تعود محتوياتها للعصر البرونزي القديم الثالث. ومن بين مكتشفات هذه الطبقة المهمة أدوات فخارية من الطراز المعروف باسم فخار خربة الكرك. أما بقايا المرحلة الرابعة للعصر البرونزي القديم فقد وجدت في الطبقة السابعة من التل وتمثلت في بقايا عمائرية وفخارية. وقد علت مخلفات هذه المرحلة بقايا تعود لمرحلة العصر البرونزي المتوسط الأول والتي عثر عليها في الطبقة السادسة.

— يازور: تقع يازور على الطريق ما بين يافا والقدس وتبعد حوالي ٦ كم عن مدينة يافا. ولقد ورد ذكر اسم هذا الموقع في النصوص الآشورية من عهد الملك الآشوري سنحاريب. ويعلو قمة هذا التل قلعة صليبية. وتم العثور أثناء عمليات التنقيب الأثرية التي قام بها كل من أوري (J. Ory) وكابلان (J. Kaplan) وشابيرا (Y. Shapera) في المقابر على بقايا تعود لمرحلة العصر الحجري النحاسي حتى العصور الوسطى. لكن الحفريات على التل قام بها بيرو وكشف عن مقابر تعود إلى العصر الحجري النحاسي وتسمى بالمعظم، وقامت بها أيضاً دوئان وعثرت على مقابر من العصرين البرونزي والحديدي.

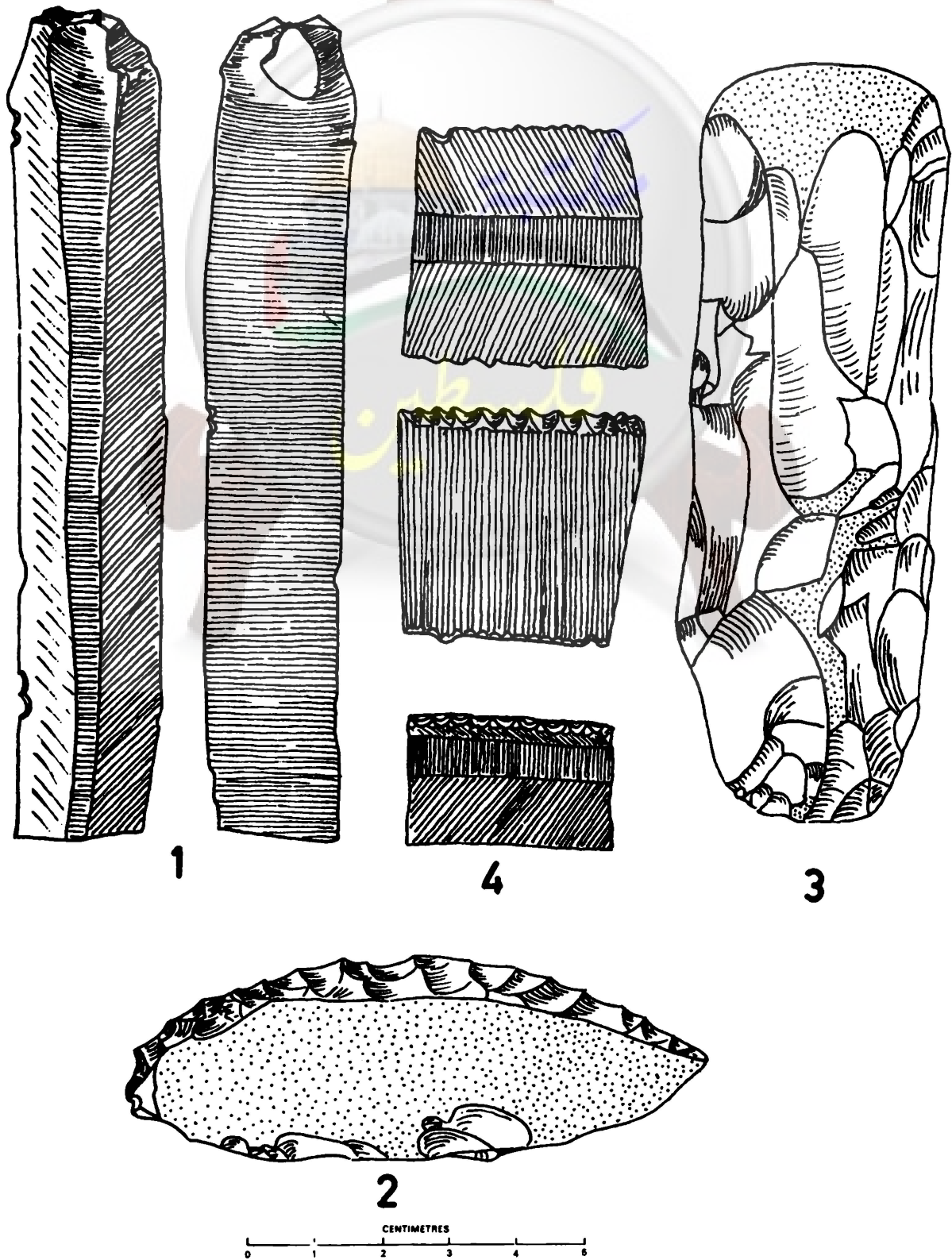
تم اكتشاف بقايا تعود لمرحلة العصر البرونزي القديم في أماكن مختلفة من التل. ففي أثناء عمليات التنقيب التي أجرتها دوئان في الفترة الواقعة ما بين ١٩٥٨ و ١٩٦٠ تم العثور في الطبقات السكنية على مخلفات اعتقد بأنها تعود لنهاية العصر الحجري النحاسي وبداية البرونزي القديم في المنطقة (ب).

أما في الجهة الجنوبية الشرقية من التل فقد وصل بار—آدون في مربعاته التجريبية إلى الطبقة العذراء واستطاع تمييز ثلاث وعشرين فترة مختلفة مر بها التل وكانت على النحو التالي: أربع فترات تعود لمرحلة العصر البرونزي القديم الأول حيث تم العثور على بيت ربما يكون مقبباً. ثم خمس فترات تعود لمرحلة العصر البرونزي القديم الثاني حيث وجد فيها جدران من اللبن الطيني وشوارع مبلطة ومصارف للمياه. كذلك كان هناك ست فترات تعود للعصر البرونزي القديم الثالث وتضم طبقة حريق. الفترات الثلاث الأخيرة تعود لمرحلة العصر البرونزي المتوسط الأول حيث حوت قبراً يعود للعصر البرونزي المتوسط الثاني. وتعود الطبقات المتبقية إلى الفترات الفارسية والهلنستية والرومانية.

في الجزء الشمالي من التل تم الكشف عن بناء منتظم الشكل ضخم تبلغ أبعاده حوالي ٣٠ × ٤٠ م ويعود تاريخه إلى العصر البرونزي القديم الثالث. ولقد جاء البناء مبنياً من الحجارة البازلتية غير المنتظمة الشكل ومدخله الشرقي يطل على بحيرة طبرية. ومن ميزات هذا المبنى أنه تم فيه الكشف عن أربع دوائر مبنية بالحجارة على طول الجدار الجنوبي وثلاث على طول الجدار الغربي واثنين على طول الجدار الشمالي. كما لوحظت دوائر أخرى، وبلغ عددها جميعاً اثني عشرة دائرة.

اختصاراً لما ذكرناه فإن بداية السكنى في موقع خربة الكرك كانت في العصر البرونزي القديم الأول واستمرت حتى العصر البرونزي المتوسط الثاني. لكن التل لم يكن بأجمعه مأهولاً بالسكان خلال هذه المراحل. وخلال فترات العصر البرونزي رأينا أن هذا المكان قد حصن وتم بناء جدار المدينة. وبعد أن هجرت المدينة عمرت مرة أخرى في الفترة الفارسية واستمرت السكنى فيها حتى الآن.

— العفولة: يقع موقع العفولة الأثري بالقرب من مدينة العفولة الحديثة. ومن الجدير بالذكر أنه لم يبق إلا النزر اليسير من بقايا الموقع القديم وذلك نتيجة لعملية التوسع العمراني الحديثة. وبلغت مساحة هذا الموقع حوالي ١١ هكتاراً (١١٠ دونمات) ويقف التل الحالي بارتفاع ١١ متراً عن سطح المنطقة المحيطة. وقد بدأ سوكنيك أعمال التنقيب في هذا الموقع في عام ١٩٢٦ واستمرت حفرياته التي تركزت في الجزء الشمالي والأوسط من التل حتى عام ١٩٣١. وفي عامي ١٩٥٠ و ١٩٥١ قام كل من بن—دور (Ben-Dor) ودوئان (M. Dothan) بأعمال التنقيب في الجزء الجنوبي للموقع.



أدوات صوانية تمثل الصناعة الكنعانية تعود للعصر البرونزي القديم

والثانية مبنى ضخم يقع إلى الجنوب من الطريق الذي اكتشف في المرحلة الأولى ويتكون من بيت واسع يتجه شرق - غرب، وله ساحة واسعة في الجهة الشرقية. وأهم ما يميزه بناء دائري الشكل من اللبن الطيني مقام في مركز هذا البناء ربما كان يستعمل مائدة أو خواناً للتقديمات الجنائزية. ظهرت مثل هذه الأبنية في مواقع فلسطينية أخرى مثل تل التسلم وعين جدي.

جاءت بيوت المرحلة السكنية الثالثة وطرقها تختلف اختلافاً كبيراً عن مخططات بيوت المراحل الأولى، حيث كانت تتجه في الغالب بالاتجاه الشمالي الشرقي - الجنوبي الغربي. أما المرحلة السكنية الرابعة فقد عثر على مخلفاتها على عمق حوالي (٥٠ سم) من مخلفات المرحلة الثانية. تم العثور هنا على بعض الأدوات الفخارية التي كان بداخلها بعض البذور. كذلك تم التعرف على بقايا حريق. وقد اكتشف تاريخ كربون مشع من هذه المرحلة يعود إلى العصر البرونزي القديم الأول. ضمت مخلفات هذه المرحلة أيضاً بقايا معمارية تكونت من مبنى له ساحة واسعة يحيط بها من الجهتين الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية مجموعة من الغرف، وأما في الجهة الجنوبية فقد تم العثور على آثار لمعصرة زيتون.

جاءت بقايا الطبقة الخامسة على عمق (٦٠ سم) من الطبقة الرابعة، حيث تكونت من الفخار المشابه لنوع الفخار المصري على الأغلب. وتميز هذا النوع من الأواني بأنه مغطى ببطانة بيضاء وهو مصقول في بعض الأحيان. وحملت ثلاث كسر فخارية اسم «نارمر» والذي يعرف من قبل بعض علماء الآثار على أنه الفرعون المصري «ميناء» مؤسس الأسرة الأولى. ومن أهم ما عثر عليه في الطبقة الخامسة بناء عام يمتاز بساحة داخلية مرصوفة بالحصى ويحيط بثلاثة جوانب منها غرف تخزين، تفتح على ساحة خارجية من الجهة الرابعة. وهناك إلى الشمال من هذا البناء شارع بني بمحاذاة جهته الشمالية مجموعة من الغرف.

أظهرت مخلفات الطبقة السادسة على أنها دمرت بواسطة أعمال تخريبية. وقد تكونت مخلفات هذه الطبقة الفخارية من ثلاثة أنواع من الفخار هي فخار العصر البرونزي القديم الأول وفخار يعود إلى نهاية العصر الحجري النحاسي والنوع الثالث يختلف عنها كلياً. وتكونت أشكال هذه الأدوات الفخارية من الكؤوس العميقة والأباريق الصغيرة والمزهريات.

وكما هو الحال في الطبقة السادسة حيث استمر ظهور المبنى العام هناك والذي ظهر في الطبقتين الخامسة والرابعة استمر

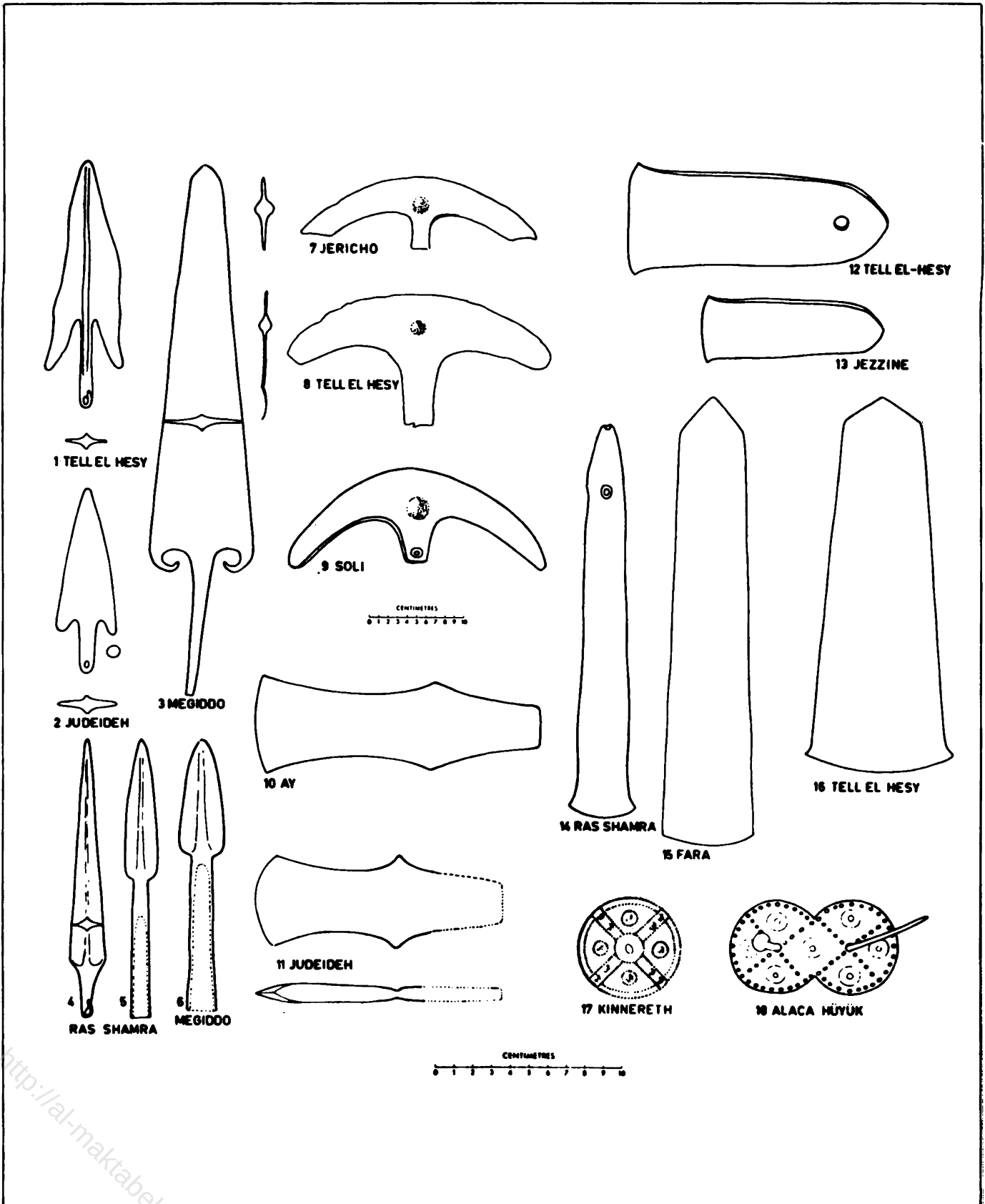
وجاءت هذه المخلفات فوق أنقاض المعظم التي ذكرناها آنفاً. أما خلال الحفريات التي أجراها بن - دور في عام ١٩٧١ فقد تم الكشف عن بعض المدافن التي عثر بداخلها على الكثير من الأدوات الفخارية التي تشبه تلك التي عثر عليها في أريحا وتعود للمرحلة التي أطلقت عليها كنيون اسم «مرحلة ما قبل التمدن أ».

- تل الشيخ العربي: يعتبر موقع تل العربي من أهم المواقع الأثرية التي عثر عليها على الساحل الفلسطيني. وهي تبعد عن هذا الساحل حوالي ١٩ كم على الطريق الموصلة إلى بيت جبرين مقابل قرية عراق المنشية، وتغطي مساحة تبلغ حوالي ٢٥ هكتاراً (٢٥٠ دونماً)، وقد أفاد الكثيرون من علماء الآثار بأن هذا الموقع يمثل مدينة جت الفلسطينية (١٣٩).

يتكون هذا الموقع من ثلاثة أقسام هي أولاً الأكروبوليس وهو الجزء العلوي من التل حيث يرتفع ٣٢ متراً عن المنطقة المنبسطة المحيطة به ويغطي مساحة قدرها ١,٦ هكتار (١٦ دونماً). وثانياً المنحدر العلوي الذي يحيط بالأكروبول من ثلاث جهات ويغطي مساحة قدرها ٢٤ هكتاراً (٢٤٠ دونماً). ثالثاً المنحدر السفلي الذي يحيط بالأكروبول والمنحدر العلوي وينحدر باتجاه الجنوب.

أثناء الحفريات التي أجريت في الفترة الواقعة ما بين أعوام ١٩٥٦ - ١٩٦١ تم التعرف على بقايا تعود في تاريخها إلى نهاية العصر الحجري النحاسي والعصور البرونزي القديم والحديدي والهلنستي والبيزنطي والإسلامي. ففي المنطقة «د» (Area D) من الموقع تم حفر مربع بقياس ٢٠ م × ٢٠ م على الحافة الجنوبية للمنحدر الذي يحيط بالأكروبول حيث اكتشف هناك جدران من اللبن الطيني مع قطع فخارية تعود للعصر البرونزي القديم الثاني والثالث. واستطاع المنقبون تمييز عدة مراحل بنائية تعود إلى هذه الفترات. كانت هذه الجدران تمثل أجزاء من بيوت سكنية، وجاءت بعض أرضيات هذا المجمع السكني مرصوفة بالحصى وربما كانت تمثل ساحات مكشوفة. كذلك تم العثور على حفر للتخزين مرصوفة أيضاً بالحصى.

ظهرت بقايا المرحلة السكنية الثانية على عمق (١ م) تحت سطح الأرض، حيث عثر على بقايا أبنية مدمرة بشكل فظيع مما لم يسمح للمنقبين بالتعرف على مخططات هذه الوحدات البنائية. على أية حال فقد أمكن تمييز خمسة أوجه بنائية فرعية خلال هذه المرحلة الثانية. لكن أهم ما يميز المرحلتين السكنتين الأولى



أدوات معدنية من فلسطين ومثيلات لها من مواقع متعددة في الشرق الأدنى القديم تعود للعصر البرونزي القديم المرحلة الثالثة

ظهوره في الطبقة السابعة أيضاً. فقد لوحظ أن سقف هذا المبنى والذي ينسب إلى الطبقة السادسة جاء مرفوعاً على أعمدة خشبية. لكن يبدو أن هذا المبنى كان قد بني لأول مرة زمن الطبقة الثامنة.

كشفت لنا الحفريات التي أجريت في المناطق (K-M) من هذا الموقع على بقايا تعود للعصر الحديدي الأول والثاني وجدران تعود إلى العصر البرونزي القديم الثاني. مثل هذه الجدران تم العثور عليها في المنطقة (L) وجاءت مبنية أيضاً من الطوب الطيني. كذلك الحال بالنسبة للمنطقة (N) حيث تم العثور على مخلفات معمارية وفخارية تعود إلى مرحلة العصر البرونزي القديم الثاني.

– تل الفارعة الشمالي: يقع تل الفارعة الشمالي بالقرب من وادي تل الفارعة الذي يصب في نهر الأردن وعلى الطريق ما بين نابلس وطوباس ويبعد حوالي (١١ كم) إلى الشمال الشرقي من مدينة نابلس. يتركز هذا الموقع فوق تلة صخرية تنحدر باتجاه جنوبي غربي وشمال شرقي، ويتزود بالمياه بواسطة نبع عين الفارعة ونبع عين دليب.

قامت بالحفر الأثري في هذا الموقع المدرسة الفرنسية للآثار في القدس في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٦٠ على تسعة مواسم وتحت إشراف عالم الآثار رونالد ديفو. ولقد حاول عدد من الأثريين ربطها بمواقع توراتية عديدة إلا أن معظمهم قد اتفق على أنها موقع ترصة الكنعاني.

استطاع ديفو أن يميز عدداً من الطبقات السكنية تبدأ بالعصر الحجري الحديث المبكر بـ (PPNB) وتنتهي بانتهاء العصر الحديدي حيث دمر على يد الآشوريين. والآن سوف نلقي الضوء على فترة العصر البرونزي القديم، حيث تعطينا الأبنية التي عثر عليها وتعود إلى هذه المرحلة، فكرة وافية عن المباني التي سكنها الإنسان في هذا الموقع في ذلك الوقت.

بُني مباني العصر البرونزي القديم فوق أنقاض بيوت العصر الحجري النحاسي وجاءت مربعة الشكل ومبنية من الطوب الطيني على أساسات من الحجارة وساعد في رفع سقفها أعمدة خشبية كما أن لبعضها حنيات داخل الجدران. على أية حال فقد لوحظ هنا أن هذه المباني جاءت مبنية على ست مراحل. كما تم التعرف على مبنى يخص مبعداً له ساحة مكشوفة ويتجه نحو الشرق وله مذبح يعود إلى المرحلة الأولى للبناء ودام استعماله حتى نهاية المرحلة الثالثة. تميز تخطيط الموقع بأن البيوت جاءت مبنية على شوارع منتظمة بلغ عرض أحدها المترين وتم اكتشاف قنوات

تحت هذه الشوارع ربما كانت تستعمل لتصريف المياه القدرة. جاءت المدينة في المرحلة الأولى محاطة بجدار مبني من الطوب على ثلاثة مداميك حجرية استخدمت كأساسات وبلغ طوله في الجهة الغربية (١٢٥ م) وكان يتصل به أبراج. أما في الجهة الجنوبية من التل فلم يبين هذا الجدار وذلك لأن الموقع يطل هناك على وادي عين الدليب الذي كان يخدم كنظام دفاعي، بينما عثر على بقايا لهذا الجدار في الجهة الشمالية أيضاً.

خلال المرحلة الثالثة للبناء أعيد بناء هذه التحصينات وحصل أن قُدِّم الجدار الأصلي في طرفه الجنوبي إلى الأمام بعض الشيء. وقد كان الجدار المحيط بالمدينة مبنياً من الحجارة فقط وعلى أنقاض جدار المرحلة الثانية. كذلك أضيف في هذه المرحلة جدار تقوية من الحجارة في الجهة الغربية أمام الجدار المبني من الطوب، لهذا نرى أنه جاء عريضاً جداً. وقد أضيف في وقت لاحق تحصينات مدعومة بطبقات مرصوفة من الططم المائل (Glacis) إلى هذه التحصينات. في نهاية المرحلة الخامسة للبناء نجد أن الجهة الغربية من الجدار قد تهدمت، ولكننا نرى بعد ترميمه بشكل غير جيد أن هناك بيوتاً سكنية قد بنيت على أنقاضه. ومن أهم أجزاء هذا الجدار البوابة المحصنة التي ترجع إلى المرحلة البنائية الأولى، حيث كان هناك عمر يبلغ أقصى عرض له حوالي (٤ م) وأقله (٢,٥ م) بين برجين من اللبن الطيني مبنيين على أساسات من الحجارة. وحين عثر على هذه البوابة كان ارتفاعها (٤ م). وبعد خراب هذه البوابة في فترة لاحقة تم بناء بوابة جديدة على أنقاضها، وهنا تم إغلاق المدخل وبنيت بوابة جديدة، يوصل إليها درج خارجي مبني من الطين المرصوص.

من هنا نرى كيف أن موقع تل الفارعة قد انتقل من مجرد مكان عادي للسكنى في مرحلة العصر الحجري النحاسي إلى مدينة محصنة في فترة العصر البرونزي القديم. ويبدو أن هذا التطور لم يكن محلياً وإنما على يد جماعة جديدة. بعد هجران الموقع في نهاية العصر البرونزي القديم تم إعادة سكناه في المرحلة الثانية من العصر البرونزي المتوسط.

– باب الذراع: يقع باب الذراع إلى الشرق من منطقة البحر الميت حيث يرتفع حوالي ١٧٠ م فوق سطح البحر. اكتشف هذا الموقع في عام ١٩٢٤ وذلك خلال عملية المسح الأثري الذي قامت به المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية تحت إشراف وليم أولبرايت، الذي قام بأعمال حفر على نطاق ضيق في هذا الموقع. إلا أن نتائج هذه الحفريات لم تنشر إلا بعد مضي عشرين عاماً وذلك لعدم تمكن المنقب من إعطاء تاريخ دقيق

كان من الأبنية التي عثر عليها هناك بناء من اللبن الطيني في الجهة الشمالية الغربية داخل المدينة. كما تم الكشف عن غرفتين يحيط بهما جدار مبني من الطوب الطيني المربع الشكل^(١٤١). وعلى ما يبدو فإن هذه المنطقة الشمالية الغربية كانت جميعها مغطاة بمثل هذه البيوت.

خلال عمليات التنقيب في عام ١٩٧٥ في الجهة الجنوبية الغربية للموقع تم الكشف عن بناءين مستطلي الشكل بني أحدهما فوق الآخر وعلى الشاكلة نفسها. وذكر المنقبون أن هذا النوع من الأبنية يخص المعابد، خاصة وأن الأماكن المقدسة في الأزمنة القديمة كان يعاد بناؤها واستعمالها. كذلك كشف النقاب في الساحة الغربية للبناء عن قاعدة حجر إهليجية الشكل يبلغ قطرها حوالي ٣ م وبجانبها بعض الأدوات الصوانية التي استعملت لذبح الحيوانات مما جعل المنقبين يعتقدون أن هذه القاعدة تخص مذبحاً تقدم عليه القرابين^(١٤٢). يعطينا هذا البناء فكرة واضحة عن المعابد الكنعانية الأولى التي بقيت في الاستعمال لقرون طويلة.

المقبرة: تعتبر مقبرة باب الذراع من أغنى المقابر التي عرفها الشرق القديم حيث بلغت مساحتها ٥,٠٠٠ م × ١,٠٠٠ م. ومن خلال الحفريات التي أجريت فيها قدر عدد القبور بحوالي ٢٠ ألف قبر تضم حوالي نصف مليون شخص وحوالي ٣ ملايين إناء فخاري عدا الأدوات المعدنية واللقى الأخرى. استمر استعمال هذه المقبرة فترة زمنية تزيد على الألف سنة دون انقطاع أي من أواخر الألف الرابع وحتى أواخر الألف الثالث قبل الميلاد حيث يبدأ تاريخ هذا الموقع مع موجات بشرية هاجرت إلى هذه المنطقة في هذا الوقت المبكر.

يلاحظ المتتبع لآثار منطقة الأردن وفلسطين وللتطور الحضاري فيها أن القادمين الجدد قد استخدموا طريقة جديدة لدفن موتاهم مع بزوغ العصر البرونزي القديم لم نعرفها من قبل، وأصبحت مقابرهم ومحتوياتها مع ما يحيط بها من تقاليد دينية أهم مصدر لنا للتعرف على تاريخ فلسطين وأجزاء أخرى من شمالي سوريا في هذه المرحلة التاريخية. وقد أمكن تمييز أربعة أنواع من القبور هي: مدافن ذات حفر عمودية تتصل بغرف الدفن، ومدافن على شكل قبة، ومدافن مستطيلة الشكل، ومدافن على شكل حفرة عمودية مقطوعة في الصخر.

بالنسبة للنوع الأول فهو عبارة عن حفرة عمودية مقطوعة في الصخر الطري بعمق يبلغ عدة أمتار ويختلف من قبر لآخر، وتوسع

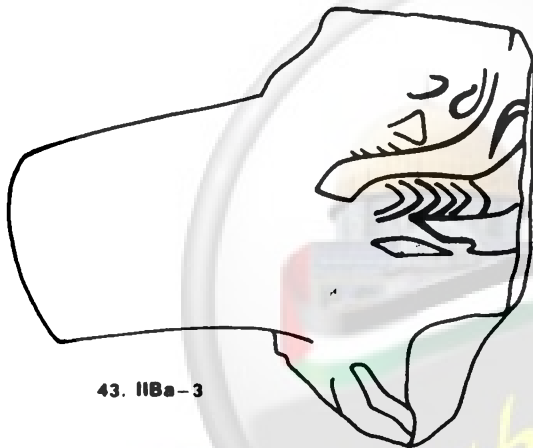
للآثار المكتشفة أو على الأقل لإرجاعها إلى مرحلة معينة ضمن حلقة التسلسل التاريخي^(١٤٣). حتى بعد الانتهاء من العمل بزم طويل لم يكن بالإمكان تأريخ المكتشفات من لقى وبنيات، إلا أنها نسبت إلى العصر البرونزي القديم بشكل عام دون ملاحظة تطور الأواني الفخارية من حيث صانعتها وأشكالها وأصنافها. ولم تكن مقارنتها مع مكتشفات معاصرة صحيحة تماماً.

بعد ما قام به أولبرايت بقي الموقع بعيداً عن الاهتمام حتى عام ١٩٦٥ حين لاحظ العاملون في الآثار في القدس أواني فخارية في حوزة تجار العاديات وبين أيدي السياح والمواطنين الذين أعادوا مصدرها إلى باب الذراع فأسّرت دائرة الآثار العامة بالتعاون مع المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس للقيام بأعمال تنقيب أثري تحت إشراف الدكتور بول لاب لمدة ثلاثة مواسم (١٩٦٥ - ١٩٦٧). بعد وفاة بول لاب المفاجئة عام ١٩٧٠ تمت مواصلة أعمال الحفر تحت إشراف تلميذه والتر راست (Walter Rast) وتوماس شاوب (Thomas Schaub).

كشفت الحفريات الأخيرة في هذا الموقع النقاب عن مدينة أثرية تعتبر من أهم المواقع الأثرية في الأردن، كما أسهمت الدراسات التي أجريت فيه في حل عدد من المشكلات خاصة في حلقة التسلسل التاريخي فضلاً عن توفر معلومات جديدة عن حياة الناس الذين عاشوا في هذه المنطقة في فترة العصر البرونزي القديم وعن تقاليدهم.

تركزت أعمال الحفر والاستقصاء الأثري في منطقتين مختلفتين هما المنطقة السكنية والمقبرة، وسنقدم فيما يلي وصفاً تفصيلياً لكل منهما.

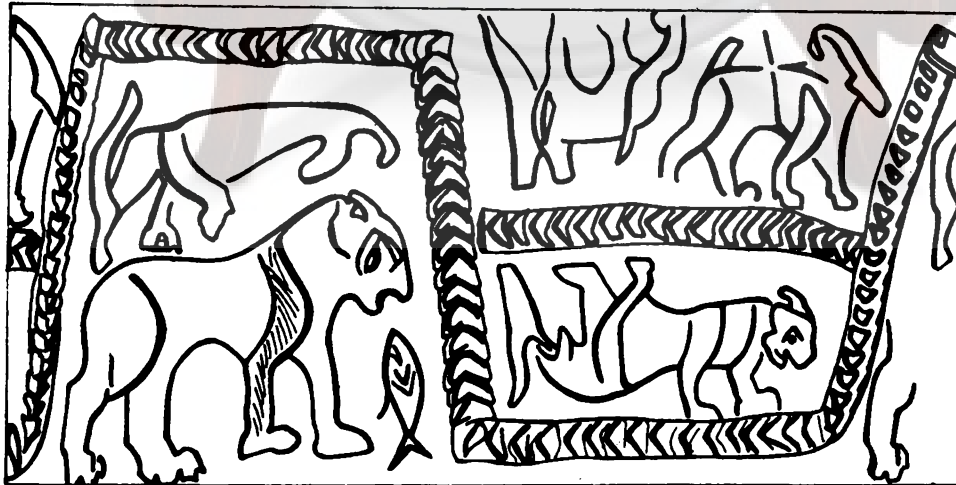
المنطقة السكنية: بلغت مساحة هذه المنطقة ٤٠ دونماً، محاطة بنظامين دفاعيين، تعتبر دراستها بشكل دقيق مهمة جداً وذلك لأنها تعطينا فكرة كاملة عن كيفية إنشاء المدن الأولى في منطقة الأردن وفلسطين. ويذكر المنقبون أن أولى بوادر الاستيطان في هذا الموقع كانت في حوالي ٣١٠٠ ق. م، أي في الفترة المعروفة باسم العصر البرونزي القديم الأول «ب» (EBIb). كما لاحظ المكتشفون أنه وفي بداية العصر البرونزي القديم الثاني بني جدار من الطوب على أساسات من الحجارة، بلغ عرضه ٢,٥ م وله أبراج مربعة الشكل، أبعاد البرج الواحد تبلغ ٤ م × ٤ م. وبعد تدمير المدينة في فترة العصر البرونزي القديم الثاني (EBII) تم في الفترة اللاحقة (EBIII)، أي في حوالي ٢٧٠٠ ق. م بناء جدار حجرى حول المدينة يبلغ سمكه حوالي ١١ - ١٢ م يتصل به أبراج، وظل قائماً حتى نهاية هذه الفترة.



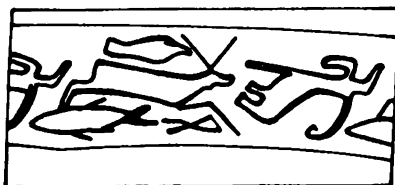
43. IIBa-3



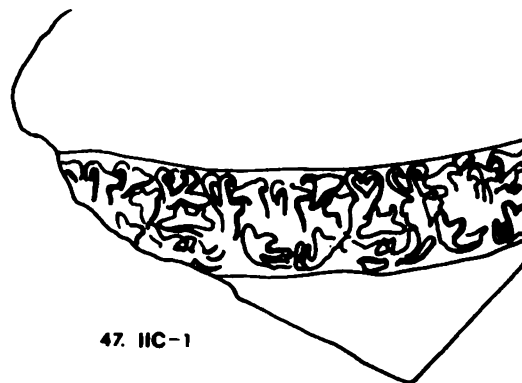
44. IIBb-1



45. IIBb-2

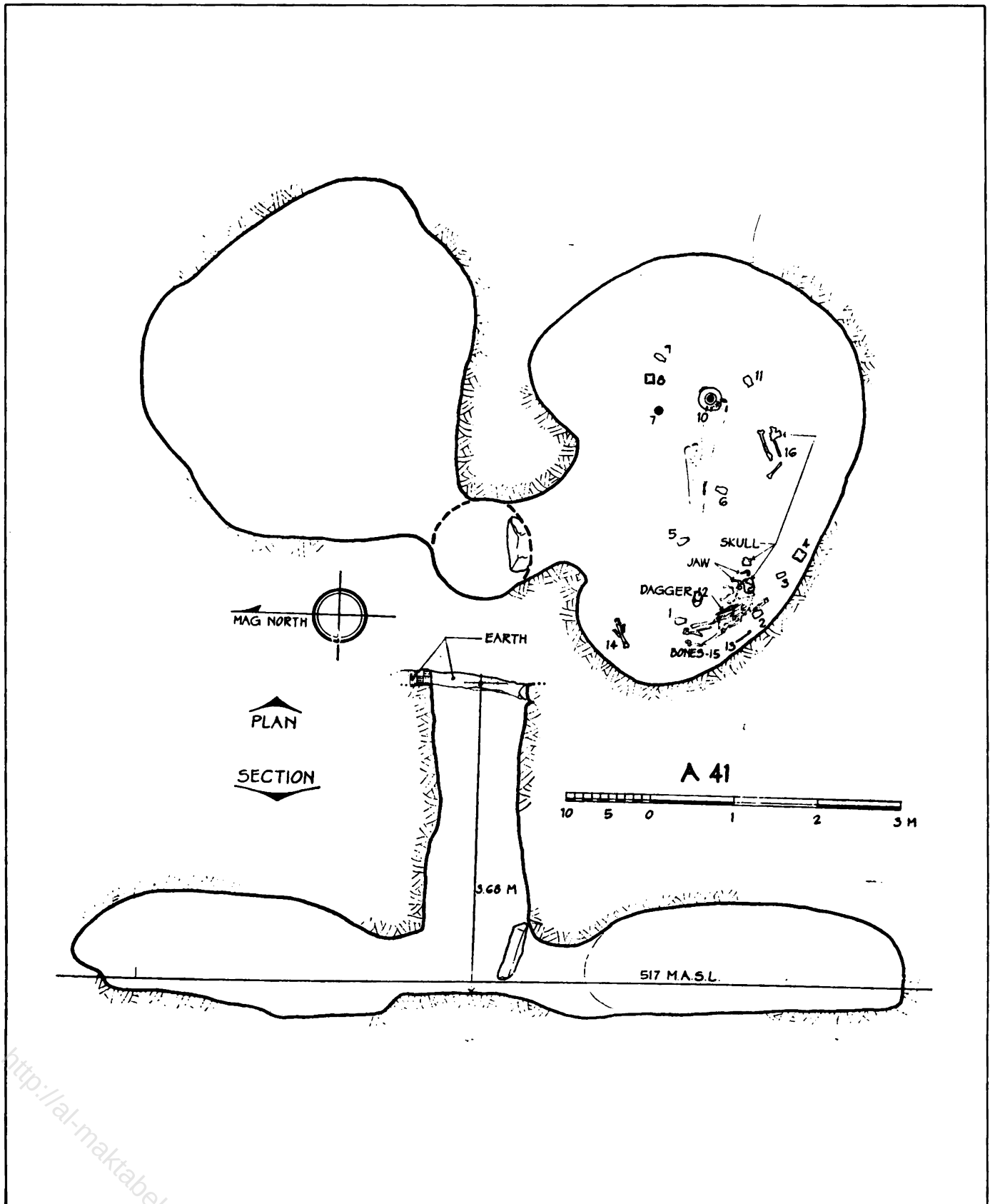


46. IIBb-3



47. IIC-1

أختام عثر عليها في مواقع متعددة بفلسطين تعود للآلاف الثالث قبل الميلاد توضح تأثيرات حضارة ما بين النهرين



مخطط ومدخل عمودي لأحد القبور المقطوعة في الصخر من ظهر المزرابانة بفلسطين ويعود بتاريخه لأواخر الألف الثالث قبل الميلاد

«أباريق أبيدوس»، وعلى أسلحة تضم فؤوساً وخناجر وعلى خرز، كما تم العثور على بقايا قماش وخشب شمله الحريق.

أما النوع الرابع والأخير فجاء مشابهاً للنوع الأول وهو محفور بشكل حفرة عمودية داخل الأرض تنتهي بتجويف جانبي أو أكثر، لكنه يختلف عن هذا النوع الأول في أن كل تجويف كان يضم هيكلاً عظمية واحداً فقط. وجاءت الحفرة الواحدة مليئة بالحجارة لتشكل في النهاية كومة فوق سطح الأرض.

يختلف هذا النوع في موجوداته عن الأنواع السابقة، فقد عثر في داخل كل قبر على عدد من الأواني الفخارية المصنوعة باليد، أما العنق فصنع بواسطة العجلة، وبعض الأسلحة أحياناً. تنسب هذه الموجودات إلى جماعات من الذين جاؤوا إلى البلاد في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد ودمروا المنطقة فيكون قد قضي مع قدومهم على حضارة العصر البرونزي القديم التي استمرت مدة تزيد عن الألف سنة.

منها بلغت حوالي ١١,٥٠ م × ٥,٥٠ م. يقع المدخل لهذه الغرف في الجهة الطويلة للغرفة ويغطي جانبيه لوحتان حجريتان ولوحة أخرى أغلق بها، وهذا يذكرنا بالمعابد والبيوت الكنعانية.

ويتم الدخول إلى الغرفة بواسطة درجة أو درجتين وهي في الغالب مرصوفة بالحصى ومسقوفة بألواح خشبية. ومن الملاحظ أنه قد أعيد استعمال هذه القبور غير مرة في العصر البرونزي القديم الثاني والثالث.

استطاع المنقبون أن يتعرفوا على آثار حريق شمل عدداً من هذه المقابر ويبدو أن عملية الحرق هذه قد تمت من قبل مهاجرين للمنطقة في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد. وأعطى فحص المواد المحروقة تواريخ ما بين (٢٤٠٠ - ٢٣٠٠ ± ق. م).

تم العثور بداخل هذه القبور على أكوام من العظام جاء بعضها محروقة، وعلى أوان فخارية خاصة تلك التي تعرف باسم



إعادة تصميم ايسوميري لبوابة من تل القاضي تعود للعصر البرونزي المتوسط

فبعضها يحتوي على أسماء للآلهة مثل حدد إله العواصف الذي كان يمثل المكانة الأولى بين الآلهة، والإله أنو وشمش إله الشمس، وإله النجم والجبل وكذلك الإله بعل والإلهة بعله. وتكتسب هذه القوائم أهمية خاصة من الناحيتين الدينية واللغوية إذ اتضح أن جميع أسماء الأشخاص سامية الأصل، وقد تتبع ما يعرف باللهجات السامية الشمالية الغربية.

كما تدلنا الشواهد المصرية الأخرى من الأسرة الثانية عشرة على بعض التقاليد والملابس والأسلحة الفلسطينية كتلك المصورة على مشاهد المدافن والمنحوتات، خاصة تلك التي وجدت في مغائر بني حسن من أيام الفرعونين أمنمس الأول (Ammenemes I) وسيزوستريس الثاني (Sesostris II)، وداخل مناجم سيناء التي تعود لعهد أمنمس الثالث (Ammenemes III).

تمثل هذه الفترة بداية التغلغل السياسي والعسكري المصري أثناء حكم الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن العلاقات التجارية قد شقت طريقها مع مصر قبل ذلك بكثير، وأدى هذا التغلغل إلى السيطرة المصرية شبه التامة وبشكل خاص على جنوبي فلسطين في المرحلة الثانية من العصر البرونزي الوسيط والعصر البرونزي الأخير، وأصبحت فلسطين تشكل جسر العبور المصري لأجزاء أخرى من بلاد الشام والمناطق الآسيوية الأخرى.

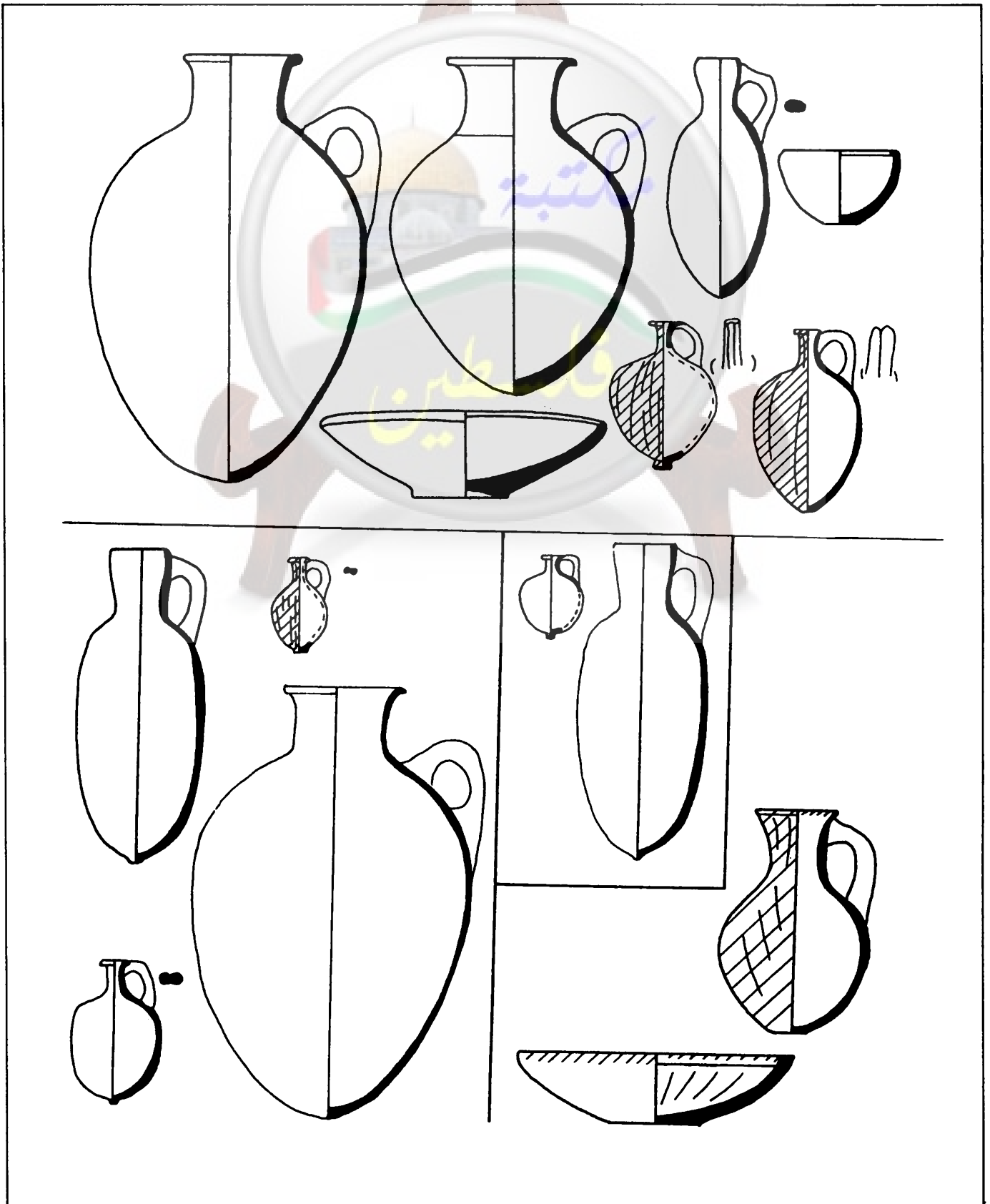
ويظهر التأثير المصري على الحياة اليومية من خلال المكتشفات المتنوعة التي تم استيرادها من مصر أو صنعت في فلسطين وكانت تقليداً للصناعة المصرية أو وقعت تحت تأثيرها، ومثال ذلك العثور على منحوتات مصرية من هذه الفترة في العديد من مدن الساحل السوري الفلسطيني ومواقع مثل رأس شمرا (أوغاريت) وجبيل (بيلوس) وبيروت، وكذلك في مواقع داخلية مثل نيرب بالقرب من حلب والمشيرفة (قطنا)، فضلاً عن التي وجدت في تل العجول وتل أبوشوشة (جيزر) في الجنوب وتل المنسلم. كما وجدت جعارين مصرية في بداية العصر البرونزي الوسيط في مواقع مثل تل العجول وأبوشوشة وبيسان وتل الفارعة بالقرب من نابلس ونهاريا وأريحا ورأس العين^(١٤٦) وصفد وغيرها.

تتعلق هذه الشواهد والمصادر التي ورد ذكرها بمرحلة مبكرة من العصر البرونزي الوسيط (Middle Bronze I) ويبدو أن مداها قصير نسبياً في فلسطين ربما يمتد إلى منتصف القرن التاسع عشر ق. م، ويصعب تجميع المكتشفات الأثرية التابعة لها رغم وجودها في الكثير من المواقع الفلسطينية وتمثيلها بعدة طبقات

لا يوجد لدينا حتى الآن أي دليل على أن موقع باب الذراع قد أعيد سكناه في فترة العصر البرونزي المتوسط أو بعد ذلك ويبدو أنه هجر كلياً، وربما يعود هذا إلى صعوبة تحصيله.

ثالثاً - فلسطين في العصر البرونزي الوسيط:

يختلف الباحثون في بداية هذا العصر وتقسيماته فنسبوا إليه بعض مكتشفات المرحلة الانتقالية السابقة كما فعل أولبرايت والكثير من المنقبين الأمريكيين والإسرائيليين^(١٤٤). والواضح أنه مع بداية الألف الثاني ق. م بدأت المدن تنشط وتنتشر من جديد، وظهرت معها أنماط جديدة من العمارة والمدافن وأنواع جديدة من الخزف والأسلحة. وتتميز هذه المرحلة بعلاقات تجارية وسياسية متطورة مع غالبية مناطق الشرق القديم، وبشكل خاص مصر وعمق بلاد الشام، ومنها شمالي سوريا والساحل السوري وشرقي الأناضول. ومع هذه المرحلة بدأنا نشعر بأن المصادر المكتوبة عامة والمصرية خاصة أصبحت تسهم لأول مرة في كتابة تاريخ فلسطين وتاريخ بقية أجزاء بلاد الشام الجنوبية، علماً بأن المصادر المكتوبة انتشرت في مصر وبلاد ما بين النهرين ومنها شمالي سوريا منذ بداية الألف الثالث ق. م ولم تكن هذه المصادر لتؤدي دوراً في جنوبي بلاد الشام أو تعطينا معلومات عن هذه المنطقة إلا بعد مضي ما لا يقل عن ألف سنة. والجدير بالذكر أن المصادر تعرفنا على أقدم الأسماء للمواقع الفلسطينية التي غالباً ما نقلت عنها لتدخل في أسفار التوراة وغيرها من المصادر. وهناك إشارات واضحة إلى أن فلسطين كانت تضم عدداً يصل غالباً إلى عشرات دويلات المدن مثل عسقلان وحاصور (تل القدح) وشكيم (تل بلاطة) وكذلك القدس التي يرد ذكرها في هذه المرحلة (أي في عهد الأسرة الثانية عشرة في مصر) لأول مرة في التاريخ^(١٤٥). كما غدت النصوص المصرية تحدثنا عن الحملات التي نظمها فراعنة الأسرة الثانية عشرة لاستغلال مناجم النحاس في سيناء وجنوبي فلسطين، وكذلك عن البلدان الآسيوية وأمرائها، وتتضمن إحدى قوائم البلدان أكثر من ستين قطراً وأميراً. وهناك بعض النصوص، وخاصة ما ورد في قصة «سنوحي» التي تزودنا بمعلومات عن الحياة اليومية والمحاصيل الزراعية في عمق فلسطين مثل إنتاج القمح والشعير والزيتون وأنواع مختلفة من الفواكه، وحقول الكرمة والتين الكثيرة. وتشير إلى أن طعام السكان يتضمن اللحوم والعسل ومنتجات الألبان، ورغم أنهم عرفوا مختلف أنواع الحيوانات الداجنة فإنهم كانوا يجبون الصيد. ولا تخلو هذه المصادر من معلومات عن الحياة الدينية في فلسطين،



أوان فخارية عثر عليها في مقابر تعود للعصر البرونزي المتوسط

دخلت فلسطين من الشمال، وتعتقد أن هذه المجموعات كانت وراء إعادة إعمار المدن وإدخال صناعات فخارية ومعدنية جديدة في فلسطين مدعمة رأياً بمكتشفات تعبر عن وحدة حضارية لشمال سوريا وجنوبها مع حلول العصر البرونزي الوسيط، مع أن مثل هذا الترابط كان قائماً منذ العصر الحجري الأخير.

ولم تظهر الحفريات في فلسطين حتى الآن أية مصادر مكتوبة من العصر البرونزي الوسيط، إلا أن وثائق تل حريري (ماري) وتل مردوخ (ابلا) بدأت تزودنا ببعض المعلومات عن الأوضاع السائدة في فلسطين مع نهاية الألف الثالث والنصف الأول من الألف الثاني ق. م. وتشير اللوحات الطينية من تل مردوخ إلى وجود علاقات تجارية مع الكثير من المدن الفلسطينية مثل حاصور ولاش ومجدو ويافا واسدود. ويظهر أن هذه العلاقات لم تقتصر على شمالي فلسطين ووسطها وإنما وصلت إلى الجنوب حتى سيناء^(١٤٨).

والحقيقة أن أهمية اكتشاف مكتبة ابلا تتعدى العلاقات التجارية بين شمالي سوريا وجنوبها، في فلسطين، لتوضح ما جاءت به المصادر المصرية وغيرها مثل وثائق تل حريري عن لغة السكان وانتماءاتهم في أجزاء مختلفة من بلاد الشام ومنها فلسطين، إذ تشير الدراسات الأولية لوثائق تل مردوخ (ابلا) إلى أن لغة سكان المنطقة وأسماء الأشخاص كانت سامية أو ما يعرف بالسامية الشمالية الغربية أو الكنعانية التي تفرع عنها الأوغاريتية والآرامية والفينيقية والعبرية القديمة والمؤابية والعمونية وغيرها من لهجات المنطقة^(١٤٩). ومقابل ذلك فقد كانت الأكادية اللغة السامية الشرقية وتفرع عنها البابلية والآشورية في منطقة ما بين النهرين. وعلى المهتمين بالتاريخ القديم لبلاد الشام وآثارها متابعة نتائج الدراسات المترتبة على حفريات تل مردوخ وآلاف الرُّمَم التي استخرجت من الموقع والتي بدأت تلقي أضواء جديدة على تاريخ المنطقة ولغة سكانها في الألفين الثالث والثاني ق. م.

لقد كان سكان بلاد الشام في سيناء جنوباً وحتى أقصى شمالي سوريا على علم باللغات والخطوط المتعارف عليها في مناطق الشرق القديم كالهيروغليفية في مصر والمسمارية في بلاد ما بين النهرين وعُبروا في لغتهم بهذين النظامين، فاستغل سكان الساحل السوري الفلسطيني الخط الهيروغليفي منذ النصف الأول للألف الثاني ق. م، إلا أن الخط المسماري قد استعمل على نطاق أوسع منذ الألف الثالث ق. م كما في ابلا وغيرها من المدن الشامية، إلى أن تمكن سكان المنطقة من تبسيطه عندما طور سكان رأس شمرا (أوغاريت) أقدم أبجدية في العالم. ورافق هذا

سكنية في مواقع مثل تل المتسلم ورأس العين وغيرها. وجاءت غالبية المكتشفات من المدافن التي تختلف عن مدافن المرحلة السابقة ببساطتها ووجودها ضمن منطقة المواقع السكنية ووجدت الهياكل العظمية داخل المدافن على شكل أفراد أو جماعات في حين تميزت مدافن المرحلة السابقة بوجود أفراد داخلها.

ويتميز العصر البرونزي الوسيط بصناعة متطورة للخزف من حيث انتقاء مادة الصلصال ومزجها وإدارتها على عجلة سريعة للغاية لإنتاج أشكال متنوعة وأنيقة من الأواني التي استكمل تصنيعها عن طريق الصقل أو إضافة غطاء ملون (أحمر غالباً) أوزخارف على سطحها الخارجي. وقد ضمت أشكال الفخار الصحن والمزهريات والأباريق والمكايل والسُّرُج التي يتخلل الواحدة منها فتحة واحدة بدلاً من أربع فتحات كما كانت تظهر في المرحلة الانتقالية السابقة. والزخارف التي يغلب وجودها في هذا العصر هي المتموجة والحلزونية. وكثيراً ما تظهر الأشكال الحلزونية على الأواني الفخارية والجعارين والأختام والصخور. كل هذه الصفات جعلت فخار العصر البرونزي الوسيط سهل التمييز وخاصة عن المرحلة التي سبقتة حيث كانت الأواني الفخارية صناعة يدوية ومتجانسة إلى حد كبير. وجميع الجرار كانت لكل منها قاعدة منبسطة وعريضة، وأخذت مثل هذه القاعدة تتلاشى في العصر البرونزي الوسيط ليحل محلها تدريجياً قاعدة صغيرة أو مدببة تسهل تحريك الإناء أو نقله، خاصة إذا كان إناءاً للتخزين أو لنقل الإنتاج أو البضائع. وغالباً ما تكون مثل هذه الأواني من الجرار الكبيرة. يظهر الاختلاف بين الفترتين في إدخال الأسلحة البرونزية وكان يرافق ظهورها الفخار المصنوع بالعجلة كما أشرنا سابقاً مثلما تبين ذلك في مواقع مثل تل المتسلم وتل السلطان وتل العجول وتل أبو شوشة. وتتضمن الأسلحة هذه خناجر بكتف عريض ونصلة محززة وفؤوس يتخللها فتحة للمقبض وكذلك رؤوس السهام بمقبض مثقوب حيث ظهرت مثل هذه الأدوات في عدد من المواقع في شمالي سوريا وخاصة الساحلية منها مثل رأس شمرا وجبيل وتل مردوخ وغيرها.

ومع أن غالبية المدن والقلاع أصبحت أكثر وضوحاً وانتشاراً في المرحلة الثانية في العصر البرونزي الوسيط، فإن هناك الكثير من المواقع التي أظهرت فيها الحفريات عودة حياة المدينة في بداية هذا العصر مثل تل السلطان وتل المتسلم ورأس العين وتل بيت مرسيم وتل الفارعة بالقرب من نابلس.

وتعزو كاثلين كنيون^(١٤٧) هذا التطور إلى مجموعات بشرية

استعمال أبجدية سيناء التي استعملت في الكثير من النقوش الفلسطينية قبل منتصف الألف الثاني ق. م، ولا تشكل هذه الاكتشافات الخلفية التاريخية للنقوش والكتابات الكنعانية في مختلف مناطق الشرق القديم فحسب، وإنما تعتبر أساساً لليونانية واللاتينية.

وتشهد المرحلة الثانية من العصر البرونزي الوسيط تطوراً ملحوظاً من حيث عدد المدن المحصنة التي أقيمت في مواقع غالباً ما قامت عليها مدن في العصر البرونزي القديم. غالبية المدن في هذه الفترة صغيرة الحجم باستثناء تل القدح (حاصور)، إذ بلغت مساحة المدينة ما لا يقل عن ٧٠٠ دونم في أوسع تطور لها. والجدير بالذكر بأن هذه المرحلة تضم فترة حكم الهكسوس لفلسطين وقد يطلق عليها عصر الهكسوس نسبة إلى مجموعات آسيوية عرف أمراؤها بالهكسوس أي «حكام الأقطار الأجنبية» أو «أمراء المرتفعات الصحراوية» الذين حكموا مصر حوالي مئة وخمسين عاماً (بشكل رئيسي فترة حكم الأسرة السادسة عشرة) أي حتى منتصف القرن السادس عشر ق. م عندما هزم ملكهم أحس الأول ودمر آخر حصن له في جنوبي فلسطين إذ سيطر الهكسوس على مناطق سوريا وفلسطين طوال حكمهم لمصر.

تعتبر التحصينات المدعومة بطبقات مرصوفة من الطمم المائل من أهم مميزات هذه المرحلة، حيث كانت المدن تقوم على مرتفعات ويحيط بها أسوار كانت مدعومة بطبقات من التراب والحور المرصوص بشكل مائل وأملس. وكان من شأن هذا النوع من التحصينات إعاقه تقدم المهاجمين لمثل هذه المدن، وغالباً ما يتخلل السور بوابات ضخمة لها مدخلان أو ثلاثة مداخل متتابعة ويتصب على جوانبها الداخلية لوحات حجرية. تنتشر هذه التحصينات في مناطق مختلفة في الشرق القديم في كركميش ورأس شمرا وتل عطشانة وتل مردوخ في شمالي سوريا وتظهر بأعداد كبيرة في المدن الفلسطينية وحتى تل اليهودية إلى الشمال من القاهرة. أما فلسطين فلم تشهد في تاريخها هذا العدد من التحصينات القوية كما حدث في العصر البرونزي الوسيط، وهذه المواقع أشبه ما تكون بالقلاع منها إلى المدن الكبيرة. وقد تم الكشف عنها في تل القدح (حاصور) وتل القاضي شمالي بحيرة طبرية وتل التسلم وتل تنك في مرج ابن عامر وتل الفارعة الشمالي وتل بلاطة بالقرب من نابلس، وكذلك تل بيت مرسيم وتل الدوير وتل أبو شوشة وتل الفارعة الجنوبي وتل العجول بالقرب من غزة في الجنوب وتل عين السلطان (أريحا) وتل دير علا في غور الأردن. كما يلتفت النظر وجود عدد كبير من مواقع العصر

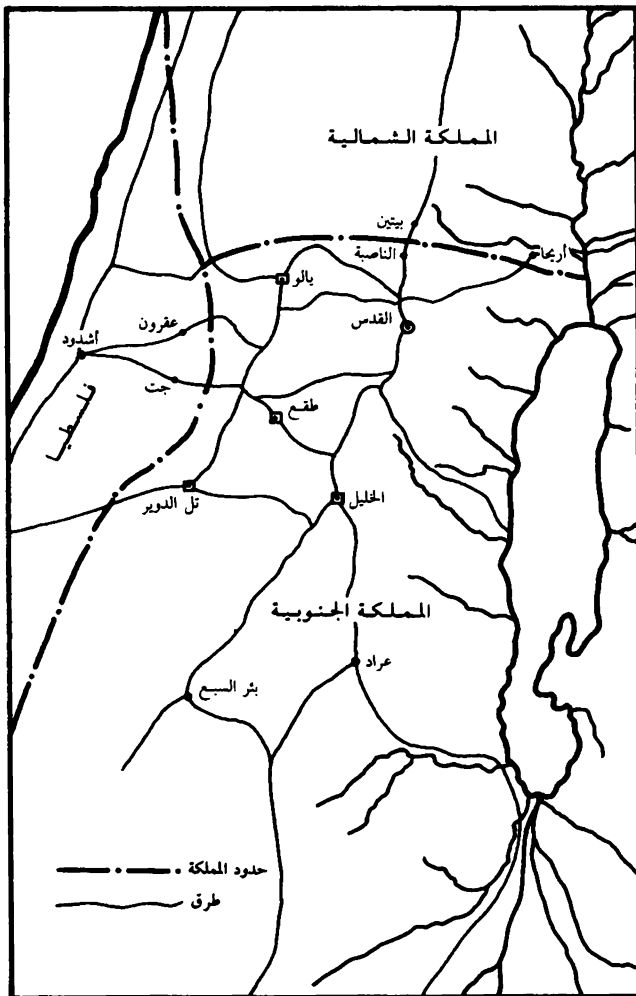
البرونزي الوسيط على طول الساحل الفلسطيني أو المناطق المطلة عليه ابتداء من حيفا في الشمال وحتى غزة في الجنوب. ومن هذه المواقع ما هو محصن وآخر أقرب ما يكون إلى القرى الزراعية أو المواقع العسكرية. ويبدو من توزيع هذه المواقع والقرى الزراعية أن كل مجموعة منها كانت تتبع أحد المراكز المحصنة لتمثل مجموعها دويلات مدن أو مراكز سياسية، مثال ذلك تل دور وتل مبارك وتل الفالق (Tell Poleg) ورأس العين وتل جريشة، إلى الشمال من يافا، وعسقلان وتل العجول. وقد يتفق هذا التصنيف مع عدد من المواقع الموجودة فوق المناطق المرتفعة مثل مرج ابن عامر أو وادي الأردن وحتى شرقي الأردن ممثلة في مراكز رئيسية كالتى ورد ذكرها. ويدعم هذا التصنيف بعض المصادر المصرية في المرحلة الأولى للعصر البرونزي الوسيط التي تذكر بعض مدن الساحل الفلسطيني مثل رأس العين (أفق) وعسقلان وتذكر أساء حكامها^(١٥٠) وتوجد غالبية مواقع هذا العصر بالقرب من مصادر المياه القريبة من الأراضي الزراعية بشكل يوحي بأن سكان هذه المواقع مارسوا حياة زراعية، أما سكان المواقع الساحلية فغالباً ما اعتمدوا على صيد الأسماك والتجارة. وهناك مجموعات بشرية أخرى قد اهتمت بعدد من الحرف اليدوية مثل صناعة الفخار التي وصلت أوجها في هذه المرحلة، وصناعة البرونز على شكل أسلحة أو أدوات زراعية أو لأغراض الزينة، وصناعة الأثاث من الخشب والسلال من القصب، وكذلك صناعة الأختام والجعارين التي أخذت في الانتشار لتظهر في غالبية مواقع بلاد الشام. بعض هذه الجعارين مستورد من مصر، أما الجزء الأكبر منها فهو صناعة محلية يغلب عليها التأثير المصري.

ومع أن أعمال التنقيب والدراسات السطحية قد كشفت النقاب عن أعداد كبيرة في مواقع العصر البرونزي القديم، ورغم معرفتنا بأسلوب التحصين المدعوم لطبقات من الطمم المائل وما يتخلله من بوابات متماسكة إلى حد كبير فإن معلوماتنا عن تنظيم المدن والمباني العامة محدودة، والسبب في ذلك يعود إلى الحفريات التي لم تكشف إلا عن أجزاء بسيطة من المخلفات المعمارية والمحصورة حتى الآن في عدد محدود من مواقع هذا العصر. وهناك سبب آخر مرتبط بإعادة بناء مدن العصر البرونزي الوسيط عدة مرات بعد تعرضها للتدمير. ولتوضيح الصورة فلا بد من عرض سريع لأهم المخلفات المعمارية داخل مدن هذه المرحلة.

أشرنا سابقاً إلى تل القدح (حاصور) الذي يعتبر أكبر موقع للعصر البرونزي الوسيط في فلسطين حيث زادت مساحته على

وهناك ما يشير إلى أن وباء قد حل بالسكان بدليل وجود بعض هذه المقابر وبداخلها أعداد كبيرة نسبياً من الأشخاص الذين غالباً ماتم دفنهم في آن واحد ولم يعث بهم.

وتعتبر مدافن العصر البرونزي الوسيط في أريحا متميزة من حيث المرفقات الجنائزية التي صنع بعضها من مواد عضوية مثل الخشب والعظام والسلال، كما تم تزويد الموق بالطعام والشراب، ويضم الطعام قطعاً من لحم الخروف أو الماعز وأخرى من الخبز والعنب والرمان، أما السوائل فقد تم وضعها في جرار فخارية كبيرة ومعها مكاييل فخارية أيضاً. وضمت مكتشفات المدافن أدوات متنوعة للزينة على شكل صناديق خشبية ودبابيس نحاسية وبعض الخزف والخواتم، وكذلك الجعارين (Scarabs) التي وجدت بأعداد كبيرة، بعضها مستورد من مصر والجزء الأكبر منها تقليد للصناعة المصرية.

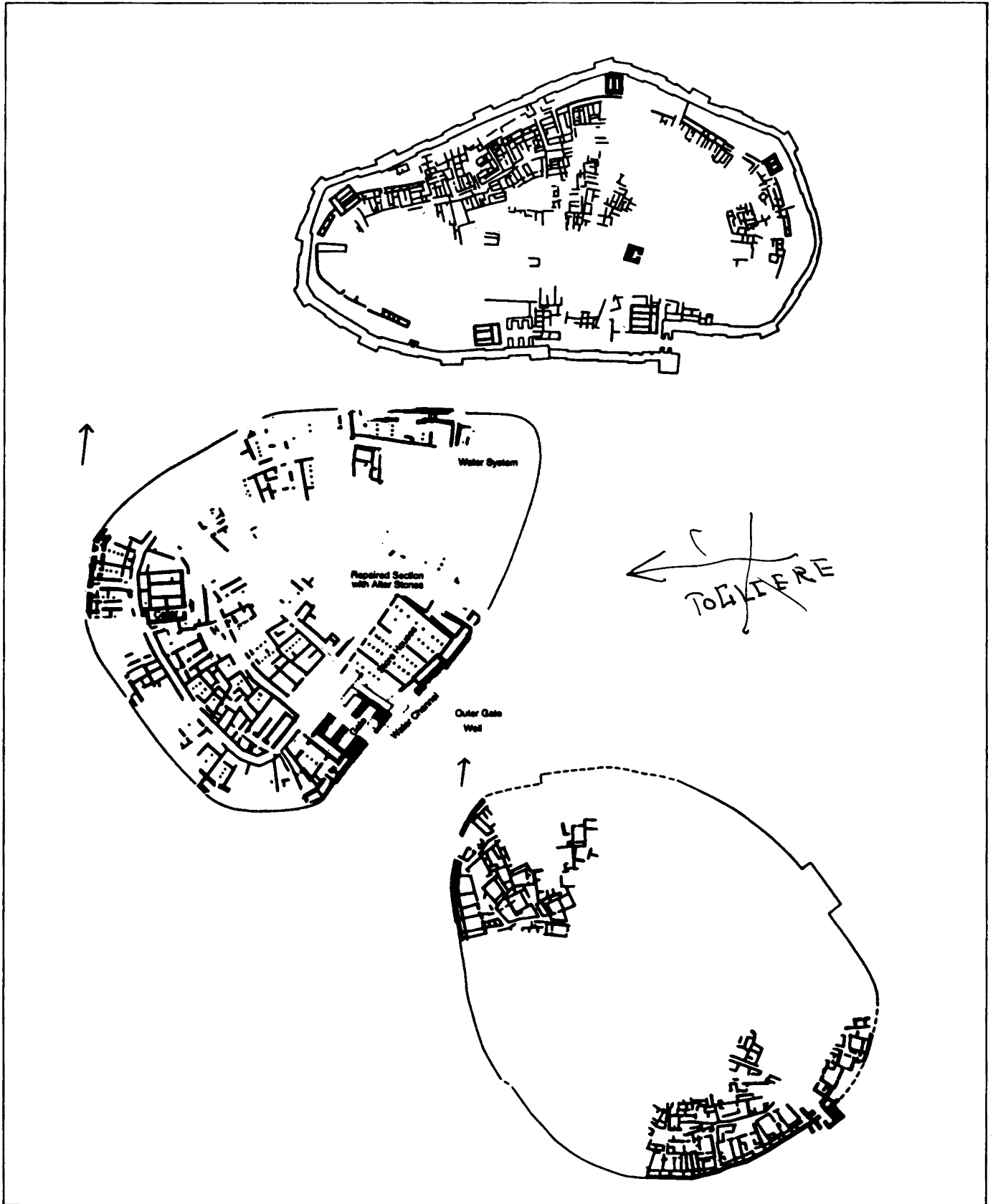


حصون فلسطين وقلاعها في النصف الثاني من القرن العاشر ق. م

٧٠٠ دونم وقد كشفت الحفريات عن مبان متنوعة وبشكل خاص في الطبقتين الرابعة والثالثة من القرن الثامن عشر وحتى السادس عشر ق. م وهذه هي المرحلة التي يظهر فيها اسم حاصور ولأش (تل القاضي) في سجلات ماري (Mari Documents) من العهد البابلي القديم، ويظهر أن الموقع لم يقل أهمية عن المراكز الكبيرة التي نعرفنا عليها في شمالي سوريا من خلال الحفريات والوثائق المكتوبة والتي فيها يمجّد (حلب) وقطنا (المشيرة) إلى الشمال من حمص وكركميش وتل مريدخ (ابلا) الذي ورد في بعض لوحاته اسم المدينتين المشار إليهما (حاصور ولأش). وأهمية حاصور كما ترد في إحدى رسائل ماري أنها كانت تصدّر القصدير الذي يدخل عنصراً هاماً في صناعة البرونز. أما أهم المخلقات المعمارية داخل المدينة فتتضمن مدخلاً للأكروبوليس من عهد الهكسوس وجزءاً من قصر كبير بالقرب من بوابة العصر الحديدي التي يصفها المنقبون بالبوابة السلمانية. وهناك مبان كبيرة أقرب وصفت بأنها قصور كالبنى الذي كشف عنه في تل المتسلم (Stratum XII) من قبل بعثة جامعة شيكاغو، والقصر رقم (١) في تل العجول بالقرب من غزة. وكشف وليم أولبرايت في تل بيت مرسيم عن مجموعة من المنازل غير متناسقة وصغيرة الحجم باستثناء بيت كبير نسب لأحد أغنياء المدينة أو نبلائها. أما في تل السلطان (أريحا القديمة) فقد أظهرت كاثلين كنيون جانباً كبيراً من منازل المدينة التي يفصل بينها عمران ضيقان يعرض حوالي ٢٠ م. وقد تبين بأن بعض هذه المنازل كانت مؤلفة من طابقين استعملت غرف الطابق الأرضي منها كحوانيت ومخازن بدليل وجود مجموعات من جرار الخزين المليئة بالحبوب مصفوفة بداخلها.

وكشفت حفريات جامعة تل أبيب الأخيرة في تل الدوير عن أجزاء من قصر يبدو ضخماً ويتصل به باحة فسيحة تحيط بها غرف القصر وقاعاته التي تأخذ في الغالب شكل مربع أو مستطيل.

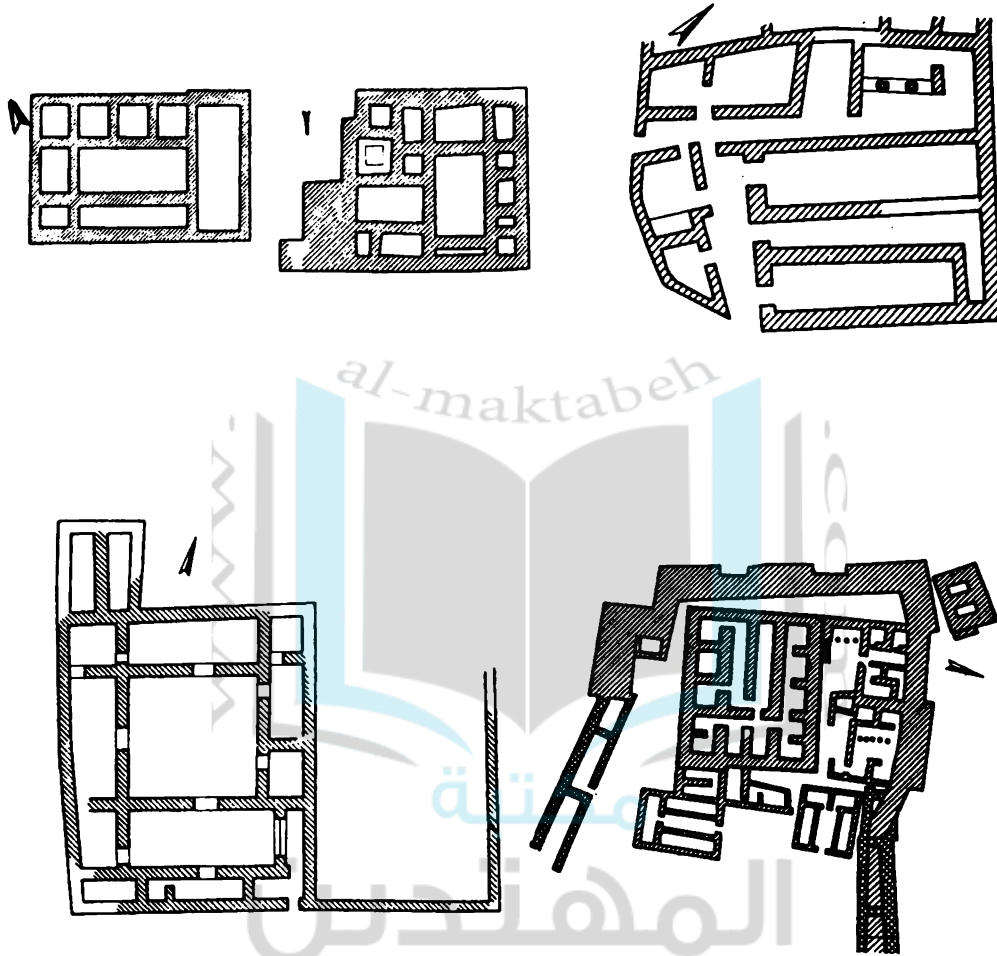
كما ظهرت في عدد من المدن الفلسطينية مبان عامة يمكن وصفها بأنها كانت معابد أو على الأقل مرتبطة بالحياة الدينية السائدة في المنطقة. فقد وجد في تل المتسلم مجموعة متعاقبة من المباني المتصلة في الطبقات (XII-X) والتي غالباً ما استعملت معابد في فترات العصر البرونزي الوسيط. ووجد معبد يشبه هذه المباني في تل بلاطة بالقرب من نابلس. يتألف مخطط هذه المعابد عادة من غرفة طويلة يتصدرها حنية ويتفرع عن مدخلها حجرتان متناظرتان ومتناسقتان في الحجم والشكل. تبدو هذه المعابد محصنة ويزيد سمك جدرانها على ثلاثة أمتار ويمكن الصعود من داخل الغرفة إلى سطحها أو للطابق العلوي.



تخطيطات لمدينة حصنة تعود للعصر البرونزي المتأخر في فلسطين وهي: (أ) تل النصبة (ب) بئر السبع (ج) تل بيت مرسيم

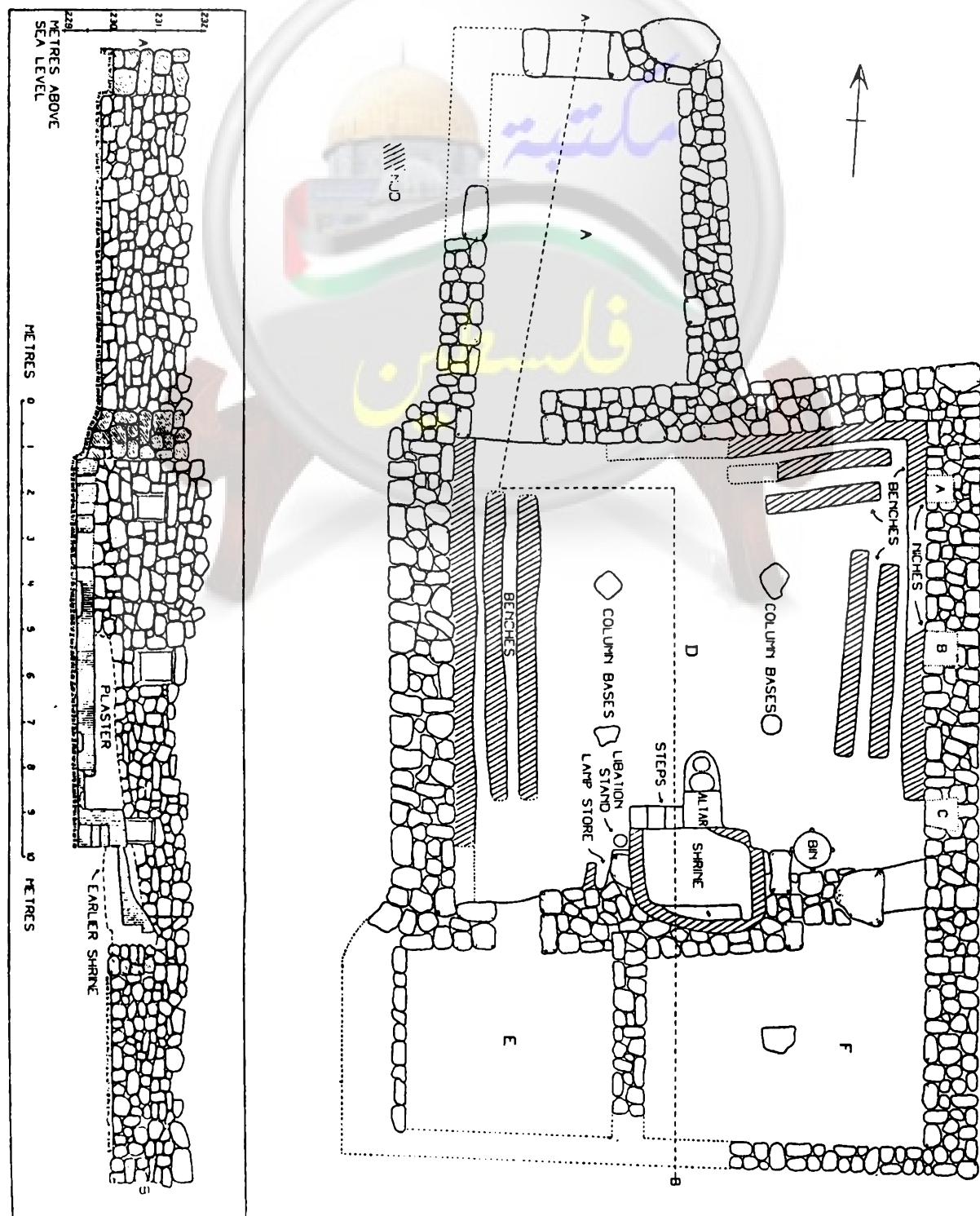
وباختصار، فإن حالة من الاضطراب قد سيطرت على فلسطين كما يبدو من مواقع الجنوب والوسط مع بداية الأسرة الثامنة عشرة أي يُعَيِّد طرد الهكسوس من مصر وملاحقتهم حتى شاروهين في جنوبي فلسطين. وتتعلق هذه المرحلة بإعادة التنظيم السياسي والعسكري في مصر والمناطق التابعة لها. ومن الواضح أن هذه الحالة لم تدم طويلاً، وأن الحملات التي قادها آمحس الأول وتحتمس الأول (النصف الثاني من القرن السادس عشر ق.م.) قد انحصرت في المواقع الجنوبية، ولكنها مهدت الطريق لإخضاع فلسطين وشرقي الأردن وغالبية المناطق الشامية الأخرى أثناء الحملات العسكرية الأولى لتحتمس الثالث.

تزودنا نقوش تحتمس الثالث، التي وجد الجزء الأكبر منها في قاعة الحوليات بمعبد آمون بالكرنك المتعلقة بالحملات العسكرية على بلاد الشام (حوالي ١٤٧٠ - ١٤٤٠ ق.م)، بمعلومات قيّمة عن علاقات المنطقة بمصر والأوضاع السائدة فيها وعن أساء المدن الرئيسية وحكامها. ويبدو أن عدد هذه الحملات قد زاد على ست عشرة حملة وصل بعضها حتى نهر الفرات في شمالي سوريا الشرقي. ويتضح أن المنطقة لم تكن على ولاء تام للنظام المصري مما يفسر تكرار الحملات العسكرية المصرية على بلاد الشام التي استمرت حتى القرن الثاني ق.م.



مخططات لقصور وتحصينات تعود للعصر الحديدي المتأخر:

- (أ) تل التسلم (ب) بئر السبع. قصر الحاكم
(ج) تل القدح. القلعة الآشورية (طبقة ٣) (د) تل القدح. الأسوار والتحصينات



نموذج لمخططات المعبد في تل الدور، يعود للعصر البرونزي المتأخر

ورمسيس الثالث وشيشنك الذين قاموا فيما بعد بحملات مشابهة على بلاد الشام.

وتعرف هذه القوائم أحياناً بالمحاصيل الزراعية والصناعات والحيوانات المدجنة، ولبعضها أهمية خاصة للتعريف بطبقات وفئات المجتمع الفلسطيني ومن أبرزها قائمة السجناء من أيام أمنحوتب الثاني والتي تضم أعداداً من السجناء لأكثر من عشر فئات وتبعيات، وغالبية الأسماء الفلسطينية التي ترد في هذه القوائم سامية الأصل مع أنها تتضمن أيضاً أسماء غير سامية وبعضها حوري وميتاني.

وهناك ما يشير إلى أن بعض الآلهة الهندية مثل اندرا (إله العواصف) وسريا (إله الشمس) قد عبدت ولولفترة قصيرة في فلسطين (١٥٣).

رغم ما في الوثائق التحتمسية من مبالغاة وخاصة ما يتعلق منها بانتصارات الملك وصفاته التي يتم تصويرها أحياناً وكأنها جبل أو إله في المعركة يُلقى الرعب في صفوف الأعداء... إلخ، فإنها تبقى سجلات هامة للغاية، فقد تم تدوينها من قبل مسجلين متخصصين في تدوين يوميات الحملات والمعارك ووصف تفاصيلها. وكان هؤلاء على معرفة ممتازة بمواقع المدن وأسماء حكامها وبيئتها وجغرافيتها، ولكن المعارك التي لم يقدها الملك لم تكن لتحتل بمثل هذا الوصف التفصيلي.

لقد تولّى تحتمس الثالث الحكم وهو في ريعان شبابه، إذ لم يتجاوز بداية الثلاثينات من عمره، وكان عسكرياً مدرباً، الأمر الذي ساعده على قيادة غالبية الحملات المشار إليها والتي استغرقت في الوقت نفسه حوالي أربعين عاماً. لقد أصبح الملك بعد هذه الإنجازات رجلاً كهلاً وقضى الاثني عشرة سنة المتبقية من حكمه بعيداً عن أرض المعركة واكتفى باستقبال أتباعه من حكام الممالك الشامية الذين قدموا له الضرائب والطاعة. ولقد أخذ ولاء الحكام هؤلاء يقل شيئاً فشيئاً، حتى أنه عندما علم حكام مدن البقاع بخبر وفاة الملك سرعان ما ثاروا وأخرجوا الحاميات المصرية أو استولوا عليها.

أثارت هذه الحركات ردود فعل قاسية لدى أمينوفيس الثاني (Amenophis II) خليفة تحتمس الثالث، وقد بدأ أمينوفيس هذا حملاته الانتقامية في السنة الثالثة من حكمه (١٤٤٨ ق. م). وتركزت هذه الحملات على مراكز مثل قطنا وقادش في منطقة العاصي الذي كان يجتازه بواسطة جسر مكوّن من مجموعة عربات قتالية. وتصفه المصادر المصرية بأنه

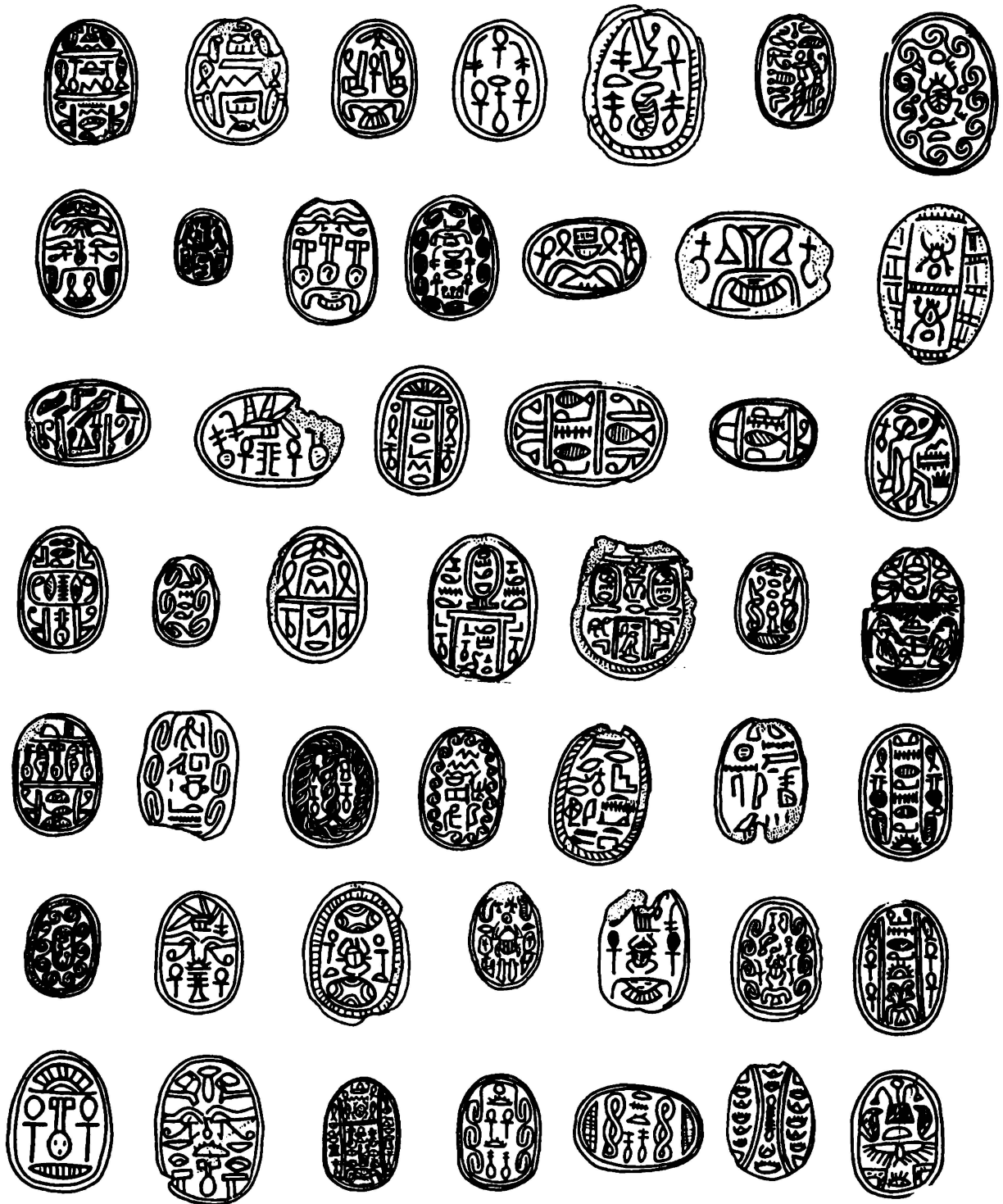
والجدير بالذكر أن أكثر هذه النصوص تفصيلاً من أيام تحتمس الثالث ذلك النص المتعلق بمعركة مجدو الفاصلة التي قادها من الجانب الشامي كل من ملك مجدو وملك قادش يدعمهما الملك الميتاني، وشارك في هذا التحالف ما يقارب مائة وعشرين مدينة ورد ذكرها في إحدى قوائم تحتمس الثالث الطبوغرافية. ومع أن هذه القائمة موزعة على مختلف مناطق بلاد الشام، فإنها تتركز على الساحل وشمالي فلسطين. وظلت الجيوش المصرية تسير حتى مرج ابن عامر. وحوصرت مدينة مجدو (تل المتسلم حالياً) لمدة سبعة شهور تمكن الجيش المصري بقيادة تحتمس الثالث بعدها من تحقيق نصر حاسم أدى إلى إخضاع الملوك الكنعانيين للسيطرة المصرية لسنوات طويلة. وتركزت حملات تحتمس الثالث بعد ذلك لإخضاع الممالك والمدن السورية الشمالية، وقد بلغ مجموع المدن الشامية في القوائم الطبوغرافية حوالي ٣٥٠ مدينة. ويمكن التعرف على الجزء الغالب منها من خلال تشابه الأسماء الحالية والقديمة أو تتبع سير الحملات المصرية عند تغير الأسماء أو اختلافها عن الصيغ القديمة وربطها بالمخلفات الأثرية المعاصرة للحملات أو القوائم الطبوغرافية. وتعود أهمية هذه القوائم وسهولة دراستها نسبياً إلى اقتران كل قائمة بحملة عسكرية معينة. كما نجد القوائم هذه مصنفة تبعاً للمناطق الجغرافية إذ يقترن بمنطقة البقاع ومنطقة دمشق على سبيل المثال أرقام المواقع من ٣-٢٠ ومنطقة باشان من ٢١-٣٠ وشمالي وادي الأردن من ٣١-٣٤ وسهول مرج ابن عامر وعكا من ٣٥-٥٤ ومنطقة الساحل الجنوبي من ٥٥-٧١ والبقاع اللبناني من ٧٢-٨٤ ومنطقة طبرية من ٨٥-١٠٢ وتتبع بقية الأرقام لغاية ١١٩ مناطق السفلة ويسان ومنحدرات الكرمل. ونجد أحياناً خروجاً على التسلسل الجغرافي بحيث جعل المؤرخين واللغويين يختلفون في تبعية بعض المواقع أو التعرف عليها (١٥٢).

ولهذه القوائم أهمية خاصة أخرى تتعلق بأقدم التقسيمات الإدارية المدونة التي كانت سائدة في بلاد الشام وتوابع كل منطقة فيتبع منطقة كوميدي (Kumidi) البقاع الجنوبي ودمشق وباشان وشمالي وادي الأردن، ويتبع منطقة غزة سهول مرج ابن عامر وعكا والسهل الساحلي وجبال القدس، في حين تبع منطقة صومر (Sumur) البقاع الشمالي والجليل الشمالي والساحل اللبناني وأمورو.

ويمكن استكمال قوائم تحتمس الثالث الجغرافية من خلال قوائم أونصوص إضافية من أيام الفراعنة أمنحوتب الثاني



جعران وأختام من معبد الدوير تعود لفترة الهكسوس



(Mareshah) في منطقة السَّفلة. وورد الجزء الأكبر من الرسائل المدونة المتبقية من مدن الساحل الشمالي (عكا وأخشاف وصور وصيدا وبيروت وجبيل وأوغاريت (رأس شمرا) وارواد وعركات) ومن مدن البقاع على نهري العاصي والليطاني بما فيها قطنا وقادش وطوبخي (Tubih) وكوميدي وغيرها، ومدن منطقة دمشق ومنها دمشق ولبو (Lebo) أو لبانا (Lapana).

وتتفق هذه المناطق إلى حد كبير مع التقسيمات الإدارية المصرية في عهدي الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، ويلفت النظر تقارب دويلات المدن الساحلية التي تشكل سلسلة متصلة من الموانئ البحرية ابتداء من غزة في الجنوب وانتهاء بأرواد في الشمال، بينما نجد دويلات المدن الجبلية وتلك الواقعة في وادي الأردن على مسافات متباعدة وتسيطر على مساحات واسعة إذا ما قورنت بالمدن الساحلية. كما أن توزيع مدن هذه الفترة في شرقي الأردن ما زال غير واضح رغم وجود الكثير من مواقع العصر البرونزي الأخير ومدنه فوق مرتفعات الضفة الشرقية ومنها عمان وسحاب وإربد والقويبة وغيرها.

لقد كان الفراعنة المصريون يدفعون ملوك بلاد الشام وحكامهم للتصارع فيما بينهم والحيلولة دون وحدتهم أو تحالفهم للإبقاء على مصالح الخزانة المصرية ومايردها من ضرائب ومنتجات زراعية وثروات طبيعية، ولاستغلالهم عسكرياً واستراتيجياً للوقوف في وجه الأطماع الحثية والميتانية وشعوب البحر.

ويظهر هذا الصراع في الكثير من رسائل العمارة ومنها الرسالة ٢٥٤ التي تظهر عداء لبايا ملك شكيم (تل بلاطة) وملكي حاكم جيزر (تل أبو شوشة). ويظهر أن نفوذ لبايا قد امتد أيام أمنحوتب الرابع حتى مرج ابن عامر. وأخيراً وقع لبايا في الأسر عندما هاجم بريديا (Biridiya) ملك مجدو (تل المتسلم) وأراد إرساله إلى الفرعون في مصر برفقة زوراتا (Zurata) ملك عكا ولكن الأخير أطلق سراحه مقابل فدية ولجأ إلى جنين حيث تم قتله بتحريض من بريديا. وقد أثار إطلاق سراح لبايا غضب أمنحوتب الرابع الذي أخذ يوبخ بريديا ملك مجدو، الذي دافع عن نفسه في الرسالة ٢٤٥، وحمل زوراتا مسؤولية إطلاق سراح لبايا أو هروبه، وأعلن أنه ما زال موالياً (خادماً) ومطيعاً للفرعون.

ويظهر أن هزيمة لبايا ومقتله في النهاية قد سهّلا الأمر على ملكي حاكم جيزر الذي عقد تحالفات مع عدد من الملوك وحكام المدن ومنهم ابنا لبايا اللذان توليا الحكم على شكيم من بعد أبيهما، وشواردتا حاكم الخليل (أوحاكم جت). وتزوج أحد حكام الكرمل ابنة تيجي ليضمن دعماً شاملاً ضد مملكة مجدو

وليسهل عليه مهاجمة عبده خيبا ملك القدس وحكام المدن الصغيرة حول القدس التي كانت قد تلقت خمسين عربة قتالية دعماً من ملكي عكا وأخشاف. ونجد في الرسالة ٢٨٧ شكوى ملك القدس للفرعون بأن حكام جيزر وعسقلان وبكيش يقدمون دعماً لمجموعات الخبيرو (أو العبيرو) الذين كانوا على عداء مع حكام مصر والذين دخلوا بشكل مباشر في الصراع بين دويلات المدن الفلسطينية وعلاقاتها مع النظام المصري.

يواجه المتخصصون في اللغات السامية القديمة وتاريخ الشرق القديم صعوبات لإيجاد تعريف دقيق لمعنى كلمة خبيرو (أو عبيرو) وأصل أصحاب هذا الاسم العرقي أو الجغرافي، إذ يظهر التعبير في مئات الوثائق وفي غالبية المجموعات اللغوية التي يعرفها الشرق الأدنى القديم منذ الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد. وغالباً ما يقصد بالكلمة «خابيرو» طبقة أو فئة اجتماعية في الأكادية والبابلية القديمة. كما تظهر صيغ قريبة من الصيغة البابلية (Haperu) في الحثية وكتابات نوزي، وكذلك في كتابات تل حريري (ماري) وتل العطفانة (الالاح) ورأس شمرا (أوغاريت) وحلب وغيرها. ويتكرر ذكر هؤلاء الخبيرو في أكثر من ستين رسالة من رسائل تل العمارنة ويوصفون بأنهم أعداء الله والأرض والملك. وعدّهم المصريون أعداء دائمين لمصالحهم ووجهوا اتهامات وتهديدات للملوك والحكام الذين تعاملوا معهم وأنثوا على من لاحقهم وأوقع بهم الأذى.

وترد كلمة خبيرو بمعنى «القاتل» أو «القتلة» ويفسرها آخرون بمعنى «عصابات» أو «مخربين» أو «محررين» أو «سائقي قوافل الحميز». ويحاول بعض المعنيين من الإسرائيليين والتوراتيين الربط بين الخبيرو والعبرانيين وكذلك القبائل الإسرائيلية من بعدهم^(١٥٦)، ولكن هذا الرأي لا يتفق مع غالبية الأبحاث الرصينة المتعلقة بهذه المجموعات والتي يلخصها الباحث الفرنسي جان بوتيرو^(١٥٧) والأمريكي غرينبرج^(١٥٨).

لا بد من الإشارة إلى أن أسلوب مخاطبة الحكام الموالين للفرعون في رسائل تل العمارنة يكاد يكون متجانساً، ويظهر في بعض الحالات كأنهم يتسابقون إلى تمجيده ومخاطبته على أنه «السيد» أو «الشمس» أو «إله»، كل هذه الصفات في رسالة واحدة. ويعبر بعض الحكام عن ولائهم بالركوع على قدمي الفرعون سبع مرات وسبع مرات أخرى أو بالانبطاح على البطن والظهر في حضرته. ويوحى النمط المتجانس وانتفاء مفردات معينة بأن مدوني هذه الرسائل كانوا مدرّبين على الأسلوب الدبلوماسي المتعارف عليه في المراسلات. وكثيراً ما لجأ الكتبة إلى إعداد مسودة

الأخرى. وكان على كل حاكم تقديم تقرير عن الأوضاع الاقتصادية والأمنية وبشكل خاص عن التحركات المعادية للقوات المصرية ومرافقها. وقد حرم على هؤلاء الحكام عقد الاتفاقيات والتحالفات فيما بينهم ما لم تنسجم مع المصالح المصرية ويوافق عليها الفرعون.

ولضمان تبعية الحكام للنظام المصري فقد عين الفرعون مراقبين مصريين في بلاد الشام مع أنه كان لبعضهم أسماء غير مصرية (سورية وحورية الأصل)، واعتبر المراقبون من كبار الموظفين، وأعطوا صلاحيات واسعة تبعاً لمناطقهم. وقد قسمت بلاد الشام في فترة العمارنة إلى ثلاث مقاطعات رئيسية: أمورو ومركزها صومورا وتضم بشكل رئيسي منطقة الساحل من أوغاريت وحتى جبيل، وأوبي (Ubi) ومركزها كوميدي وتتبع لها قادش ووادي البقاع حتى حوران وضفاف اليرموك وشمال الأردن، ومنطقة كنعان - أي فلسطين حالياً - والتي كانت تمتد حتى صور وأحياناً حتى جبيل، وكانت تدار من غزة. وكان هؤلاء المراقبين أو الممثلين سلطان على ملوك المدن وحكامها، كما تبين من بعض الرسائل الموجهة إليهم مباشرة. وحتى يتمكن المراقبون من القيام بمهامهم فقد أتبع بهم موظفو اتصال معنيون بتقديم تقارير شبه دورية.

كما أوجد الفراغة لهم قواعد عسكرية في أماكن مختلفة موزعة جغرافياً واستراتيجياً لفرض الأمن وإخضاع الحركات الثورية والقوى المعادية للنظام المصري ومصلحه، خاصة تلك القوى الموجودة في الشمال (الحثيين والميتانيين) وكذلك مجموعات الخبيرو (أو العبيرو) والماريانو. ووجدت مثل هذه القواعد فوق أراضي غزة ويافا وأولاسا وصومر على المنطقة الساحلية، وفي القدس كمركز متوسط في المناطق المرتفعة، وفي تل التسلم وبيسان في مرج ابن عامر. وكانت بيسان أهم المراكز المصرية في عمق فلسطين، وقد تم تخطيط المدينة وبناء مرافقها بإشراف مصري مباشر، إذ تم تنفيذ بناء المدينة على النمط المصري وما فيه من المرافق الدينية والعسكرية، وغالباً ما تولى الإشراف على بنائها الحاكم العسكري المصري رمسيس - أوسر - خيش (Ramses-User-Khepesh). وكانت مدن أخرى (مثل غزة ويافا) في الغالب تحت إمرة القائد العسكري فيها.

ولجأ الحكم المصري أيضاً إلى تهديد المخالفين والمعادين له ومعاقبتهم بالاعتقال والحجز، وشمل ذلك حكام المدن ورجالها وأقرباءهم إلى جانب الأطفال والبنات الذين كثيراً ما تم حجزهم رهائن. ونجد كذلك أن بعض صغار ملوك المدن وحكامها قد

(كما يتبين من بعض الرسائل المتكررة) قبل إعداد الرسالة في صيغتها الأخيرة وإقرارها من قبل الملك أو الحاكم. أما رسائل الفرعون أو الردود التي تخرج من قصره للممالك والولايات فكانت مختلفة وفوقية وتعنون في الغالب: من الفرعون إلى حاكم مدينة، أو من الفرعون ثم يذكر اسم الحاكم منسوباً للمدينة التي يمثلها. أما داخل الرسالة فقد وصف الفرعون نفسه بالملك الذي يعطي توجيهاته وأوامره أو يوجه تهديداته أولومه للحاكم المعني. وتختتم رسالة الفرعون في العادة بالعبارة التالية: «لتعلم أن الملك بصحة جيدة كالشمس في السماء وأن قواته من مشاة وعربات قتال في وضع ممتاز».

أما البروتوكول المتبع مع الممالك القوية مثل الميتانيين والحثيين فقد كان مختلفاً، إذ خوطب الملك أو الحاكم من قبل الفرعون على أنه الأخ أو الصديق أو كلاهما. وكان يتبع العلاقات الحسنة مبادلة الهدايا الثمينة والمصاهرة، حتى أن كلاً من أمينوفيس الثالث وأبيه قد تزوج من أميرة ميتانية. وقد أرسل أمينوفيس الرابع وفداً يطلب الزواج ثانية من أميرة ميتانية وهي تادوخيا ابنة الملك توشراتا. فبعث توشراتا رسالة جوابية يخاطب الفرعون المصري فيها على أنه صهره وأخوه وعليه أن يطلب ما يريد له لقصره، وحمل الوفد المصري هدايا ثمينة تتضمن خيولاً وعربات قتال. لكن الملك الميتاني طلب ذهباً بكميات كبيرة مقابل مهر ابنته ليتمكن من بناء ضريح لوالده، ولم يرسل ابنته إلى مصر إلا بعد أن أجزل له أمينوفيس الهدايا الرقيقة. وتم تبادل مثل هذه الرسائل المقتربة بالهدايا الثمينة بين فراغة مصر وملوك الاشيا (قبرص) وحتى (الحثيين)، وتتضمن الهدايا عادة أثمن ما تنتجه بلد المرسل أو المناطق التابعة لها. فأرسل ملك الاشيا كميات من النحاس إلى مصر مقابل بضاعة من الفضة وخشب الابنوس والأواني المملوءة بزيت الزيتون والتي كانت تنتج في فلسطين وأجزاء أخرى من بلاد الشام.

وبعامة فقد كانت العلاقة بين الفراغة وحكام دويلات المدن الفلسطينية تنطلق من مصلحة النظام المصري الذي كان يحول في العادة دون قيام اتحاد أو تحالف قوي يقف في وجه الجيش المصري، وكان على كل حاكم تنفيذ أوامر الفرعون وكأنه وال لإحدى المحميات المصرية حدد له الفرعون المناطق التابعة له. وكان على الملك أو الحاكم استغلال الأرض المخصصة له وجمع الضرائب وإرسالها إلى مصر أو إنفاقها على المرافق المخصصة لها وبشكل خاص تلك المرافق المدارة من قبل المصريين أنفسهم والوحدات العسكرية المصرية، وكذلك الموانئ والمرافق الحيوية

احضروا إلى مصر بقصد تدريبهم وإعدادهم لتسلم مناصب معينة فيها بعد.

وقد تأسس في العاصمة المصرية مكتب خاص بالمراسلات يعنى بالشؤون الخارجية بشكل عام، وقد تم نقل هذا المكتب من طيبة إلى اختاتن زمن أختاتون، وكان يضم من بين موظفيه جماعة ممن يتقنون الهيروغليفية والأكادية. وأما القائمون على هذا المكتب فكانوا على علم تام بمكانة كل مملكة أو مدينة والمراسلات السابقة معها والتي كانت تحفظ في مكان خاص.

تعالج رسائل العمارنة المشار إليها بشكل عام قضايا تتصل بالعلاقة بين ملوك دويلات المدن الشامية وحكامها وبين الفراعنة المصريين من الأسرة الثامنة عشرة، وتتضمن أحياناً أخباراً مقتضبة عن الأحوال الداخلية وكذلك إشارات إلى بعض الصراعات والتناقضات داخل المدن نفسها. ولا شك في أن تبعية غالبية حكام بلاد الشام المطلقة للحكم المصري وكذلك التضحيات الكبيرة التي كان يقدمها سكان فلسطين ومنها الضرائب والمنتجات الزراعية والصناعية وأعمال السخرة الشاقة والإهانات والعقوبات الصارمة كانت تؤدي أحياناً إلى انفجار الوضع احتجاجاً على العلاقة المتناقضة بين السكان من ناحية والحكام الموالين للنظام المصري من ناحية أخرى. ونستنتج من محتويات بعض الرسائل أن الوضع قد تأزم بين حاكم هذه المدينة أو تلك مع الحكم المصري، ويبدو من بعضها أن بعض الحكام كانوا يظهرون الاحتجاج أوحى التخلي عن الحكم نتيجة هذه التناقضات أو الخلافات.

ويتضح من الرسلتين (٢٤٧ و ٢٤٨) حدوث ثورة في مدينة تعنك الواقعة إلى الغرب من جنين في مرج ابن عامر وكان من نتيجتها الإطاحة بملكها بإشداتا الذي لجأ إلى بريديا ملك مجدو (تل المتسلم حالياً) على بعد بضعة كيلومترات إلى الشمال الغربي حيث توجد حامية عسكرية مصرية. وفي الحقيقة أنه كلما ابتعدنا عن القواعد العسكرية المصرية نتعرف على المزيد من مظاهر الاحتجاج والثورات مثلما حدث في الجولان وفحل (طبقة فحل حالياً) وعشروت وغيرها من المدن الشمالية والشمالية الشرقية.

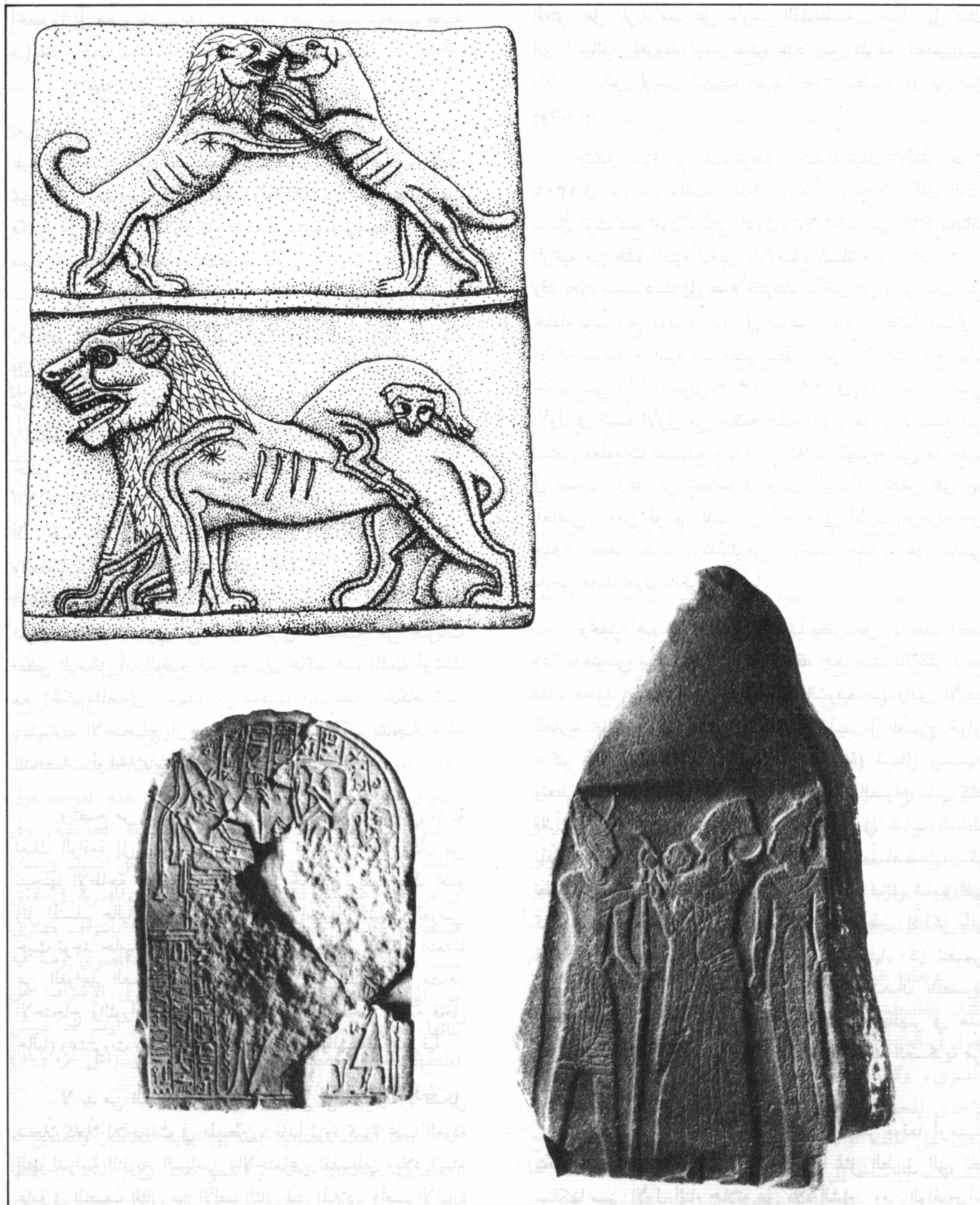
لا بد من التأكيد أنه رغم أن رسائل تل العمارنة لا تشكل سجلاً كاملاً للأحداث في فلسطين، فإنها ثروة كبيرة يجب العودة إليها لدراسة التاريخ السياسي والاجتماعي لفلسطين وبلاد الشام عامة في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، وتجب الإشارة إلى أن اكتشاف رسائل جديدة يظهر بين الحين والآخر ومن المتوقع

العثور على المزيد منها على الأرض الفلسطينية. يضاف إلى ذلك أن الرسائل المعروفة لدينا تذكر عدداً من المواقع الفلسطينية والأردنية التي لم يتم التعرف عليها على الطبيعة أو أنها غير مؤكدة بعد.

وتبدو الفترة التي تلت مرحلة العمارنة مباشرة (لغاية حوالي ١٣٠٦ ق. م) غير واضحة المعالم تاريخياً، ويقصد بذلك الفترة ما بين توت عنخ آمون وسي تي الأول، ولا يوجد حتى الآن مصادر تاريخية من هذه الفترة تتعلق بالأوضاع السائدة في بلاد الشام. وقد يعود سبب ذلك إلى عدم اكتراث الملكين أي وحور محب من خلفاء توت عنخ آمون بما يدور في المناطق التابعة للحكم المصري. إلا أنه سرعان ما استعادت مصر سيطرتها على بلاد الشام مع بداية حكم سي تي الأول (حوالي ١٣٠٣ - ١٢٩٠ ق. م). فلقد قاد سي تي الأول في السنة الأولى من حكمه حملته الأولى على بلاد الشام التي نستقي معلومات تفصيلية عنها من المسلات المصرية التي عثر عليها في بيسان، وعلى تل شهاب في وادي اليرموك وقادش على نهر العاصي، ومن قوائم المدن من أيام سي تي الأول الموجودة على جدران معبد الكرنك، وكذلك من اللوحات الجدارية على جانبي مدخل معبد آمون بالكرنك أيضاً.

وتحمل أهم مسلات بيسان نقشاً ينص على أن ملك الحمة (غالباً جنوبي بيسان حوالي ١٤ كم) قد جمع جيشاً بالاشتراك مع ملك فحل (طبقة فحل) على الحافة الشرقية من وادي الأردن لمحاربة مملكة بيسان ورحوب (على الأغلب تل الصّارم حوالي ٥ كم جنوبي بيسان) وينوعام (تل العبيدية) شمالي بيسان. وتعطي هذه المسلة إشارات واضحة على حدة الصراع الذي كان قائماً بين دويلات المدن الفلسطينية خاصة في غياب السلطة المصرية التي كانت تحدد نفوذ هذه الممالك تبعاً لمصلحتها. كما تصور لوحات معبد آمون بالكرنك معركة مع قبائل شاسو التي كان لها نفوذ واسع في جنوبي الأردن وفلسطين إذ ذكر بأنها لم تعلن الطاعة للسلطة المصرية ولم تحترم قوانينها، كما تضمنت هجوماً شنته قبائل شاسو على مدينة غزة (باكتنعان بالمصرية القديمة) ولكن الملك (سي تي الأول) هزمهم. ويظهر في هذه اللوحات أن سي تي الأول هذا قد وسع حدود مملكته العسكرية من منطقة طبرية إلى لبنان.

وتتضمن القوائم الطبوغرافية سبعة عشر موقعاً أو مدينة يتكرر ذكرها في تلك القوائم، ويظهر أنها تمثل الطريق التي كان يسلكها سي تي الأول أثناء حملاته على بلاد الشام. ومن الواضح أنه كان يمر بسيناء ويواصل على طريق البحر عبر غزة ويافا ثم يعرج



أنصاب حجرية: (أ) نصب أسد بازلتي من بيسان يعود للقرن الرابع عشر قبل الميلاد (ب) نصب البالوعة (ج) نصب يظهر ميكال اله بيسان

على مرج ابن عامر مروراً بتل المتسلم (مجدو) وبيسان والمدن المحيطة بها مثل رحوب والحمة ثم إلى وادي الأردن حيث فحل (طبقة فحل) وأحياناً كان يرسل جيشه إلى أعلى المواقع الموجودة حول وادي اليرموك ومنطقة حوران وأنه يواصل سيره من وادي الأردن إلى حاصور (تل القدح) فيتجه غرباً حتى المواقع الساحلية اللبنانية السورية، ولكن سبقي الأول لم يتوغل في عمق الأراضي الشامية الشمالية أو نحو الساحل الشمالي المتاخم للحثيين.

ونلاحظ أن النفوذ المصري على بلاد الشام أخذ يضعف منذ عهد اخناتون ويظهر أن الممالك الشمالية قد سببت متاعب كبيرة للسلطة المصرية التي أخذت تركز اهتمامها على المشاكل الداخلية وتحاول بناء علاقات طيبة مع مملكة الميتانيين التي كانت تشكل حليفاً طبيعياً للممالك والمدن الشمالية لدى صراعها مع مصر. ونستنتج من رسائل تل العمارنة أن مملكة أمورية جديدة على حدود الحثيين في شرقي الأناضول قد أخذت تؤدي دوراً بارزاً في العلاقات الشامية المصرية. ومع أن عاصمة هذه المملكة لم تعرف بعد، فإنه من الواضح أنها ترسخت في المرتفعات اللبنانية وامتد نفوذها حتى منطقة البقاع والسواحل الشمالية حيث جبيل وارواد وهناك إشارات إلى امتداد سلطانهم حتى جنوبي سوريا وشمالي فلسطين، ولضمان توسعهم هذا فقد أرادوا التحالف مع الحثيين المجاورين. لم تكن هذه العلاقات الودية بين أمورو والحثيين لتسر الحكم المصري لأنه كان يعتمد إلى حد كبير على الممالك الشمالية في صراعه مع الحثيين.

ولقد بقيت السيطرة المصرية على معظم أجزاء فلسطين قائمة حتى أثناء فترة ضعف الحكم المصري في النصف الثاني من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ولم تتجاوز فترة إهمال الفراعنة للممالك الشمالية أكثر من خمسين عاماً. ووصل الصراع مع الحثيين أوجه مع وصول رمسيس الثاني الذي استمر حكمه لمصر أكثر من ستين عاماً اعتباراً من بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وتجسد معركة قادش (على نهر العاصي) المشهورة (حوالي ١٢٨٦ ق. م) قمة الصراع بين المصريين والحثيين.

وتعطينا النقوش واللوحات المصرية وصفاً لمكان المعركة وسيرها، فقد جرت في السهل المحيط بمدينة قادش (تل النبي منده حالياً) على الجانب الغربي للعاصي وتذكر هذه الوثائق عدداً من المواقع التي مر بها الجيش المصري، بقيادة رمسيس الثاني وكان الجيش الحثي والقوات المتعددة المتحالفة معه (١٥٩) بقيادة موتللس ملك الحثيين وادعى كل جانب تحقيق نصر حاسم على الجانب الآخر. لقد تبين للحثيين أن الجيش المصري ما زال قوياً

وأدرك المصريون أن توسعهم نحو الشمال والإبقاء على المدن الشمالية في بلاد الشام أمر صعب، فحاولوا التركيز للحفاظ على جنوبي بلاد الشام ومنها فلسطين وشرقي الأردن والساحل حتى جبيل تحت سيطرتهم. وقد تخلى المصريون عن الجزء الأكبر من بلاد الشام للسلطة الحثية. يدعم هذا التقسيم عقد اتفاقية (حوالي ١٢٧٠ ق. م) بين الجانبين وصل إلينا نصها باللغتين المصرية والحثية وكذلك من رسائل رمسيس الثاني إلى حاتوسيليس الثالث (Hattusilis III) ومن الوثائق المعروفة ببرديات أناستاسي (Papyrus Anastasi). ويظهر أن الطرفين قد احترما هذه الاتفاقية وأبقيا على علاقات تجارية ودبلوماسية حسنة حتى ان رمسيس الثاني قد حال دون لجوء أحد أعداء حاتوسيليس الثالث إلى مصر. كما رفض الحثيون مساعدة عسكرية من كاداشمن - تورجو (Kadašman-Turgu) ملك بابل الكاشي الذي قطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر التي بدأها سابقاً كداشمن - اليليز (Kadašman-Ellils).

كما أن زواج رمسيس الثاني في السنة ٣٤ من حكمه (حوالي ١٢٥٦ ق. م) من ابنة حاتوسيليس وظهورها مع الفرعون دليل آخر على تحسين العلاقات بين مصر وحثي (أي الحثيين)، رغم ما شاب هذه العلاقات من تعكير وخلافات. وتبع هذا التصاهر تبادل الزيارات والهدايا بين كبار المسؤولين في القصرين ومن المحتمل أن يكون حاتوسيليس نفسه قد زار مصر برفقة ابنته. ويستنتج من مسألة أخرى لرمسيس الثاني بأن هذا الفرعون قد تزوج من أميرة حثية أخرى وتم تحميلها بالغانم التي كسبها الحثيون من الممالك المجاورة لهم، فضلاً عن قطعان الخيول والأبقار والأغنام. وكان من بين نساء الفرعون بابليات وسوريات ونساء من جنسيات أخرى.

كما أذت العلاقات الحسنة بين مصر وحثي إلى علاقات ماثلة مع الممالك الشامية الشمالية ومن أبرزها أوغاريت (رأس شمرا) التي أقام ملكها نقمادو الثالث اتصالات دبلوماسية ناجحة مع الطرفين. إلا أننا نكاد لا نعرف شيئاً عن الأوضاع في فلسطين في النصف الثاني من فترة حكم رمسيس الثاني وقد يعود السبب في ذلك إلى عدم قيام هذا الفرعون بحملات جديدة على بلاد الشام وهو الأمر الذي حال دون تدوين الأحداث الجارية فيها. ولكن غالبية الباحثين يميلون إلى الاعتقاد بأن السيطرة المصرية استمرت على الجزء الأكبر من سوريا الجنوبية حتى موت رمسيس الثاني الذي خلفه مرنبتاح.

ويظهر أن نهاية الامبراطورية الحثية تزامنت مع السنوات

الأخيرة من حكم مرنبتاح الذي أرسل مساعدة غذائية إلى الأناضول التي اجتاحتها مجاعة في أواخر الحكم الحثي. وهناك ما يشير إلى أن مرنبتاح هذا قد قام بحملة على فلسطين وقدم دعماً عسكرياً لمملكة أوغاريت أيام ملكها أمورابي ليدافع عن مملكته الساحلية أمام هجمات شعوب البحر. والمعلومات البسيطة المتوافرة لدينا نستقيها من بعض النصوص البدوية^(١٦٠) ومسلة مرنبتاح التي تعود للسنة الخامسة من حكمه حيث يخلد فيها انتصاراته في ليبيا وفلسطين، ويبدو أن حملته هذه قد شملت مواقع في الجزء الشمالي من بلاد الشام. كما يرد فيها أسماء بعض المدن المتباعدة مثل عسقلان وجيزر ونيوعام في غور الأردن. كما يرد فيها كلمة «إسرائيل» التي استخلص منها الإسرائيليون والتوراتيون وجوداً إسرائيلياً في القرن الثالث عشر ق. م. على الأرض الفلسطينية^(١٦١).

المواقع:

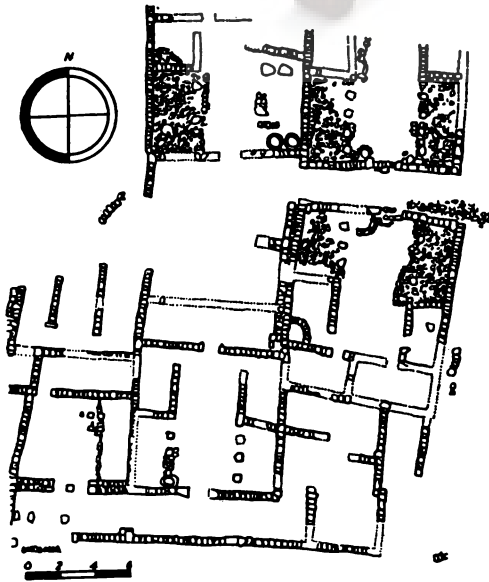
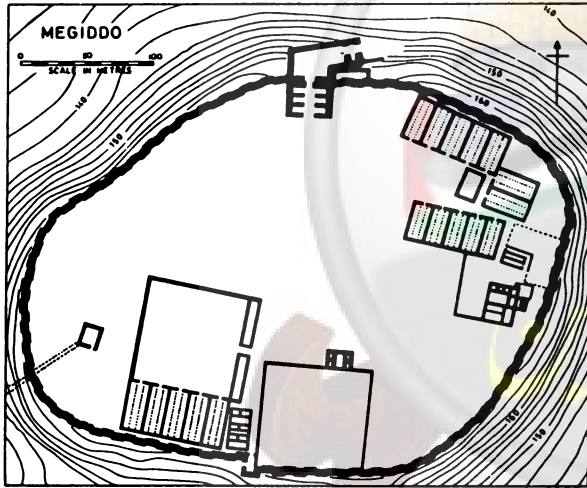
لقد أشرنا إلى أن غالبية مواقع العصر البرونزي الوسيط قد أعيد سكنها في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد دون أن تشهد المنطقة أي تغير حاسم في الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وأن التغير الرئيسي الذي طرأ على المنطقة مع نهاية العصر البرونزي الأخير هو في الحقيقة اقتصادي ثم سياسي اجتماعي.

تزودنا الحفريات الأثرية بمكتشفات كثيرة ومتنوعة توضح لنا الصورة التي نأخذها عن فلسطين، ورغم أهمية المصادر التاريخية المكتوبة التي نوهنا بها سابقاً، تبقى المادة الأثرية هي الأساس لفهم الواقع العمراني والعلاقات الاجتماعية والدينية والتجارية وغيرها. كما يجب التنويه بأن معلوماتنا عن بعض المواقع ما زالت ذات طبيعة تاريخية بسبب عدم إجراء حفريات فيها أو لأنه لم يتم تحديد مكان وجودها.

وتكاد تكون الفترة التي كانت فيها فلسطين مرتبطة بالحكم المصري أفضل الفترات بما يتعلق والربط بين المصادر التاريخية والمادة الأثرية منذ مطلع التاريخ حتى العهد الهلنستي.

ومن المواقع التي يتوجب الإشارة إليها هنا هي تلك المواقع التي أجريت فيها أعمال تنقيب وتم نشر نتائجها بشكل يسمح بفهم واقع هذا العصر. وقد تم التعرف على غالبية هذه المواقع في رسائل تل العمارنة أو من ورود ذكرها في القوائم الطبوغرافية أو في سجلات الحملات العسكرية المصرية.

المواقع الساحلية أو القريبة من الساحل: عكا وتل أبو حوام، يافا، يفتة يم، اسدود، عسقلان، غزة، تل العجول ورافيا، رأس العين.



مخططات لكل من تل المتسلم الطبقة ٣ وتل الفارعة الطبقة ٣ من العصر الحديدي

ولقد كانت فلسطين على اتصال مباشر مع الجزر الايحية ومناطق أخرى في شرقي البحر الأبيض المتوسط، وأوضح الشواهد على العلاقات التجارية والفنية وجود أعداد كبيرة من الأواني الفخارية المستوردة في غالبية مواقع العصر البرونزي الأخير من مختلف مناطق بلاد الشام. ويبدو واضحاً أن صانعي الفخار الفلسطينيين قد تأثروا بأسلوب الفخار المايسيني والزخارف الملونة عليه فقلدوا صناعتها مستخدمين الصلصال المحلي.

ونستنتج من انتشار المدن والكهوف والحصون ازدهار الحياة الاقتصادية في فلسطين خلال معظم الألف الثاني قبل الميلاد والذي يعزى إلى استغلال الأرض الزراعية وتطوير التجارة مع مصر والجزر الايحية وبشكل خاص مع مدن شمالي سوريا. ويظهر أن استخراج النحاس من وادي عربة وجنوبي فلسطين وتصنيعه وخلطه بمادة القصدير لإنتاج مادة البرونز قد أسهمت في تنشيط الاقتصاد المحلي والحركة التجارية مع المناطق المجاورة. وطبيعة المكتشفات من هذه الفترة تجعلنا نتصور فئات المجتمع الفلسطيني، فغالباً ما كان لكل دويلة أو لمجموعة دويلات أحياناً حاكم يتبوأ المركز السياسي. ورغم ما يكتنف المصادر المتيسرة لدينا من غموض، إلا أنه من الواضح أن مجموعة كبيرة من الحكام قد وجدت في آن واحد، ويستنتج من طبيعة توزيع المدن وحجمها وكذلك من الوثائق التاريخية المتيسرة لدينا أن بعض هؤلاء الحكام كانوا يتمتعون بنفوذ سياسي أكثر من غيرهم، ومن المحتمل أنهم كانوا يسعون لضم دويلات مجاورة تحت نفوذهم. وقد تكون المواقع المشار إليها التي تضم قصوراً ومعابد من بين المراكز الهامة ذات النفوذ السياسي والديني. ويفترض توزيع هذه المدن وتقرارها عقد اتفاقات وتحالفات فيما بينها خاصة في ما يتعلق بتوزيع الأراضي أولصد هجوم خارجي. وتبقى هذه المباني العامة كالقصور والمعابد فقيرة في مقتنياتها ومرافقها، خاصة إذا ما قورنت بأخرى معاصرة لها تم الكشف عنها في شمالي سوريا وبلاد ما بين النهرين ومصر.

وفضلاً عن فئات التجار والفلاحين، وجدت مجموعات من الحرفيين أكثر من أي وقت مضى، من أمثال البنائين والحجارين وصانعي الطوب، ومن صانعي الخزف الذي أصبح ينتج على نطاق واسع وفي مراكز صناعية كبيرة بدليل إنتاج أعداد كبيرة من الأواني بمواصفات فنية متقنة ومتجانسة لأغراض تتعلق بالإنتاج المحلي والاستعمال المنزلي وللتجارة. وتدلنا بعض هذه الأواني، خاصة تلك التي تحمل زخارف متنوعة أو التي صنعت تقليداً لأشكال حيوانية أو آدمية، بأن صانعيها غالباً ما اعتبروا من فئة الفنانين. ومن الحرف الرئيسية الأخرى صناعة الأسلحة المعدنية

مواقع مرج ابن عامر: تل المتسلم، تل تنك، ويسان.

المواقع الجبلية: تل بلاطة، بيتين، القدس، تل أبو شوشة، عين شمس، تل الشيخ أحمد العربي (جت؟)، تل الدوير، تل الحسي، تل بيت مرسيم، تل حمة، تل الفارعة الجنوبي.

مواقع غور الأردن: أريحا، طبقة فحل، السعيدية، تل المزار، تل دير علا، كتارة السمرة.

مواقع شرقي الأردن: قويلبة، تل إربد، ظهر المدينة، أم الدنانير في البقعة، عمان، سحاب.

وقد تبين من هذه المواقع أن مكانة المدينة السياسية أخذت تنضج أكثر من أي وقت مضى لتصبح أساساً للحكم السياسي ضمن ما يسمى بدويلات المدن. وقد تم تخطيط المدينة وبنائها بما ينسجم مع هذا المفهوم من حيث المرافق التحصينية والسياسية والدينية، إذ غالباً ما تم تسوير هذه المدن وتضمينها مرافق عامة، كالقصور والمعابد وأفضل هذه المرافق توثيقاً هي المعابد التي تم الكشف عنها في بيسان وتل الدوير وتل الفارعة وتل القدح وتل المتسلم وتل دير علا. كما عثر على بعض القصور المتواضعة وهي أقرب إلى البيوت الكبيرة في كل من بيسان وتل بلاطة وتل الفارعة.

وكان يتبع كل مدينة مجموعة من القرى الزراعية، علماً بأن هذه القرى كانت تضم مرافق أخرى صناعية لدعم حياة المدينة.

في التاريخ الاجتماعي الاقتصادي في العصر البرونزي الأخير: حيثما وجدت النصوص المتعلقة بأي جزء من بلاد الشام يمكن استعمالها والاستفادة منها في أجزاء أخرى على اعتبار أن طبيعة المجتمع شبه متجانسة إلى حد كبير، فالتاريخ الاجتماعي الاقتصادي واحد تقريباً في غالبية بلاد الشام، وعلى الدارس أن يأخذ بعين الاعتبار الفوارق المحلية من حيث أنماط الحياة سواء أكانت ساحلية أم جبلية أم غورية أم صحراوية، والمقصود هنا تأثير الظروف البيئية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية. ومن الواضح أن الجزء الشمالي من سوريا كان متأثراً بالأوضاع السائدة في المناطق المجاورة وبشكل رئيسي ما بين النهرين والأناضول، وشمل هذا التأثير الأنظمة والتشريعات وكذلك نظام الكتابة والأدب وغير ذلك. ونجد في الجانب الآخر متانة العلاقات المصرية كافة، ليس فقط مع فلسطين والساحل السوري الفلسطيني وإنما تعدتها إلى المنطقة الممتدة شرقي نهر الأردن. وتعكس هذه العلاقات القوية بين مصر وبلاد الشام آثارها على الفنون والأدوات التي ساد استعمالها بشكل خاص في مدن فلسطين وقراها لكونها على اتصال جغرافي وسياسي مباشر مع الحضارة المصرية.

بأخرى ظهرت في كامد اللوز في البقاع اللبناني وجبيل والبالوعة جنوبي وادي الموجب. وتندرج تحت هذه المجموعة كتابات سيناء التي ظهرت بالقرب من سراييط الخادم. ويصعب على المختصين حتى الآن تأريخ هذه الكتابات بالدقة المتوخاة، إلا أنها غالباً ما تقع في الفترة ما بين القرن السابع عشر والقرن الثالث عشر قبل الميلاد.

وتبقى أبجدية رأس شمرا (أوغاريت) على الساحل

السوري أوضح الأمثلة لتطور الأبجدية المكونة من ثلاثين حرفاً بالخط المسماري تم حفرها على لوحة طينية. ولقد تفرع عن هذه المجموعات كتابات عرفت بالكنعانية القديمة التي استبدل فيها الخط المسماري بخط ساميّ شمالي غربي وهو المعروف بالخط الكنعاني الذي يمكن تأريخ بداياته في القرنين الرابع عشر - الثالث عشر قبل الميلاد. وقد انتقلت هذه الأبجدية عن طريق الفينيقيين إلى اليونان ومن ثم إلى أوروبا ومناطق أخرى من العالم.

الفصل الخامس

عصر الممالك: العصر الحديدي (حوالي ١٢٠٠ - ٥٥٠ ق. م)

ويقسم العصر الحديدي في العادة إلى ثلاثة أقسام رئيسية اعتماداً على تفسير علماء اللاهوت للتوراة أو المتأثرين بهذه التفسيرات من الأثريين المعنيين بالآثار الفلسطينية، وهم في الحقيقة الأغلبية الساحقة. وقد جاء هؤلاء المفسرون بشرح مفصل للأحداث مستمد من أسفار التوراة المتتابعة زمنياً، ابتداء من سفر القضاة الذي يعنى باستقرار ما يسمى بالقبائل العبرية في فلسطين، ويتبع ذلك سفر صموئيل الأول والثاني وسفر الملوك الأول والثاني التي تتعلق بما يسمى بالملكة المتحدة أيام شاول وداود وسليمان، ومن ثم انفصال هذه المملكة إلى مملكتين: شمالية (مملكة إسرائيل) وجنوبية (مملكة يهوذا) وما تتضمنه من صراع بين هاتين المملكتين من الداخل وممالك المؤابيين والعمونيين في الضفة الشرقية من الأردن والممالك الآرامية الأخرى في شمالي سوريا^(١٦٢).

ولا شك بأن التوراة مصدر من المصادر التاريخية للألف الأول ق. م في فلسطين، رغم أن مؤرخيها أو مؤلفيها لم يزامنوا الأحداث المسرودة فيها، كما أن هؤلاء المؤلفين غالباً ما تبعوا المملكة الجنوبية (مملكة يهوذا) وكانوا متحيزين لها ضد مملكة الشمال والممالك المجاورة، أي أنها كتبت من وجهة نظر معينة. واعتماد المؤرخين المعاصرين على أسفار العهد القديم دون غيرها من شأنه الخروج بتاريخ مشوه ومبتور لفلسطين وغيرها من مناطق بلاد الشام. والسؤال الذي يطرح نفسه: متى دونت أسفار التوراة هذه؟ وما هي المصادر التي اعتمد عليها مؤرخوها في ذلك الوقت؟ وهناك شبه إجماع على أن تدوين هذه الكتب التاريخية قد جاء بعد القرن السابع ق. م. وهناك الناقدون من المؤرخين المعاصرين (رغم قلة عددهم) وهم في وضع أفضل من مؤرخي التوراة القدامى الذين لم يتعاملوا مع الوثائق الأصلية مثل رسائل

تل العمارنة وقوائم وتقارير الفراعنة المصريين منذ أيام تحتمس الثالث (القرن الخامس عشر ق. م) ومن جاء من بعده حتى أواخر الألف الثاني ق. م، ويظهر أن هؤلاء كانوا بعيدين عن الوثائق الآشورية خلال القرن التاسع حتى القرن السابع ق. م عندما تحولت تبعية ممالك بلاد الشام للامبراطورية الآشورية. يضاف إلى ذلك أنه لدى المؤرخين الحاليين مادة حضارية ضخمة جاءت نتيجة للأعمال الميدانية من تنقيب ومسح أثري، والتعامل مع هذه المادة الحضارية بموضوعة يثري معلومات المؤرخ المعاصر دونما أدنى شك، لكنه وللأسف الشديد كانت هذه المادة وما زالت إلى حد كبير حكرًا على التوراتيين التقليديين أو من يسير في فلكهم من الأثريين، فهم في الغالب مسؤولون عن استخراجها من مواقعها وتصنيفها زمنياً و «إثنيًا» بشكل ينسجم مع منطلقاتهم التوراتية، وكذلك مع الأهداف السياسية التي برزت بشكل واضح في العقود القليلة الأخيرة.

رغم قلة المراجع المكتوبة في أواخر الألف الثاني ق. م، إلا أن المصادر المتوافرة لدينا من أثرية وغيرها تشير إلى أن فلسطين كانت مسرحاً لعدد من الصراعات الداخلية وكذلك بين القوى الكبرى في مصر وبلاد ما بين النهرين وآسيا الصغرى التي أخذت تسعى للسيطرة على هذه المنطقة الجغرافية الحيوية. وحين كانت تمر هذه القوى بحالات ضعف كان لفلسطين وزن سياسي. ويظهر أن حالة الضعف هذه قد وصلت ذروتها حوالي القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق. م، وهو ما سهّل على قوى جديدة الدخول إلى المسرح السياسي، وأهم هذه القوى الجديدة ما يعرف الآن بشعوب البحر التي لم تشكل بذاتها قوى متجانسة أو أنها تضم بالضرورة مجموعات مترابطة. وقد سادت غالبية هذه المجموعات في الجزر الإيجية عن طريق البحر. والجدير بالذكر أنه

ما كانوا من التوراتيين أو المتأثرين بالدراسات التوراتية التقليدية. والحقيقة أن المخلفات الحضارية لفلسطين في نهاية الألف الثاني ق. م - بما في ذلك الساحل الفلسطيني - تعتبر استمراراً لحضارة العصر البرونزي الأخير، رغم العناصر الجديدة البشرية والاجتماعية والاقتصادية (صناعية وتجارية) التي دخلت على العصر الحديدي الأول في فلسطين.

ولقد ورد ذكر الفلسطينيين في عدد من المصادر المصرية وخاصة على اللوحات الجدارية لمدينة هابو من أيام رمسيس الثالث، وسماههم المصريون بلس (Plst). كما ورد ذكرهم في السجلات الآشورية في صيغتين متقاربتين بلسو (Pilistu) وبلستو (Palastu). رغم أنه يجب عدم الخلط بين الشعب الفلسطيني بمقوماته التاريخية والحضارية وكذلك من حيث انتماءه القومي من ناحية والفلسطينيين الذين يشار إليهم منذ بداية العصر الحديدي من ناحية أخرى إلا أن تسمية فلسطين قد جاءت من تلك المشار إليها في المصادر المصرية والرافدية.

اعتبر الفلسطينيون أنفسهم خلفاء شرعيين للسلطة المصرية على فلسطين وسيطروا على معظم أجزائها، ولكنه غالباً ما يشار إليهم على أنهم سكان الساحل الفلسطيني حيث أسسوا عدداً من المدن الرئيسية مثل غزة وعسقلان واسدود وعقير وتل الصافي، ومن الصعب تثبيت حدودهم الشمالية، إلا أنه عثر في الكثير من المواقع الشمالية على مكتشفات مميزة نسبها المنقبون وغيرهم من الباحثين إلى الفلسطينيين.

ومن أهم المكتشفات التي تنسب عادة للفلسطينيين فخار ملون بأشكال هندسية وطيور وتظهر أيضاً أشكال حلزونية ومجموعات من أنصاف دوائر متشابكة، أما أشكال الأواني نفسها فمشابهة للأواني التي عثر عليها في جزيرتي رودوس وقبرص ولكنها غير مطابقة لها ومن الصعب اعتبارها مستوردة، بل على العكس فإن طينة الفخار محلية وصانعيها محليون أيضاً رغم تأثرهم بصناعة الفخار المعروفة في الجزر الإيغية^(١٦٣). وينسب إليهم أيضاً توابيت فخارية على شكل إنسان عثر عليها في عدد من المواقع الفلسطينية ولم يقتصر وجودها على المواقع الساحلية، وإنما تعدتها لتظهر في مواقع مثل تل الفارعة الجنوبي وتل الدوير وبيسان وسحاب وذيابان وجبل القصور في عمان. كما كشف عن مثل هذه التوابيت في مصر ومنها تل اليهودية ومنطقة النوبة. وينطبق هذا الانتشار الواسع للتوابيت الفخارية على الأواني الفخارية الملونة أيضاً التي وجدت في عمق الأرض الفلسطينية مثل بيسان ومواقع أخرى شرقي الأردن.

يصعب تعريف هذه المجموعات التي جاءت إلى فلسطين من الناحية الإثنية أو حتى من حيث تكوينها السياسي. ويبدو أنها وضعت أقدامها أول مرة على السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط وأصبحت تشكل خطراً مباشراً على الولايات والممالك التابعة للإمبراطورية الحثية مثل ألشيا (قبرص) وأوغاريت (رأس شمرا). كما لم تسلم حاتوشا عاصمة الحثيين من هجمات شعوب البحر، وخاصة في فترات حكم ملوكهم توتخاليا الرابع وأرنوناندا الثالث وشوبيليوما الذين حكموا ما بين ١٢٥٠ - ١٢٠٠ ق. م. ولم تكن مصر بعيدة عن هجمات شعوب البحر وخاصة أيام حكم الفرعون مرتبات ابن رمسيس الثاني في الربع الأخير من القرن الثالث عشر ق. م، وتمكن رمسيس الثالث (١١٨٤ - ١١٥٣ ق. م) من تحقيق نصر كبير عليها في معركة بحرية صور تفصيلها على جدران المعبد الجنائزي في مدينة هابو. بذلك تمكن رمسيس الثالث من الإبقاء على شعوب البحر بعيدة عن الأراضي المصرية وبعض أجزاء فلسطين التابعة لهم، الأمر الذي لم يدم طويلاً إذ فقدت مصر سيطرتها على فلسطين ومناطق بلاد الشام الأخرى مع منتصف القرن الثاني عشر ق. م.

ولقد تكونت في هذه الظروف السياسية المعقدة مراكز قوى محلية من كنعانية وآرامية غالباً ما امتزجت مع فئات أو مجموعات مهاجرة كالتى يطلق عليها شعوب البحر. ورغم ما دخل على هذه المرحلة من تأثيرات خارجية، فإن الاستمرارية الحضارية للسكان المحليين هي التي تبقى مميزة للعصر الحديدي الأول أو نهاية الألف الثاني ق. م. وهناك الكثيرون من الباحثين والتوراتيين الذين يخالفون هذا الرأي ويجعلون عناصر جديدة صاحبة السيطرة على المنطقة ويعيدون إليها كامل المخلفات الحضارية لهذه الفترة. ولهذا ستتناول الأسطر التالية أهم الممالك والقوى السياسية التي تكونت في فلسطين أو كان لها تأثير مباشر عليها، وذلك بما يسمح به إطار هذه الدراسة وما يتيسر من معلومات ومصادر تتعلق بهذا الموضوع.

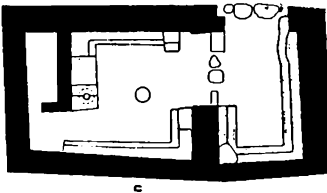
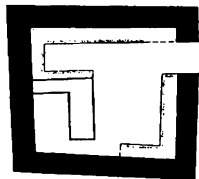
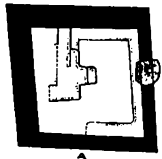
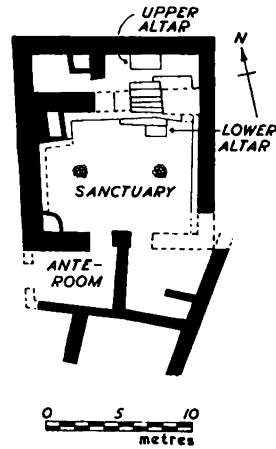
(أ) الفلسطينيون وسكان فلسطين في نهاية الألف الثاني ق. م:
يختلف العاملون في الآثار الفلسطينية وتاريخها حول أصل الفلسطينيين، فمنهم من يعتبرهم مجموعة من شعوب البحر، واعتبرهم آخرون على أنهم من سكان فلسطين أصلاً وامتزجوا بمجموعات شعوب البحر الذين أثروا في حضارتهم وأدخلوا عليها مواد وعادات جديدة أصبحت متميزة في الكثير من مواقع الساحل الفلسطيني الجنوبية، وما زال النقاش محتدماً حول موطنهم الأصلي، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن أصحاب الرأي الأول غالباً

ويعود أقدم التوابيت التي ظهرت في فلسطين ومنها تلك التي وجدت في بيسان ودير البلح إلى العصر البرونزي الأخير (حوالي القرن الثالث عشر ق.م) ويعود بعضها إلى ما بعد ذلك ولكنها لا تتعدى في الغالب مرحلة العصر الحديدي الأول أو القرن العاشر ق.م وقد يستثنى من ذلك بعض الأمثلة التي عثر عليها في عمان والتي أعيد تأريخها إلى ما بعد ذلك بقليل. فهذه التوابيت إما أنها تسبق الفلسطينيين أو أنها مزمنة لوجودهم، وهو ما يدعو إلى الاعتقاد بأن وجودهم يعود للقرن الثالث عشر ق.م، مع العلم بأن أقدم وجود لهم يعيده غالبية الباحثين إلى القرن الثاني عشر ق.م.

بقي أن نذكر بأن عادة الدفن في هذه التوابيت بعيدة عن عادات الدفن التي كانت سائدة في فلسطين في الألف الثاني ق.م وما قبل ذلك، وغالباً ما كانت متأثرة بطقوس الدفن التي عرفت في مصر. ويعود ربط دفن الموتى بتوابيت فخارية بشعوب البحر نتيجة لمقارنة أشكال الوجوه الأدمية على أغطية التوابيت بأخرى إيجية. وأغلب الظن أن غالبية التوابيت التي عثر عليها حتى الآن، وخاصة تلك التي كشف عنها في بيسان وتل الفارعة ودير البلح مرتبط إلى حد كبير بوجود حامية مصرية أو أكثر في هذه المواقع. ومن المحتمل أن يكون بعض السكان المحليين قد تأثروا بطقوس الدفن المصرية، إلا أن الغالبية العظمى بقيت تدفن موتاهم في قبور مقطوعة في الصخر أو في التراب تبعاً لطبيعة حقول المدافن التي تم اختيارها من قبل السكان. كما تتضمن عادات الدفن وضع الموتى في جرار فخارية أو داخل قبور مبنية من الطوب. وهناك أمثلة على حرق الموتى قبل دفنهم. فأمثلة الدفن في غالبها محلية ومستمدة من التقليد الكنعاني المنتشر ابتداء من الألف الثالث وحتى الألف الأول ق.م.

وظهرت التأثيرات الكنعانية المحلية على مخلفات الفلسطينيين من خلال أسماء آلهتهم أمثال داجون وعشتروت، كما أن العمارة من مباني عامة ومنازل مستمدة من التقليد المعماري للعصرين البرونزي الوسيط والأخير. وتتألف منازل كثيرة من غرفتين إلى أربع غرف، وهي مبنية من الحجارة أو الطوب الطيني أو كليهما بحيث تتكون أساسات البيوت من الحجارة التي يعلوها مداميك من الطوب. ويحيط بعدد من المدن الرئيسية (مثل تل بيت مرسيم واسدود) أسوار مزدوجة ذات طابع دفاعي. واستمر بناء هذه الأسوار الدفاعية طوال الألف الثاني ق.م وحتى حوالي القرن السابع ق.م.

والحياة الدينية عند سكان الساحل الفلسطيني كنعانية



خططات لمعابد من العصر الحديدي:

(أ) معبد بيسان الطبقة V

(ب) معابد تل القصيلة

من المحتمل أن يكون قد سكن فلسطين في القرون الثلاثة الأخيرة للألف الثالث ق. م مجموعات بشرية مختلفة إضافة إلى غالبية السكان الكنعانيين، إلا أنه من الصعب للغاية التعرف على هذه المجموعات من المصادر التاريخية المتوافرة لدينا، وأنها لصعوبة أكبر وخطأ منهجي كبير محاولة نسب مادة حضارية لمجموعة بشرية دون غيرها، خاصة وأن انتشارها يغطي كامل الأرض الفلسطينية ويتعداها إلى مناطق أخرى في الشمال والشرق. وقع في مثل هذا الخطأ المنهجي الكثيرون من الباحثين التوراتيين ونسبوا مجمل الحضارة المادية للعصر الحديدي المبكر إلى القبائل العبرانية وأسموها (إسرائيلي ١) اعتماداً على النصوص التوراتية وما يمكن أن ينسجم معها من تفسيرات لنتائج المسوحات والتقييات الأثرية.

وفي الحقيقة كانت غالبية مواقع العصر الحديدي الأول الرئيسية مأهولة بالسكان في المراحل البرونزية السابقة رغم وجود عدد من المواقع التي تم تأسيسها في العصر الحديدي لأول مرة.

واختلفت مخططات المواقع السابقة بعض الشيء مع أنه يظهر في بعض المواقع إعادة استعمال الأساسات التي بقيت من العصر البرونزي الأخير. وبشكل عام فقد كانت مباني العصر البرونزي المتوسط والأخير تخضع للتنظيم، بينما نجد مواقع العصر الحديدي الأول أقل عدداً وتنظيماً ولا تتبع المدن مخططات متجانسة. وهناك بعض المواقع التي يحيط بها سور مزدوج - عبارة عن جدارين متوازيين بينهما تجويف ويوصل بينهما أحياناً جدران عرضية - ظهرت في تل القدح وتل قصيلة واسدود وتل الفول وتل الجزيري وتل بيت مرسيم وعراد وغيرها. ويتضمن العديد من هذه المواقع حصوناً دفاعية كتلك التي كشف عنها في تل الفول وتل القدح وخربة مشاش وتل القصبة وتل زرور.

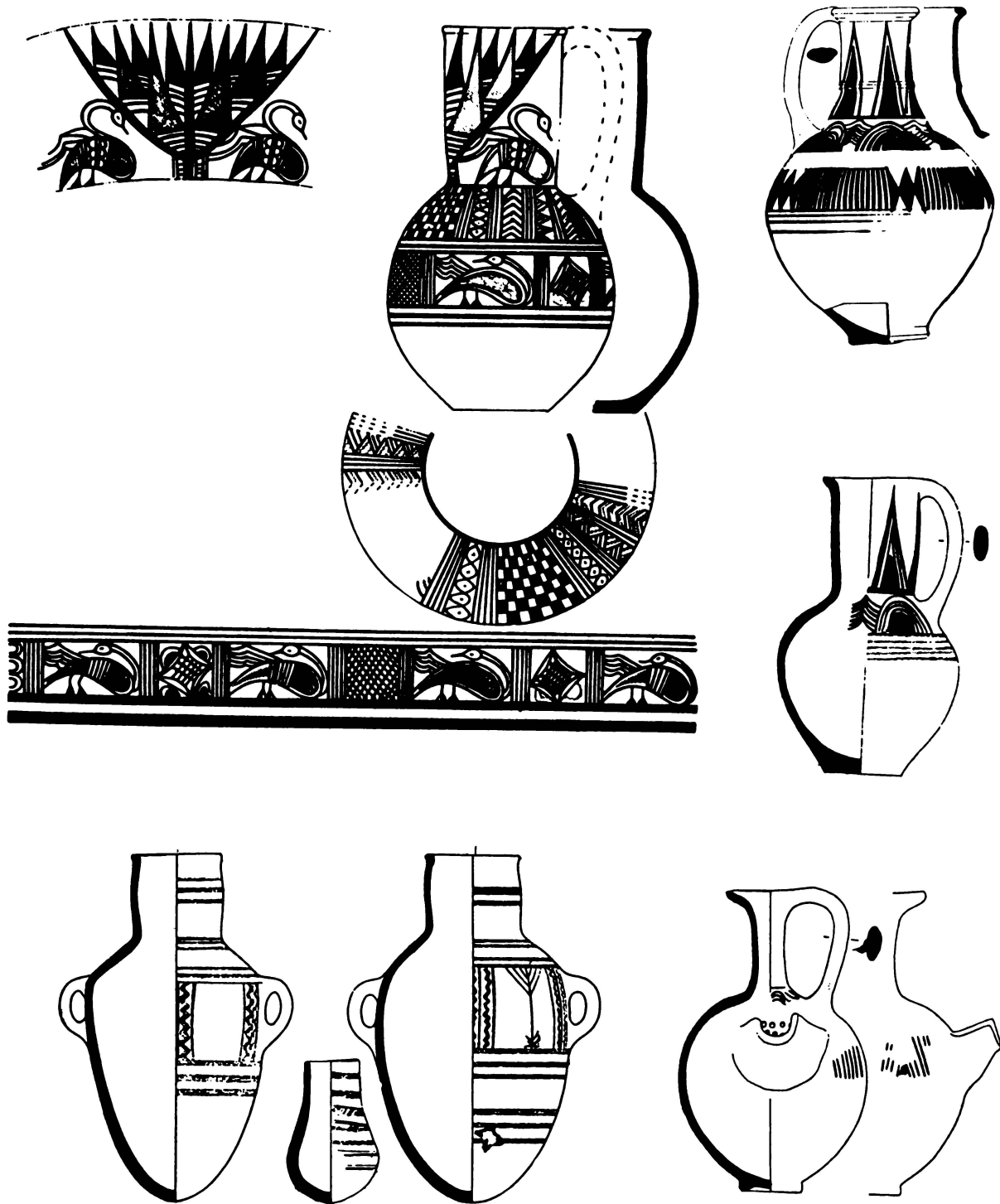
أما المباني العامة التي كشف عنها حتى الآن فمحدودة للغاية وأوضحها معبد تل قصيلة الذي أشير إليه، وكذلك معبد بيسان (الطبقتان الخامسة والسادسة) حيث لا يزال التأثير المصري واضحاً من خلال التفاصيل المعمارية والكتابات الهيروغليفية التي تتضمن تعيين رمسيس الثالث في بداية القرن الثاني عشر ق. م لحاكم أو قائد عسكري اسمه رمسيس أوسر - خيش. ووجدت داخل المعبد مكتشفات دينية متنوعة بالأسلوبين المحلي والمصري وبعضها تقليد للصناعة المصرية.

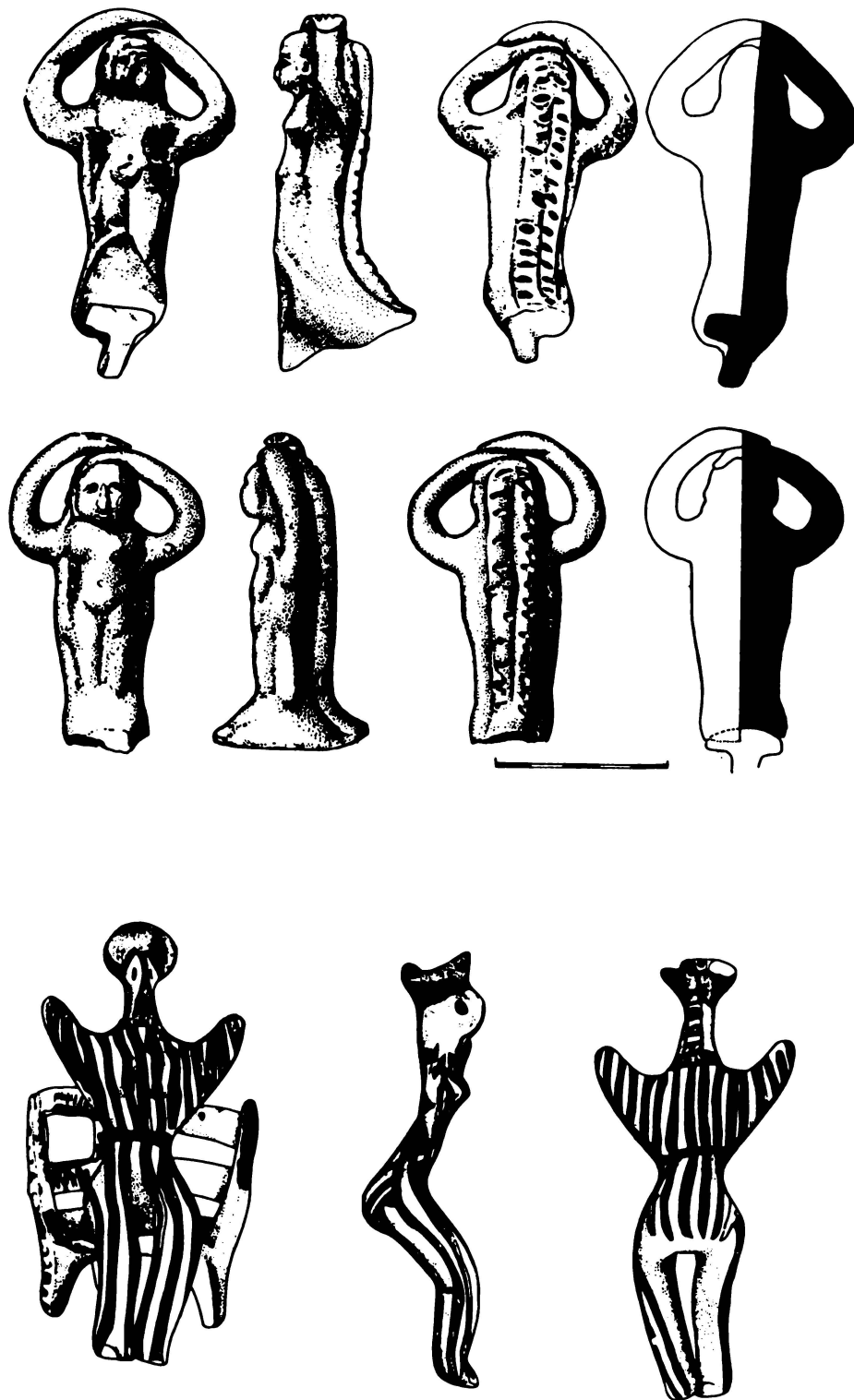
تطورت البيوت السكنية في العصر الحديدي وأخذت طابعاً مميزاً طوال مراحل هذا العصر في كثير من المواقع، فقد تم

الأصل، وكذلك المباني الدينية وأهمها سلسلة المعابد المتعاقبة في تل القصيلة التي أنشئت على غرار المعابد الكنعانية مع ما يظهر عليها من تأثيرات مصرية وإيجية. ويبدو أن هذا المعبد قد شيد مع نهاية القرن الثالث عشر ق. م واستمر استعماله فترة تزيد على مائتي عام، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن هذا المعبد قد تعرض للدمار عدة مرات وكان يعاد بناؤه في كل مرة.

القاعدة الأساسية للمعبد مربعة الشكل تقريباً وتبلغ مساحته حوالي ٤٥ م^٢ ومدخله من الناحية الشرقية له منصة تقع في الجزء الغربي، ويحيط بالأجزاء المتبقية من الداخل مقاعد بعرض حوالي ٤٠ سم مقصورة بالطين. أما أرضية المعبد فمكونة من الجير أو الحور المرصوص. ويتصل بالمعبد من الناحية الشرقية ساحة فسيحة مساحتها حوالي ٣٠٠ م^٢ (١٦٤).

يصعب على الباحث التفريق بين ما يمكن نسبته إلى المجموعات البشرية التي سكنت فلسطين في أواخر الألف الثاني ق. م فوجود هذا الصنف من الفخار أوداك في منطقة معينة لا يدل بالضرورة على سكنى هذه المنطقة من مجموعة إثنية مختلفة، ولكنها غالباً ما تعني أن هذه المنطقة وقعت تحت تأثيرات خارجية سواء أكان عن طريق التجارة أو تنقل مجموعات حرفية، أدخلت هذه الصناعة أو أصبحت تقلدها. ويبالغ الأثريون والمؤرخون ومنهم التوراتيون بالحديث عن الهجرات في هذه المرحلة، ولا يركزون على التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عايشها وحمل لواءها سكان فلسطين الأصليون أو من عرفوا بالكنعانيين، ومن هذه التحولات على سبيل المثال استقرار القبائل التي كانت تنتقل في الصحراء الشرقية وبادية الشام وجنوبي فلسطين. وتخفض عن ذلك تأسيس الكثير من الممالك التي أدت دوراً رئيسياً لبضع مئات من السنين منذ القرن الثالث عشر ق. م، وحتى القرن السادس ق. م. من هذه الممالك ممالك أسسها العمونيون والمؤابيون والأدوميون والميديانيون والعبرانيون وغيرهم. لقد فرضت على القاريء العادي والكثيرين من الدارسين معلومات متحيزة عن هذه الممالك مصدرها التوراة والأسلوب الذي فسرت به، لم يكن هذا كله من نتاج علماء اللاهوت ودارسي التوراة وإنما ترتبط هذه الحملة المنظمة بالأهداف السياسية للحركة الصهيونية والكيان الإسرائيلي الذي أفرزته هذه الحركة. نتيجة لذلك لم يبرز الدور الذي أدته القوى البشرية المحلية والكيانات السياسية التي تمخضت عنها وانتزعت منهم الإنجازات الحضارية لتنسب إلى غيرهم وهم القبائل العبرانية والدولة الإسرائيلية القديمة التي تمخضت عنها.





مختلفة من الأردن وفلسطين تخرج عن إطار الخارطة الجغرافية لسكان العصر الحديدي الأول التي رسمها التوراتيون ومن يسير في فلهم. لقد تبين أيضاً في الدراسة المشار إليها أنه تم إنتاج هذا النوع من الجرار في مراكز صناعية رئيسية وكان لا بد من إنتاجها بمواصفات فنية محددة لتنسجم وحاجة الناس إليها، خاصة إذا علمنا أن أعداداً كبيرة من هذه الأواني الفخارية متجانسة في الحجم والشكل والتصنيع. والغريب في الأمر أن جميع المواقع التي وجدت فيها مثل هذه الجرة ذات الطوق وصفت بأنها إسرائيلية قديمة (Early Israelite) وتكاد تكون في كثير من الحالات المؤشر الوحيد لهذا التعريف^(١٦٦).

لا يعني الرفض الحاسم لأسلوب البحث لدى التوراتيين والأثرين الإسرائيليين نكران الوجود التاريخي للدولة الإسرائيلية القديمة وإنما المقصود أن لا ينسب إليها إلا ما يمكن إثباته من خلال منهج علمي سليم. كما يتضمن هذا الرفض أيضاً تحذيراً بعدم إساءة استعمال المخلفات الحضارية وإتباعها لفئة دون غيرها، فالتوراة هي الشاهد الوحيد على المرحلة التي سبقت مملكة إسرائيل وحتى تاريخها المبكر، فلا توجد مصادر تاريخية أخرى تدعم السجل التوراتي، كما لا تسهم المخلفات الأثرية في إيضاح ذلك، واستعمال المادة الأثرية وإجراء التنقيبات المستمرة في مواقع العصر الحديدي فيه كثير من الخلط والتشويه للتاريخ الفلسطيني بمجمله. وما يجري من تفسيرات واستنتاجات حتى الآن ما هو إلا تحبب لا أساس له من الصحة العلمية.

لا شك بأن للباحث أن يطرح تساؤلات في حالة انعدام الوثائق والبيانات، ولكن الإجابة عن هذه التساؤلات يجب أن لا تكون قسرية أو حتمية. فالمملكة الإسرائيلية التي تأسست مع نهاية الألف الثاني ق. م (حوالي ١٠٣٠ ق. م)، لا بد أن يكون سبقها مقدمة طويلة وأن يكون تأسيسها قد تمخض عن صراع محتدم بين دويلات المدن المتعددة التي كانت قائمة في النصف الثاني من الألف الثاني ق. م. ولا نعرف في الحقيقة هل كانت هذه المملكة قد نشأت من داخل الأرض الفلسطينية أم أن المجموعات العبرانية التي يشار إليها في العهد القديم هي التي تتحمل مسؤولية تكوينها أو تشكل خلفية لها، إذ أن الوثائق الأصلية معدومة حتى الآن. كما أنه لا يقصد هنا التقليل من أهمية أسفار العهد القديم والمعلومات التاريخية التي تتضمنها، ولكن لا بد من التأكيد بأن مرحلة تدوين هذه الأسفار لا تزامن الأحداث نفسها ولا يجوز أن يعتمد عليها كلياً إلا إذا دُعِمت بشواهد أخرى كالسجلات الآشورية والبابلية اعتباراً من منتصف القرن التاسع ق. م وحتى

الكشف عن أعداد كبيرة من البيوت التي تضم ساحة أقيم حولها مجموعة من الحجرات (٢ - ٤ حجرات) والتي كثيراً ما تتوسطها أعمدة تدعم السقف. تضم الباحة في العادة آبار جمع المياه ومرافق الطبخ والتخزين. وقد شيدت هذه البيوت من الحجارة أو الأجر الطيني أو كليهما، أما حُفر التخزين فهي غالباً ما تكون مقصورة ومقطوعة في الأرض على شكل مجموعات وكأنها تخدم أغراضاً جماعية. وجدت مثل هذه المنازل في مختلف مناطق جنوبي بلاد الشام بما في ذلك مرج ابن عامر (تل المتسلم والعفولة) ووادي الأردن (تل القدح، تل السعيدية وتل دير علا) وفي منطقة الجبال الغربية (تل الفارعة الشمالي، عين شمس، تل بيت مرسيم، تل بئر السبع - خربة مشاش، خربة الردانة، التل أوعى) ومنطقة الجبال الشرقية (سحاب، السماكية، طويلان، تل الخليفة).

نستنتج من هذا التوزيع صعوبة التعرف، بل استحالة، على بناء هذه المنازل من الناحية الأثرية، مع العلم بأن المنقبين الإسرائيليين والباحثين التوراتيين نسبوا إلى الإسرائيليين الأوائل (إسرائيلي ١) دون توفر أي برهان على ذلك. بنيت مثل هذه الآراء على مفاهيم توراتية ولا علاقة لها بالمصادر التاريخية أو بالشواهد الأثرية، وبالنسبة إلى الأثرين الباحثين التوراتيين الناقدين فإن ظهور هذا النوع من البيوت يتعدى الخارطة الجغرافية للإسرائيليين القدماء، وإن تطور هذه البيوت ليس مفاجئاً بل مستمداً من العمارة الفلسطينية التي ترسخت في الألف الثاني ق. م وقبل ذلك.

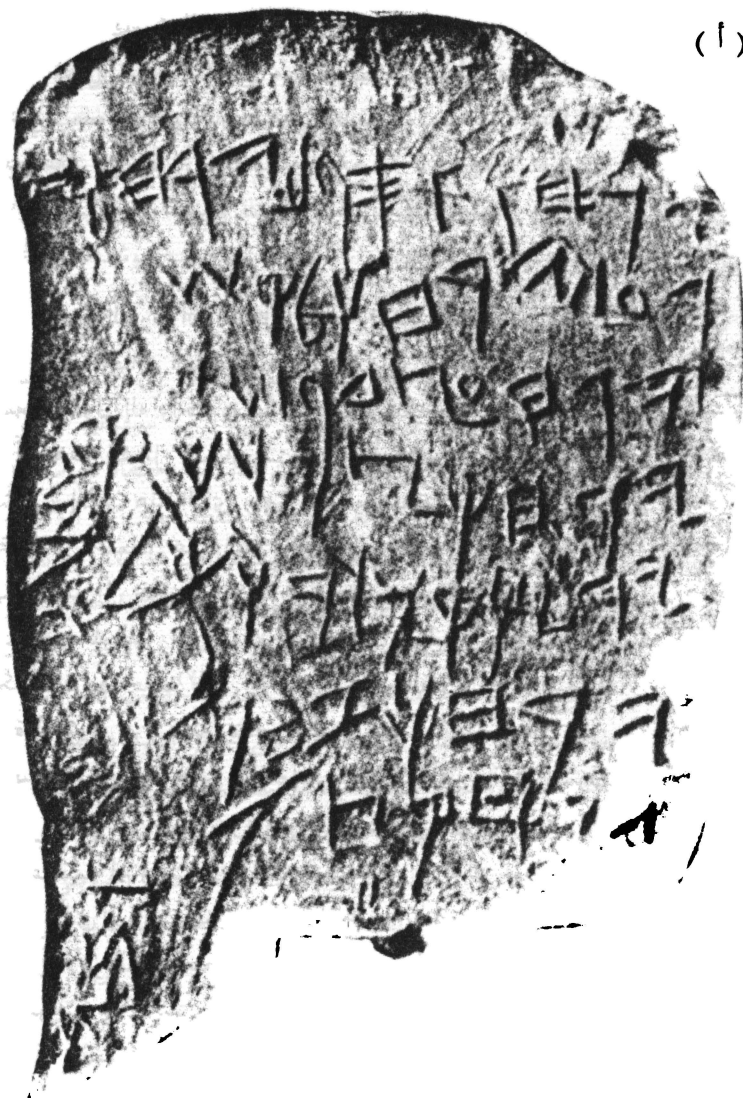
لم يقتصر استعمال هذا النوع من البيوت على السكن وإنما استعمل بعضها كمرافق صناعية لتلك التي عثر عليها في تل بيت مرسيم وتل السعيدية وسحاب، حيث وجد فيها أعداد كبيرة من ثقالات النسيج وأدوات أخرى مرتبطة بهذه الصناعة.

انتقلت ادعاءات التوراتيين والأثرين الإسرائيليين من العمارة إلى المكتشفات الأخرى ليتم نسبها إلى الإسرائيليين القدماء. ومن هذه المكتشفات جرة فخارية كبيرة الحجم تأخذ شكلاً شبه بيضوي ويلتف حولها بين العنق والكتف طوق الصق بالإناء وعرف في المصادر الأجنبية بـ (Collared-rimjar). وقد أشر في دراسة أخرى^(١٦٥) إلى أن وجود هذه الجرار مرتبط بالإنتاج الزراعي لسكان فلسطين والأردن لفترة طويلة من الزمن، ولا يمكن أن تكون من اختراع مجموعة بشرية دون غيرها، وإنما تطورت هذه الجرة عن جرار أخرى مشابهة لها عرفت في العصرين البرونزي الوسيط والآخر. وقد وجدت بأعداد كبيرة وفي مناطق



نوابيت صلصالية عثر عليها في دير البلح تعود للعصر البرونزي المتأخر

(أ)



(ب)



(ب) نقش كنعاني

(أ) نقويم تل جيزر : نقوش مكتشفة في فلسطين تمثل :

سقوط دولة البابليين. وهناك مجموعة من النقوش التي كتبت بخطوط ولهجات مختلفة كالآرامية والعبرية والعمونية والمؤابية، وأطولها نقش ميشع المؤابي من القرن التاسع ق. م، والنص الآرامي العموني الذي عثر عليه في الطبقة التاسعة (Phase M) في تل ديرعلا من القرنين الثامن والسابع ق. م، وهناك مجموعة أخرى من النقوش قصيرة نسبياً وسنشير إليها في مكان آخر من هذه الدراسة.

تدعي التوراة أن القبائل العبرية الاثنتي عشرة التي كانت تنتشر فوق الجبال الفلسطينية قد عقدت تحالفاً في شكيم، وتجمعت حول إله واحد ومعبد واحد، وتشير بعض الاجتهادات إلى أن هذه القبائل قد أرسلت وفوداً أو ممثلين لتشكيل مجلس للعشائر، إلا أن هذا الرأي رفض حتى من بعض التوراتيين الذين يعتقدون، اعتماداً على النص التوراتي، بأن القبائل المتحالفة كانت تنفقر إلى حكومة مركزية أو وحدة سياسية في الوقت الذي كانت فيه الممالك الآرامية من عمونيين ومؤابيين وأدوميين قد تشكلت لقرون خلت^(١٦٧). وتحول هذا التحالف إلى دولة سياسية بقيادة شاؤول من قبيلة بنيامين الذي نصب نفسه ملكاً على إسرائيل بحجة أن الخطر يدهمها من الممالك الآرامية في الشرق وبشكل خاص من العمونيين ومن الفلسطينيين في الغرب. واتخذ من جبيا عاصمة له واستبدل بذلك التجمع حول الإله يهوه بالحكم الملكي الذي لم يرض عنه المتدينون واعتبروا التطور الجديد تقليداً أجنبياً، الأمر الذي أضعف قوة شاؤول. وحاول شاؤول السيطرة على الوضع بالأساليب العسكرية، إلا أنه بقي يفتقر إلى السلطة المركزية وانضمام القبائل تحت لوائه. وكان لهذه الحالة أثرها المباشر على الأوضاع العسكرية والصراع مع الفلسطينيين الذين حققوا نصراً على الإسرائيليين وفرضوا سيطرتهم على المنطقة الجبلية ودمروا شيلو باعتبارها المركز الرئيسي للإسرائيليين. أجبر الموقف العسكري هذا الإسرائيليين على التحالف مع من تسميهم التوراة بالأموريين لمجابهة الفلسطينيين الذين تعرضوا لهجمات متكررة من القوات المتحالفة أيام شاؤول وداوود من بعده^(١٦٨). إن هذه المعلومات مستمدة من التوراة دون غيرها.

وتستطرد التوراة بسرد إنجازات داوود الذي كان يستمد قوته من الإله يهوه الذي اختاره ملكاً على شعبه، وكانت القدس ما زالت في يد البيوسيين، فأول عمل عسكري قام به داوود كان مهاجمته للقدس، وبعد أن احتلها أعلنها عاصمة لشقّي مملكته يهودا وإسرائيل. وباحتلال داوود للقدس أصبحت المدينة محور صراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين الذين ادعوا لأنفسهم النصر

ليس فقط على الفلسطينيين وإنما على جميع الممالك الموجودة في بلاد الشام ومنها مملكة الآراميين في البقاع وكيانات الساحل السوري الفلسطيني والعمونيين والمؤابيين والأدوميين، ووصل نفوذ داوود في الشمال حتى دمشق وحماة وصيدا وصور، وجاء من بعد داوود ابنه سليمان الذي واصل أعمال أبيه العسكرية والعمرانية، ويظهر أن مملكة داوود وسليمان استمرت لجيلين فقط، وهي الفترة الوحيدة التي سبق للإسرائيليين أن كونوا خلالها قوة سياسية يحسب حسابها في المنطقة، وتتغنى أسفار صموئيل والملوك من التوراة بأعجاد هذه المملكة وإنجازات الملوك القويين في الداخل والخارج التي اتسمت بعداء مستحكم لجميع الممالك والقوى السياسية في جميع أرجاء بلاد الشام. هذه الروايات غير مدعومة إطلاقاً بمصادر الممالك المعادية أو غير المعادية، كما لا تعطي المخلفات الأثرية في جميع مواقع العصر الحديدي أية براهين على صحة هذه الروايات رغم كثرة المواقع التي تم التنقيب فيها ورغم المحاولات التي تبذل لربط المخلفات الأثرية بهذه الروايات، والتي تصل إلى درجة التحريف وسوء تفسير الشواهد الأثرية والابتعاد عن ماهيتها وما يمكن أن تبرزه من معلومات لها علاقة مباشرة بالتطور الاجتماعي والاقتصادي في المنطقة.

وتنسب لسليمان المشاريع الصناعية والعمرانية الكبيرة ومن ذلك استخراج المعادن وتصنيعها لمختلف الأغراض: أسلحة كانت أم أدوات منزلية أو تزيينية. ويظهر أن الملك سليمان حاول أن يقلد البلاطات الآشورية والمصرية فبنى لنفسه بيتاً ضخماً استغرق بناؤه ثلاث عشرة سنة، يرد وصف تفاصيله في الإصحاح السابع من سفر الملوك، وألحق القصر بمعبد استخدم فيه ثلاثين ألف شخص لمدة سبع سنوات وأثنى من خشب الأرز اللبناني، وزينه بمختلف المعادن والأحجار الكريمة. وتواصل التوراة سرد القصص الخيالية المتعلقة بأعمال سليمان وحنكته التي أوصلت الجن ليأتمر بأمره. وتظهر المبالغات التوراتية بشكل واضح عند الحديث عن نساء سليمان اللواتي وصل عددهن إلى سبعمائة زوجة وثلاثمائة من السراي جاء بهن من مصر ومؤاب وعمون وأدوم وصيدا والأناضول. واتصف عهد سليمان بالبذخ والإنفاق الباهظ بما لا تحتمله مملكته، الأمر الذي أدى في النهاية إلى انقسامها.

ما زالت هذه الروايات والحكايات الأسطورية غير مدعومة بوثائق تاريخية، ولكن أعداداً كبيرة من علماء اللاهوت والأثريين التوراتيين ذهبوا للبحث عن مخلفات سليمان المعمارية وما تحويه من كنوز ومقتنيات، فشغلوا أنفسهم بالمخططات التفصيلية للقصر

وللمعبد اعتماداً على الوصف التوراتي دون أن يعثروا على مخلفات مادية تبرر مثل هذه التصورات.

وراح المنقبون يعملون في القدس منذ أن أنشئت أول جمعية للآثار عام ١٨٦٥، التي سميت بصندوق استكشاف فلسطين، وما زالت الحفريات الأثرية تجري على نطاق واسع من المحتلين الإسرائيليين، وخاصة في منطقة الحرم الشريف الذي تتوسطه الصخرة المشرفة والأحياء المحيطة به. وكثيراً ما نسبت المخلفات التي تسبق العصر الإسلامي إلى الفترات الإسرائيلية القديمة حتى تلك التي تعود إلى اليهود الهلنستية والرومانية، إلى أن قامت كاثلين كنيون بحفرياتها في المدينة وتمكنت من إعادة تأريخ عدد من المخلفات المعمارية اعتماداً على تسلسل الطبقات السكنية والشواهد الأثرية المرتبطة بها. وتقول كاثلين كنيون أثناء استعراضها للمخلفات المعمارية في القدس «مع أنه يمكن اقتراح مسار الأسوار المحيطة، إلا أنه أصبح للأسف واضحاً أنه لم يبق شيء من داخل المدينة في عهد سليمان أو سلفه أو خلفه»^(١٦٩).

وتذكر التوراة في سفر الملوك - الإصحاح التاسع أن الملك سليمان قد أعطى أحيرام ملك صور عشرين مدينة في الجليل مقابل الهدايا التي أهدقها عليه أحيرام من الأخشاب والذهب، وتضيف بأن سليمان وجه اهتمامه نحو إعمار حاصور ومجدو وجيزر ومدن أخرى، فضلاً عن بناء السفن في عصيون جابر بجانب أيلة بمساعدة أحيرام أيضاً. دفع هذا النص عدداً من الأثريين للبحث عن آثار هذه المدن، ومع أن جميع المواقع التي نقبوا فيها تضم آثاراً رئيسية من العصور الحديدية، فإنه اختلط عليهم الأمر بالنسبة لتسلسل الطبقات واتباع المخلفات السكنية لمراحل وأحداث توراتية. لم تكن هذه المشاكل لتظهر بهذه الحدة لو لم يكن النص التوراتي الدافع الرئيسي للكشف عن آثار هذه المواقع، أو بالأحرى، لولا النص التوراتي لكانت الصورة أوضح مما هي عليه الآن. لقد انطلق المنقبون من أن مواقع تل المتسلم وتل أبو شوشة وتل القدح هي المواقع التي ورد ذكرها في التوراة تحت أسماء مجدو وجيزر وحاصور، وأن النصوص المتعلقة بإعمار هذه المدن حقيقة تاريخية لا جدال فيها، وبدأوا عمليات التنقيب للبرهنة على صحة هذا النص، وليس لدراسة ماهية الآثار التي يتم الكشف عنها دون الاعتماد في تفسير المكتشفات على البيانات التي تظهر معها. ولكن أسلوب البحث هذا لا ينطبق فقط على هذه الحالات وإنما له مساس بغالبية مواقع العصر الحديدي في فلسطين.

المهم أن موقع تل المتسلم يضم في طبقتين (IVB - VA)

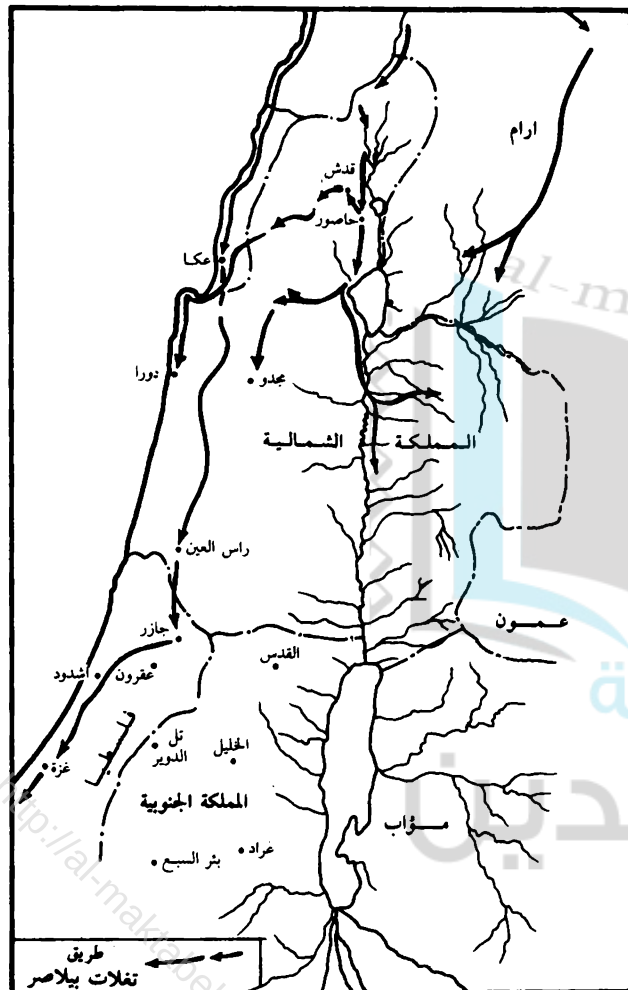
من العصر الحديدي الثاني مدينة مسورة مع ما يرافقها من مباني سكنية وعامة ومرافق تخزين. وفي السور من الناحية الشمالية بوابة تؤدي إلى غرف جانبية في الداخل. هذه البوابة شائعة الانتشار في العصر الحديدي وكشف عنها في غالبية المدن الرئيسية، وهي نمط معماري مستمد من بوابات العصرين البرونزي الوسيط والمتأخر. وقد تم بناء العديد من المدن على غرار تل المتسلم، ومثال ذلك تل القدح وتل أبو شوشة وسبسطية وبئر السبع وتل عراد وتل الخليفة وتل الدوير.

انقسمت المملكة بعد موت سليمان إلى قسمين شمالي (إسرائيل) ومركزه ترزا (لسنوات قليلة) ثم سبسطية وجنوبي (يهودا) ومركزه القدس، وذلك رغم محاولات رحبعام بن سليمان، متخذاً من شكيم مركزاً له، استعادة سلطة أبيه. إلا أن العشائر بايعت يربعام لتسلم السلطة على إسرائيل - هذا ما ورد نصه في الإصحاح الثاني عشر من سفر الملوك الأول. وأثناء هذا الصراع على السلطة نظم شيشنق فرعون مصر في الربع الأخير من القرن العاشر ق. م حملة عسكرية على فلسطين وأخضعها للجزية. وقد دون شيشنق تفاصيل حملته هذه على حجر نصبه في معبد آمون بالكرنك، وأهم ما يتضمنه هذا النصب قوائم طوبوغرافية لأهم المدن الفلسطينية التي أخضعها، والبالغ عددها أكثر من مائة وخمسين مدينة في الوسط والجنوب والساحل الجنوبي. ومن الواضح أن الحكم المصري أراد أن يستعيد السيطرة على بلاد الشام والطرق التجارية التي تمر فيها، فسلك طريق الساحل الفلسطيني ثم عرج على القدس والمدن المحيطة بها، ثم تحرك شمالاً باتجاه شكيم (تل بلاطة) وترزا (تل الفارعة)، فغور الأردن الأوسط فبيسان عابراً مرج ابن عامر ليخضع تعنك ومجدو، ومن ثم عدداً من المواقع الجنوبية لدى عودته إلى مصر.

وقد تميزت المملكة المزدوجة (الشمالية والجنوبية) بالصراع فيما بين فرعيها، وفي حروبها مع الممالك الآرامية في الشمال (ملكة آرام بدمشق)، وفي الشرق (العمونيين والمؤابيين والأدوميين)، ثم تقلص نفوذها السياسي وتعرضاً لحرب مستمرة من جميع الجهات تقريباً. وعندما تولى عمري (حوالي ٨٧٨ - ٨٤٢ ق. م) عرش المملكة الشمالية اتخذ من السامرة (سبسطية)، على بعد بضعة كيلومترات إلى الشمال الغربي من مدينة نابلس، عاصمة له، لما تتمتع به من موقع استراتيجي ومتوسط. وحاول عمري عقد تحالف مع الشق الجنوبي من المملكة القديمة، وزوج ابنته ليهورام بن يهوذا، كما زوج ابنه آحاب لايذايل ابنة ابتعل ملك صور وصيدا، وبذلك يكون عمري قد هياضاً

المناطق في الأردن وفلسطين مقاطعات آشورية وتشمل هذه المقاطعات الساحل الفلسطيني ومرج ابن عامر والجليل وقلعاد. بقيت مملكة آدوم في جنوبي الأردن وفلسطين تتمتع بوضع مختلف، إذ تظهر أسماء ملوكها في عدد من نقوش سرجون الثاني وأسرحدون وآشور بانيبال.

لقد وصلت مملكة إسرائيل نهايتها عندما رفض ملكها هوشع دفع الجزية إلى شلميناصر الخامس خليفة تغلات بيلاصر الثالث، وذلك بعد أن أجرى اتصالات مع مصر للتحالف معها ضد السيطرة الآشورية. أثار هذا التصرف غضب شلميناصر الخامس الذي دفع سنة ٧٢٤ ق. م بحملة كبيرة إلى فلسطين حاصرت السامرة إلى أن استسلمت بعد ثلاث سنوات من الحصار ووقع ملكها هوشع أسيراً في قبضة الجيش الآشوري. انتهى بذلك وجود دولة إسرائيل، وأطلق الآشوريون على الجزء الشمالي من فلسطين اسم «سمارينا الآشورية». وكان سقوط سماريا سنة



حملات تغلات بيلاصر

للمؤابيين واحتل الجزء الشمالي من أراضيهم. إلا أن ميشع ملك المؤابيين سرعان ما نظم جيشاً ليسجل نصراً حاسماً على الإسرائيليين، وخلد انتصاره هذا على مسئلة نصبها في عاصمته ذيبان، وقد تم نقلها لمتحف اللوفر، وتحمل هذه المسلة نقشاً طويلاً باللهجة المؤابية وتؤكد على الصراع الذي كان محتدماً بين المؤابيين والإسرائيليين منذ بداية القرن التاسع ق. م أيام عمري وابنه آحاب.

كان الخطر الذي يجابه آحاب من مملكة آرام والدولة الآشورية أكبر من خطر المؤابيين. وكانت آرام بقيادة «ابن حداد» الذي كان يهدد مملكة إسرائيل وسيطر إلى حد كبير على الجزء الأكبر من شمالي فلسطين، وحصلت بينه وبين الإسرائيليين زمن آحاب عدة معارك أهمها معركة سماريا (سبسطية) ومعركة آفق شرقي بحيرة طبرية. ولكن، كان على آحاب أن يحسب حساباً كبيراً لخطر الآشوريين عندما اعتلى شلميناصر الثالث الحكم حوالي ٨٥٨ ق. م، فعقد تحالفاً مع مملكة آرام (دمشق) ومملكة حماة وملوك آخرين لصعد الهجوم الآشوري المتوقع.

تحدثنا الحوليات الآشورية عن أن الملك الآشوري شلميناصر الثالث قد قاد حملة في أول سنة من حكمه ضد القوات المتحالفة ووصل البحر الأبيض المتوسط، وأتبعها في السنة السادسة من حكمه بحملة أخرى كان نتيجتها هزيمة القوات المتحالفة في معركة قرقر على نهر العاصي. نلاحظ هنا أن النصوص الآشورية أخذت تبرز كمصدر معلومات رئيسي عن بلاد الشام عامة إلى جانب الكتابات الأخرى المعاصرة.

قضي على سلالة عمري عندما قام ضابط اسمه ياهو بانقلاب على آحاب وتولى السلطة في السامرة. وشهدت هذه المرحلة نزاعاً مسلحاً بين مملكتي يهودا وإسرائيل من ناحية وجميع القوى السياسية الأخرى في المنطقة من ناحية أخرى، ومن هذه القوى العمونيون والآراميون الذين قدموا دعماً للفلسطينيين. انتهت هذه الفترة التي اتسمت بعدم الاستقرار بمجيء الملك الآشوري ادد نيراري الثالث عام ٨١١ ق. م الذي خفف الضغط على مملكة إسرائيل بشنه حرباً على الآراميين واستعاد مجد شلميناصر الثالث بإخضاع ممالك آرام وآدوم وإسرائيل وفرض الجزية عليها. واستمرت الحملات العسكرية الآشورية أيام تغلات بيلاصر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق. م) وأتبع جميع بلاد الشام لامبراطوريته وجزأها إلى مقاطعات وعين لكل مقاطعة حاكماً آشورياً. ووصل في أول حملة له إلى الساحل الفلسطيني (فلسطين) ووصل غزة والعريش في الجنوب الفلسطيني، وأعلن عدداً من

تسلم سرجون الثاني الحكم، وقام سرجون بسبي عدد كبير من الإسرائيليين إلى ميديا. بعد ذلك وصلنا نتف من الأخبار عن الأوضاع في فلسطين ومنها حدوث اشتباك بين حانون ملك غزة متحالفاً مع قوات مصرية والجيش الآشوري، وكان من نتائج هذا الاشتباك أن وقع حانون أسيراً في يد القوات الآشورية وأجبرت القوات المصرية على التراجع نحو الحدود المصرية.

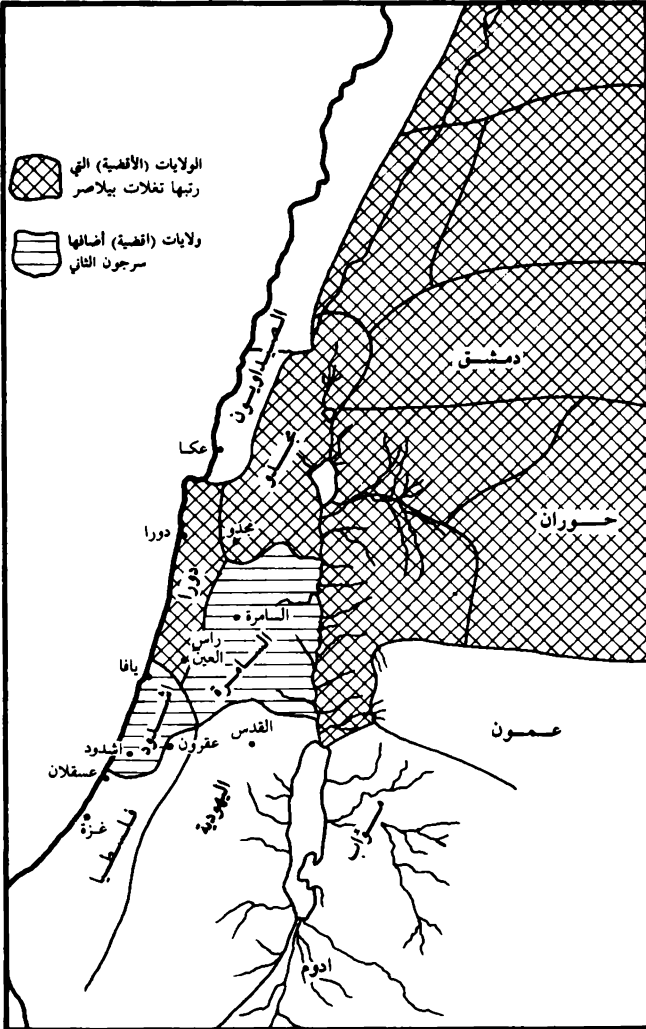
وتشير بعض اللوحات المسمارية مثل تلك التي وجدت في سبسطية وتل أبو شوشة إلى أن حكام المناطق في فلسطين حتى القرن السابع ق. م كانوا من أصل آشوري، وغدت مملكة يهودا تُعين في تبعية مطلقة للآشوريين حتى أن ملكها آحاز استسلم عام ٧٣٣ ق. م بطوعه لتغلات بيلاصر الثالث واستمرت يهودا بدفع الجزية حتى أوائل حكم حزقيا (٧٢١ - ٦٩٣ ق. م). وتغيرت فيما بعد سياسة حزقيا تجاه التبعية للآشوريين، فتحالفت مع عدد من المدن الفلسطينية والممالك المجاورة مثل أدوم ومؤاب للخلاص من الحكم الآشوري. إلا أن سرجون الثاني وخلفه سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق. م) قاما بسلسلة من الحملات العسكرية انتقاماً من حزقيا وحكام المدن المعادية الأخرى، وأخضع سنحاريب الممالك الآرامية في شرقي الأردن وعدداً من مدن الساحل الفلسطيني ومنها عكا ويافا واسدود وعسقلان حتى الحدود المصرية، ثم عاد سالكاً المنطقة الجبلية وفتح عدداً من المدن المحصنة ومنها لحيش التي كانت تعتبر من أكبر المدن الفلسطينية في القرنين الثامن والسابع ق. م، كما اصطدم سنحاريب مع القوات المصرية في معركة التقو (خربة القنع حالياً) انتهت بانتصار الآشوريين وغياب النفوذ المصري على جنوبي فلسطين لفترة من الوقت. وظلت المدن الفلسطينية تدفع الجزية بانتظام إلى نينوى عاصمة الآشوريين حتى سقوطها عام ٦١٢ ق. م بيد الدولة الكلدانية أو البابلية الجديدة.

معلوماتنا عن هذه المرحلة مستمدة بشكل رئيسي من سجل الأخبار البابلي الذي يفيد بأن القوات المصرية قد تقدمت عام ٦١٦ ق. م في عمق الامبراطورية الآشورية. وقد سهلت هذه الاشتباكات على القوات البابلية والميدية المتحالفة احتلال مدينة نينوى عام ٦١٢ ق. م والفتك بالملك سنشار أشكون ومن ثم طرد آخر ملوك الآشوريين آشور - اوبالط، ففضي بذلك على واحدة من أقوى امبراطوريات العالم القديم.

بقيت فلسطين ومنها مملكة يهودا لفترة قصيرة تدين بالولاء للحكم البابلي الجديد وتدفع له الجزية، حتى أنها تصدّت للقوات

المصرية الزاحفة باتجاه الشمال بقيادة الفرعون نيخو الثاني عند مدينة مجدو في مرج ابن عامر، إلا أن يوشيا ملك يهودا (٦٣٨ - ٦٠٨ ق. م) لاقى حتفه نتيجة هذه المعركة. وتمكنت القوات المصرية من التقدم شمالاً وتصدت لها القوات البابلية بقيادة نبوخذ نصر وحقق نصرأ حاسماً على الجيش المصري بزعامة نيخو في معركة كركميش على نهر الفرات (٦٠٥ ق. م) وأعقبته بنصر آخر في حماة (٦٠٤ ق. م) وانتزعت منه جميع مناطق بلاد الشام.

تولى يهوياقيم (٦٠٨ - ٥٩٧ ق. م) مملكة يهودا بعد موت أبيه يوشيا بمساعدة الفرعون المصري، ولم يستطع يهوياقيم الوقوف أمام زحف القوات البابلية بزعامة نبوخذ نصر الذي دخل جيشه القدس عام ٥٩٧ ق. م بعد حصار قصير، ويظهر أن يهوياقيم قد مات قبيل وصول القوات المهاجمة وألقي بجثته خارج أبواب القدس، وورثه ابنه يهوياقيم. استسلم يهوياقيم وعين نبوخذ نصر أحد أبناء يوشيا واسمه صدقيا ملكاً على يهودا (٥٩٧ -



التقسيم الإداري لفلسطين أيام الآشوريين

٥٨٦ ق. م)، وسبي يهويقين مع نسائه وأمه وموظفيه وأعداد كبيرة من الجنود والحرفيين، فضلاً عن عدد من رجال الدين ومن بينهم حزقيال.

حاول صدقيا التحالف مع مصر ضد البابليين، فأرسل نبوخذنصر جيشاً قوياً للانتقام من صدقيا الذي دعمته حامية مصرية مكنته من الصمود لأكثر من عام. استسلم صدقيا في النهاية للقوات البابلية وحاول الهروب إلى شرقي الأردن وأمسك به عند أريحا في غور الأردن وأُتي به إلى معسكر نبوخذنصر في ربله. بعد شهر من القبض على صدقيا والتشجيع به، هدمت القدس مع هيكلها وسبي سكانها، ولم يبق إلا بعض المزارعين. وهكذا أصبحت جميع الأرض الفلسطينية مع سائر بلاد الشام في أيدي البابليين.

(ب) العمونيون:

غالباً ماتع العمونيون قبائل أرامية استقرت في الألف الثاني ق. م وأسست مملكة على الهضاب الشرقية في منطقة البلقاء واتخذت من ربة عمون (عمان الحالية) عاصمة لها، وامتدت مملكة العمونيين من وادي حسيبان جنوباً ووادي الزرقاء شمالاً ومنطقة الأغوار غرباً والصحراء شرقاً. وكان مقر عاصمتهم في أحيان أخرى كثيرة فوق جبل القلعة الذي يتوسط العاصمة الأردنية، مع العلم بأنه لم يبق من مخلفات العصر الحديدي إلا نتف متناثرة بعد أن أزيل الجزء الأكبر لهذه المخلفات من الذين سكنوا الموقع فيما بعد أيام الرومان والبيزنطيين والمسلمين، وغالبية المباني القائمة إضافة للآثار التي يتم الكشف عنها مؤخراً على نطاق واسع تعود لهذه الحقب الزمنية. لكن الذي كشفت عنه أعمال التنقيب هذه من بقايا سكنية ومدافن يكفي للحكم بأن الموقع كان مأهولاً منذ الألف الثالث ق. م وحتى العصر الحديدي مروراً بالعصرين البرونزيين المتوسط والأخير.

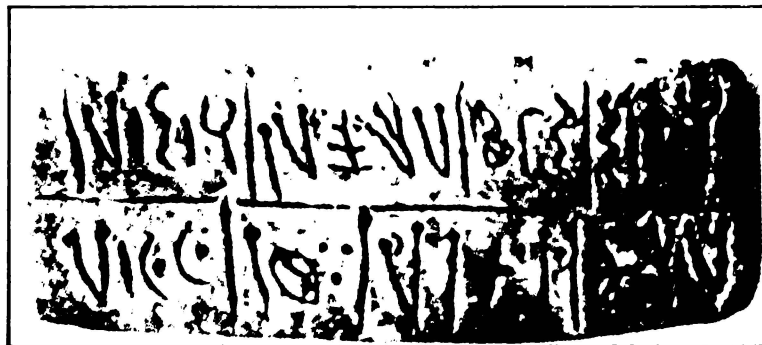
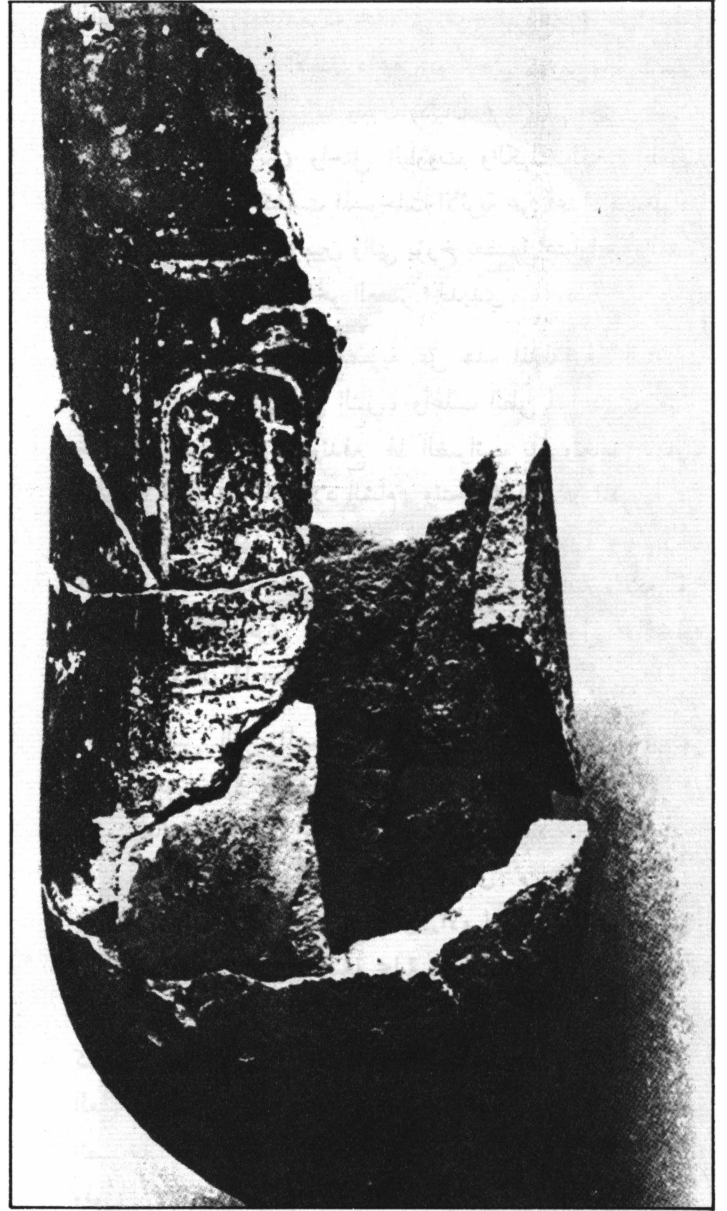
تشير المواقع المحيطة بعمان من جميع الجهات إلى الوحدة الحضارية التي تميز بها العمونيون عن غيرهم من الممالك المجاورة، خاصة في الفترة ما بين القرنين التاسع والسادس ق. م، فقد كان يحيط بالمدينة مجموعة من أبراج دائرية الشكل ذات طابع تحصيني، علماً بأن بعضها أقرب إلى أبراج المراقبة، ومنها برج الملفوف الشمالي والجنوبي، رجم الكرسي، أم أذينة، شنلر وغيرها.

كما تدلنا الحفريات والمسوحات الأثرية التي أجريت في مواقع حول العاصمة العمونية على تمثيل جيد لمراحل العصر الحديدي ابتداء من القرن الثالث عشر وحتى القرن السادس ق. م، ومن هذه المواقع تل صافوط، أم الرجوم، خربة

الحجار وسحاب. وتلقي المكتشفات التي ظهرت في موقع سحاب، حوالي ١٢ كم إلى الجنوب الشرقي من عمان، أضواء جديدة على مراحل العصر الحديدي المزمنة للعمونيين. فقد كشف المنقبون عن موقع تعاقبت عليه الحياة السكنية من العصر الحجري الحديث الفخاري وحتى القرن السادس ق. م، وتثلت فيه مراحل العصور: البرونزي المتوسط والبرونزي الأخير وجميع فترات العصر الحديدي. وتشمل أهم المكتشفات قلعة محصنة من العصر البرونزي المتوسط (حوالي ١٧٠٠ - ١٦٠٠ ق. م) وسوراً مزدوجاً لمدينة من العصر البرونزي الأخير (حوالي ١٥٠٠ - ١٢٥٠ ق. م)، علماً بأن هذا السور قد أعيد استعماله في مرحلة العصر الحديدي الأول التي تمثلت على نطاق واسع في الموقع من خلال مجموعة من المنازل وأماكن الخزين، وسوراً للموقع من العصر الحديدي الثاني. كما تم الكشف عن مجموعة من المدافن الغنية نسبياً من العصور البرونزية المتوسط والأخير، والحديدية الأول والثاني.

ومن المخلفات العمونية الهامة مجموعة من الكتابات من القرنين الثامن والسابع ق. م تلقي أضواء جديدة على أسماء الملوك العمونيين الذين ورد ذكرهم في التوراة. وقد عثر على هذه الكتابات ومعها بعض الأختام المكتوب عليها أيضاً، في عمان وضواحيها، ومن أهمها ذلك النقش على الختم الذي استخرج من قبر أدوني نور الذي يعرف نفسه «بخادم عمينداب» (الملك العموني) الذي يتكرر ذكره على قارورة نحاسية تم الكشف عنها في موقع تل سيران في حرم الجامعة الأردنية. وهناك شواهد على وجود علاقة وثيقة بين النص الآرامي / العموني الذي عثر عليه في تل دير علا (الطبقة التاسعة = Phase M) والكتابات العمونية. وتشير وثيقة دير علا التي كتبت بالحبر الأسود والأحمر على واجهة أحد مباني الموقع من القرن الثامن ق. م إلى رجل ديني هام (أونسي) اسمه بلعام باربؤور اتخذ من موقع تل دير علا مركزاً له. ومن المحتمل أن يكون لهذه الديانة علاقة وثيقة بالعمونيين، أو أن هؤلاء كانوا من أتباعه، مع أن الدراسات ملزالت جارية للتعرف على ماهية هذه الديانة وأتباعها، إلا أن المؤشرات واضحة على أن نفوذ العمونيين السياسي والفني الصناعي واللغوي قد امتد حتى غور الأردن ومنه منطقة دير علا.

هناك شواهد أكيدة على تطور فن النحت زمن العمونيين ومن المحتمل أنهم قد طوروا تقليداً فنياً خاصاً بهم اعتباراً من القرن التاسع ق. م بدليل العثور على مجموعة كبيرة من التماثيل العمونية من مختلف المواقع التي منها عمان والمواقع القريبة منها مثل عرجان وأبوعلندا وخربة الحجار. وتتميز هذه التماثيل



مكتشفات تحمل نقوش هي: (أ) قارورة من تل سيران
(ب) مزهرية من الفيانس عثر عليها في تل دير علا تحمل رمزاً للملكة تاوسرت (١٢١٤ - ١١٩٤ ق.م.)
(ج) لوحة طينية من تل دير علا تعود لحوالي ١٢٠٠ ق.م.

الذي قاد حملة (بعد معركة مجدو في مرج ابن عامر) على منطقة باشان في الشمال من الأردن واتجه جنوباً حتى كورمن وإبل كرميم، واحتل مدناً كثيرة منها باتيا وتبون (ذبيان حالياً) ثم اخترق جيشه وادي الموجب (يوبير) واحتل الياروت والكرك اللتين أظهرتا مقاومة كبيرة. وقد كشفت المسوحات الأثرية عن أعداد من المواقع الأثرية التي نسبت للمؤابيين والتي يؤرخ بعضها اعتباراً من العصر البرونزي الأخير حتى أواخر العصر الحديدي.

يبدو أن الحملات المصرية على هذه المنطقة قد استمرت حتى فترة حكم رمسيس الثاني، وأغلب الظن أنها كانت تعيش تحت السيطرة المصرية وتدفع لها الضرائب بل وتعامل معاملة دويلات المدن في سائر بلاد الشام. وتتحدث المصادر المصرية عن قبائل «شاسو» التي كانت مناهضة للسلطة المصرية، ويظهر أن هذه القبائل كانت تنتقل على حدود المملكتين المؤابية والأدومية. وهناك قبائل أخرى ورد ذكرها في التوراة مثل «راخيل» و «ليا»، وكان لها صلة بالمؤابيين.

يعكس الفن المصري تأثيره المباشر على المؤابيين ويظهر واضحاً من خلال المسلة البازلتيّة السوداء التي عثر عليها في موقع البالوعة جنوبي وادي الموجب. لقد أعاد غالبية الباحثين تاريخ هذه المسلة إلى ما قبل الألف الأول ق. م (حوالي ١٣٠٠ - ١١٠٠ ق. م)، وتحمل على سطحها الأمامي نحتاً بارزاً للملك (مؤابي) بالزي المصري وقبعة محلية وفوق كتفيه الشمس والقمر، ويتوسط هذا الملك إلهين، غالباً ما يكون أحدهما الإله المصري كموس يقدم له الملك الطاعة والولاء ويحمل على رأسه تاج مصر العليا والسفلى وفي يده اليمنى إشارة الحياة وفي اليد اليسرى الصولجان الإلهي، بينما تقف وراءه الإلهة (عشتار) بلباسها الطويل وفوق رأسها تاج الريش وفي يدها اليمنى أيضاً إشارة الحياة. يعلو هذا المشهد نقش (بالمهيروغليفية المصرية) مؤلف من ٣ - ٥ أسطر ولم يتمكن المختصون من الكشف عن محتواه نظراً للحالة السيئة التي وجد فيها.

ويتضح من الروايات التوراتية وحجر ذبيان احتدام الصراع بين المؤابيين والإسرائيليين منذ أيام داوود (حوالي ١٠٠٤ - ٩٦٥ ق. م) وعمرى (حوالي ٨٨٢ - ٨٧١ ق. م)، ويبقى حجر ذبيان من أهم الوثائق الأصلية التي تتضمن معلومات تاريخية هامة عن تاريخ المؤابيين وعلاقاتهم بجيرانهم. ويعرف هذا الحجر أيضاً بحجر مؤاب أو مسلة ميشع نسبة إلى الملك المؤابي ميشع بن كموش يأتي الذي أمر بتدوين هذه الوثائق ونصبها في عاصمته ذبيان (ديبون).

بأسلوب نحت متجانس رغم اختلافها في التفاصيل. وتم نحت معظمها دون الحجم الطبيعي من الحجر الكلسي الطري، وبعضها من الحجر البازلتي الأسود. لا نعرف حتى الآن بشكل مؤكد وظيفة هذه التماثيل رغم الدلائل التي تشير إلى أن بعضها يمثل آلهة أو حكاماً أو أشخاصاً (ذكوراً وإناثاً) لهم مكانة اجتماعية متميزة، وقد وقع فن النحت عند العمونيين تحت تأثيرات مصرية وآشورية وسورية شمالية. وكشف في المواقع العمونية على أعداد من الدمى الصلصالية والأختام والحلي والأواني الفخارية البيتية المتميزة.

وجدت غالبية مدافن العمونيين مقطوعة في الصخر، وهي جماعية. ووجد مع الموق أدوات مختلفة منها أدوات الزينة والأسلحة وأخرى كانت تستعمل في الحياة اليومية كالأواني الفخارية والسُرُج وغيرها. ووجدت بعض المدافن في توأبيت فخارية كتلك التي عثر عليها في سحاب وجبل القصور بعمان، كما كشف في إحدى مقابر سحاب من العصر الحديدي الأول على تابوت خشبي ومجموعة من المدافن داخل جرار فخارية كبيرة.

يرد ذكر العمونيين في عدد من فصول التوراة التي يشير بعضها إلى الصراع الذي كان محتدماً بينهم وبين الإسرائيليين في أيام الملك داوود الذي ادعى أنه انتصر على ملك العمونيين غير مرة وأخضع عاصمتهم (تبعاً للرواية التوراتية). ولكنه من الواضح أن المملكة العمونية قد حافظت على علاقات طيبة مع الممالك الآرامية الأخرى وكذلك مع الامبراطورية الآشورية التي كانت موالية لها، وبقيت هذه المملكة مزدهرة وقوية إلى أن قضى عليها الملك الكلداني نبوخذ نصر.

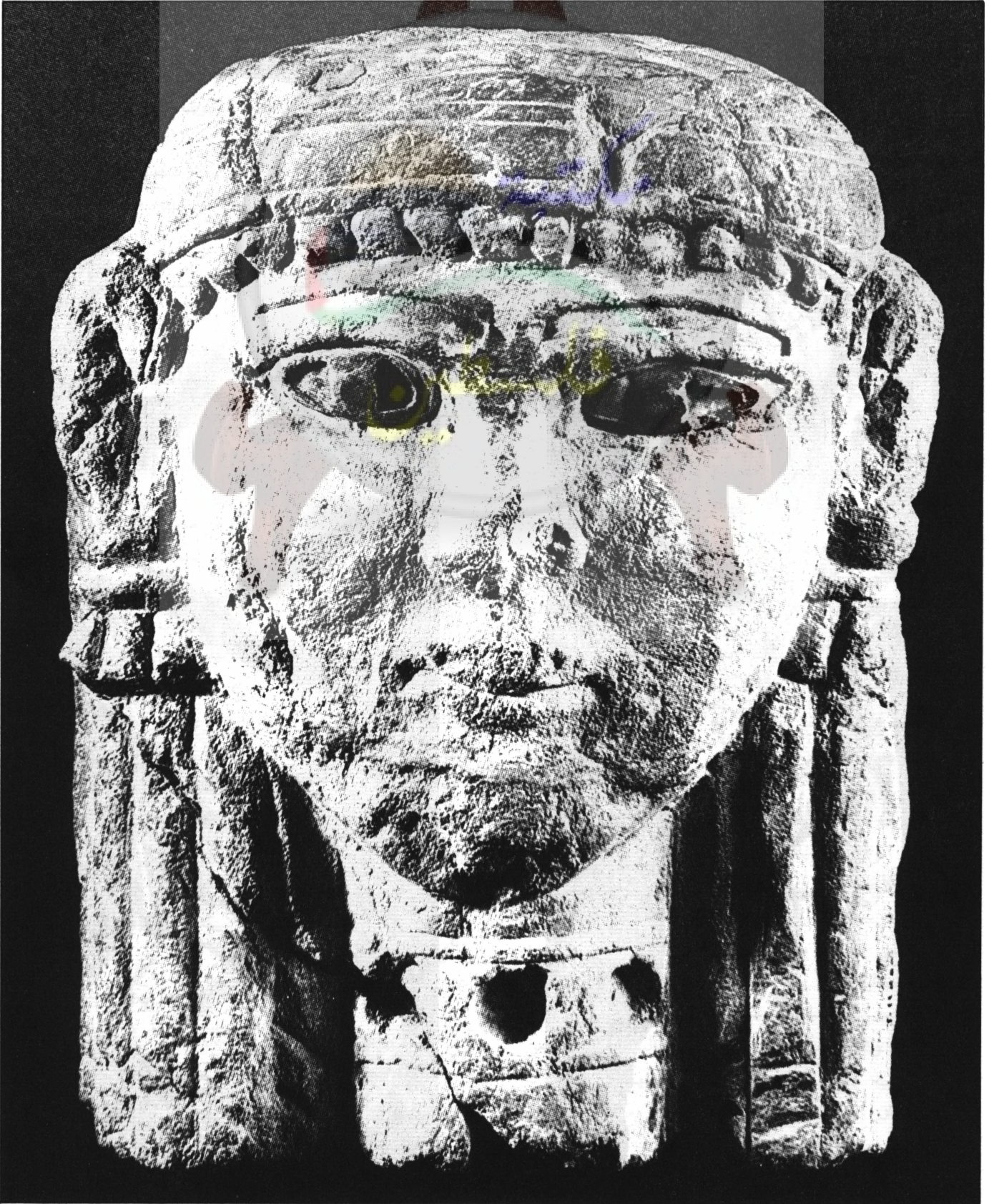
(ج) المؤابيون:

يتبع المؤابيون القبائل الآرامية التي استقرت في شرقي الأردن في الألف الثاني ق. م ومن بعدهم سميت المنطقة التي سكنوها بأرض مؤاب، وقد أسس المؤابيون مملكة على غرار مملكة العمونيين التي تحدهم من الشمال. في الحقيقة لم تكن حدود المؤابيين الشمالية ثابتة وإنما كانت متقلبة بين وادي الموجب ومادبا، أما حدودهم الجنوبية فكانت في الغالب شبه ثابتة عند وادي الحسا وكذلك حدودهم الغربية عند البحر الميت. ومن مدنها الرئيسية الكرك (كير - حارسة) عاصمتهم، والربة (ربة مؤاب) وذبيان (ديبون)، وعراعر (عروعر) ومادبا وحسبان (حسبون).

يرد ذكر عدد من مواقع المؤابيين في النصف الأول من القرن الخامس عشرين ق. م من أيام الفرعون المصري تحتمس الثالث



تمثالان عمونيان لامرأتين عثر عليهما في عرجان وخربة الحجار



تمثال عموني لامرأة من قلعة عمان

تكونت في الجنوب من الأردن وفلسطين في الفترة التي تأسست فيها الممالك الآرامية الشمالية، ومنها الممالك التي أسسها المؤابيون والعمونيون في النصف الثاني من الألف الثاني ق. م. والادوميون نسبة إلى آدوم بمعنى الأحمر أو الأرض التي يمكن حرثها، وأصبحت تطلق على الأرض والشعب. ويقصد بالأرض المنطقة الممتدة شرقي وادي عربة والمتصلة بالعقبة على البحر الأحمر. وضمت أرض الادوميين صحراء النقب غربي وادي عربة. وبذلك يكون الادوميون قد سيطروا على منطقة استراتيجية واقتصادية هامة، إذ سيطروا على ميناء العقبة الهام على البحر الأحمر والطرق البرية الموصلة إليه من الشمال، وكذلك على مصادر النحاس ومناجمه، وخاصة تلك الواقعة في تمنع وخربة النحاس وفينان وخنزيرة وغيرها.

لقد حرص المصريون على الحفاظ على هذه المنطقة تحت سيطرتهم، وقد ورد في المصادر المصرية تحت اسم سعر / آدوم منذ القرن الرابع عشر ق. م. وتحديثاً هذه المصادر بأن رعمسيس الثاني والثالث قد عبثا في جبال سعر. كذلك يذكر أحد موظفي الحدود المصريين في تقرير إلى الفرعون سيثوس الثاني (حوالي ١٢٠٠ ق. م) بأنهم سمحوا لقبائل شاسو الادوميين بالمرور أمام قلعة مرنبتاح إلى برك بتوم للإبقاء على حياة قطعانهم.

ووقع الادوميون تحت التأثير الآشوري منذ القرن الثامن ق. م أوحى قبل ذلك. وتذكر النصوص الآشورية منذ أيام تغلات بيلاصر الثالث وسنحاريب وأسرحدون وآشور بانيال أسماء ملوك الادوميين من أمثال قوص مالك وإيارام وقوص جبر.

وتدلنا الحفريات الأثرية في المواقع الأدومية مثل بصيرة وطويلان وأم البيرة وتل الخليفة على أن المملكة الأدومية قد ازدهرت في القرنين الثامن والسابع ق. م عندما كانت عاصمتها بصرى (في الغالب بصيرة حالياً حوالي ١٥ كم إلى الجنوب من الطفيلة)، حيث كشفت أعمال التنقيب عن مدينة محصنة يتوسطها قلعة (أكروبوليس) لضمّ مبان عامة متأثرة بأسلوب ومخططات البناء في العهد الآشوري. أما مركز الادوميين أو عاصمتهم قبل القرن الثامن ق. م فكانت على الأغلب في مكان آخر إذ لم تكشف الحفريات في موقع بصيرة عن آثار تذكر قبل القرن الثامن. وقد بدأت أعمال المسح الأثري تلقي أضواء جديدة على المواقع السكنية للجنوب من الأردن في العصر الحديدي الأول، ولعله يعقب الدراسات السطحية هذه المزيد من الحفريات في مواقع غير المواقع السابقة الذكر.

ويتضمن هذا النص الذي كتب باللهجة المؤابية انتصار ميشع على الإسرائيليين واستعادة السيطرة المؤابية على المنطقة الواقعة شمالي وادي الموجب وحتى مادبا التي كانت المدينة الرئيسية والاستراتيجية في هذه المنطقة، وأتبعها باحتلال نبو المحصنة. ويقول ميشع بأنه قتل جميع المشاركين في القتال من الإسرائيليين والبالغ عددهم ٧٠٠٠ شخص، وأعاد بناء جميع المدن التي أصابها الدمار باستثناء نبو، وفتح الطريق عبر وادي الموجب. وتوج إنجازاته ببناء عاصمة جديدة وتحصينها أسماها كرنحو، ولم يكشف النقب عنها بعد. وأمر ميشع بزراعة الأشجار وحفر الآبار، وجعل الأسرى الإسرائيليين يحفرون البرك وأحواض المياه الكبيرة. وبعد أن تركز الوضع في المنطقة الشمالية للمملكة المؤابية نقل ميشع جزءاً من قواته إلى الجنوب وهاجم المملكة الأدومية واستعاد بعض المواقع التي خسرها المؤابيون سابقاً. وتذهب الرواية التوراتية إلى أنه تكوّن تحالف بين يهورام ملك إسرائيل (٨٥١ - ٨٤٢ ق. م) وجيحو شافاط ملك يهودا ومعهما ملك الادوميين، وهاجموا المملكة المؤابية عن طريق المنطقة الأدومية في الجنوب، تحجباً لتحصينات المؤابيين في الشمال وخلافاً لتوقعات الملك المؤابي ميشع. وأسفرت هذه الحملة عن احتلال عدد من المدن والمواقع المؤابية، إلا أن العاصمة كير - حارسة وقفت حائلاً دون تقدم هذا التحالف، وفي النهاية أجبرت قواته على التراجع نحو الجنوب.

وتذكر المصادر الآشورية (أخبار سنة ٧٣٢ ق. م) من أيام الملك الآشوري تغلات بيلاصر الثالث أن ملكاً مؤابياً اسمه سالامانو كان يدفع الضرائب للملك الآشوري. كما يرد ذكر المؤابيين على أنهم من القوى التي ثارت على الحكم الآشوري أيام ملكهم سرجون الثاني (أخبار سنة ٧١٣ ق. م)، وفي أيام الملك المؤابي كموش ناداب أرسلت الهدايا للملك الآشوري سنحاريب (أخبار سنة ٧٠١ ق. م)، ويرد اسم الملك المؤابي موسوري أيام الملكين الآشوريين اسرحدون (أخبار سنة ٦٧٣ ق. م) وآشور ناصر بال (أخبار سنة ٦٦٨ ق. م). وفي النهاية أصبحت المملكة المؤابية جزءاً من الإمبراطورية البابلية الجديدة في النصف الأول من القرن السادس ق. م. وبعد سقوط بابل على يد الفرس سنة ٥٣٩ ق. م، فقدت الممالك الآرامية في شرقي الأردن مقومات الحكم الذاتي، وغدت فلسطين والأردن إمارات تحت الحكم الفارسي.

(د) الادوميون:

إن مملكة الادوميين هي إحدى الممالك الآرامية التي

الفرس سنة ٥٣٩ ق. م، ولا نعلم كيف كانت نهاية هذا الحكم، ولم تسعفنا المصادر التاريخية أو الاكتشافات والدراسات الأثرية حتى الآن للكشف عن ماهية الأحداث والتطورات حوالي منتصف القرن الأول ق. م في جنوبي الأردن. وبلغت النظر تأسيس مملكة الأنباط العربية فيما بعد على الأرض التي قامت عليها مملكة الادوميين، فغالباً ما كان بين الأنباط والادوميين صلة قرابة، بل وأخذ الأنباط عن الادوميين الفنون والصناعات المحلية كالفسخار المزخرف واستخراج معادن النحاس وتصنيعها، فلا حرج إذا اعتبرنا الأنباط امتداداً للادوميين شعباً وحضارة.

ويظهر أن الادوميين كانوا على معرفة بالخط المسماري إضافة إلى الآرامية اللغة الرسمية لهذه المملكة، بدليل العثور على لوحة طينية من المرحلة الفارسية (القرن السادس ق. م) في موقع طويلان بالقرب من البتراء. وعثر في حفريات تل الخليفة وبصيرة على بعض الكسر الفخارية (Ostraca) التي كتب عليها بعض الكلمات بالخط الادومي. إضافة إلى ذلك وجدت بعض الأختام الادومية، ومنها ختم عثر عليه في موقع أم البيرة المرتفع وسط مدينة البتراء كتب عليه عبارة «قوص جبر ملك آدم».

قضي على المملكة الادومية مع سقوط الدولة البابلية على يد

الفصل السادس

نهاية عصر الممالك حتى عهد الاسكندر المقدوني (العهد الفارسي)

الخامس ق. م) وثيودوروس الصقلي من القرن الرابع ق. م. وهناك بعض النقوش والكتابات القصيرة من القرنين السادس والخامس ق. م التي وجدت في مناطق مختلفة من بلاد الشام كتلك التي وجدت في صيدا وجبيل وعدد من المواقع الفلسطينية التي تزودنا ببعض التفاصيل عن الأوضاع السائدة في فلسطين. كما توجد إشارات غير مباشرة في المصادر المصرية كتبت على صحن فضية من تل المسخوطة، فضلاً عن نقوش آرامية عثر عليها في أسوان وسقارة.

ورغم تنوع المكتشفات المكتوبة في المواقع الفلسطينية، فإن المعلومات التي يمكن استنباطها محدودة. ومن أكثر هذه المكتشفات عدداً تلك الكتابات التي تم تدوينها على كسر فخارية وهي في الغالب ذات طابع تجاري اقتصادي وتصور جانباً من الحياة اليومية لسكان فلسطين في تلك الفترة، كما يتضمن بعضها أسماء أشخاص من أصول آرامية وفينيقية وبابلية وعبرية وغيرها، وقد عثر على مثل هذه الوثائق على شكل مجموعات في مواقع مثل تل عراد والقدس وتل الدوير وبسبسية وتل قصيلة وتل حسان ودير علا. وهناك بعض الأختام المكتوبة التي كشف عنها بالقرب من القدس^(١٧١)، وأخرى تم تدوينها على ورق البردي وعثر عليها المنقب الأمريكي بول لاب في مغائر وادي الدالية إلى الشمال من أريحا مع ما يرافقها من مكتشفات أثرية من أواخر العهد الفارسي. وتذكر المصادر الفارسية أن الملك داريوس الأول (٥٢١ - ٤٨٦ ق. م) قد بنى أسطولاً بحرياً بمساعدة الفينيقيين

يشهد منتصف القرن السادس ق. م سقوط الدولة البابلية وأصبحت بلاد الشرق الأدنى كافة وليديا في أقصى آسيا الصغرى تحت سيطرة الفرس الذين جعلوا بلاد الشام مقاطعتهم الخامسة وضموا إليها قبرص، واعتماداً على هيرودوتس فقد بلغ عدد المقاطعات الفارسية زمن داريوس الأول عشرين مقاطعة رئيسية مع الإبقاء على نظام الدويلات في المقاطعة الواحدة. وادعى كيروش ملكهم بأن جميع ملوك العالم قد قبلوا قدميه وقدموا له جزية كبيرة. وعرف عن كيروش بأنه احترم التقاليد والمشاعر الدينية لمختلف المناطق التي دخلها، فرحب به كهنة مردوك في بابل نفسها، ووعد اليهود المنفيين بالعودة إلى فلسطين، وأمر بإعادة بناء المعبد في القدس. وتجدر الإشارة إلى أن قسماً كبيراً من اليهود فضلوا البقاء في بابل وكونوا فيما بينهم تجمعاً خاصاً مكنهم من تأدية دور بارز في التجارة وجمع الأموال، هذا في الوقت الذي لم يستقبل فيه اليهود العائدون إلى فلسطين بحماسة من سكان السامرة، ومع أن المصادر تتحدث أن زرو بابل قد أعاد بناء المعبد سنة ٥٢٠ ق. م، وأن نيحما (٤٤٤ ق. م) قد أعاد تحصين القدس، وأنه رمم أسوارها، فإن حفريات القدس لم تكشف عن أدلة تشير إلى مثل هذا الإنجاز المعماري^(١٧٠).

يبقى تاريخ فلسطين في القرنين السابقين لحكم الاسكندر الكبير غامضاً، رغم وجود المصادر الكلاسيكية المتعلقة بتاريخ المنطقة مثل أعمال يوسيفوس وسترابو وهيرودوتس (القرن

سفري عزرا ونحميا، وهي تشير إلى أن الهدف الرئيسي للنظام الفارسي من مراقبة الأوضاع في بلاد الشام عامة هو ضمان ولاء هذه المقاطعة له. عدا عن ذلك لم يكن للنظام الفارسي تدخلات مباشرة بالأوضاع السياسية والدينية في فلسطين، رغم أن أسماء الحكام من أصول فارسية.

كشف المنقبون في غالبية مواقع العصر الحديدي عن مخلفات للعهد الفارسي غير واضحة المعالم وتشير بشكل عام إلى تدهور في الحياة العمرانية والاقتصادية حين أصبحت المدن تفتقر إلى التنظيم الذي عهدناه في المراحل السابقة، كما أن المباني العامة والتحصينات المتعلقة بالنظام الإداري والعسكري قليلة للغاية، ويغلب على المواقع الفلسطينية في هذه المرحلة طابع المجتمعات الزراعية. يظهر ذلك بشكل واضح في الجزء الأكبر من المواقع التي أجريت فيها حفريات منظمة، حيث يغلب وجود بيوت المزارع ومرافق تخزين الحبوب، وبشكل خاص بيوت التخزين وحفرها التي وجدت في الغالب على شكل مجموعات^(١٧٢).

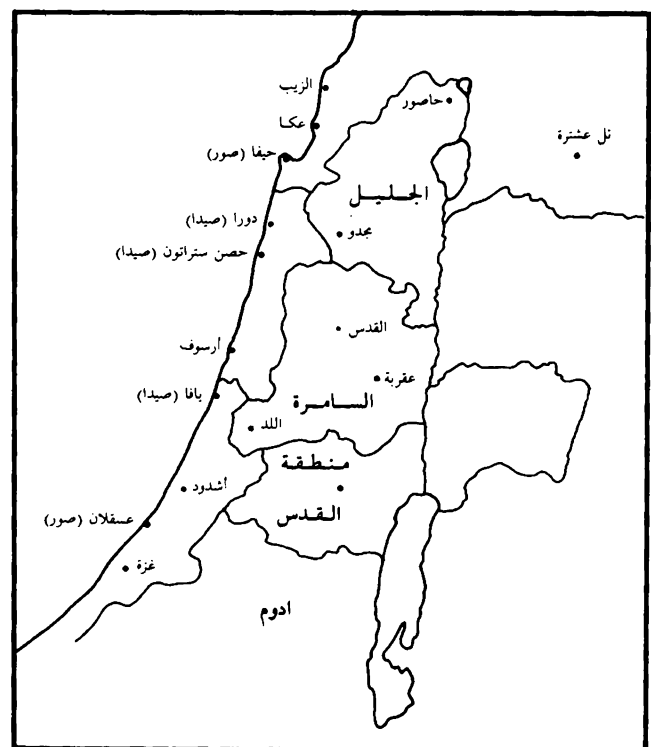
ومن مدن العهد الفارسي في فلسطين: تل الدوير التي هجرت بعد تدمير البابليين للموقع ثم رمت تحصيناتها وأعيد استعمالها كمبان عامة وإدارية. ومثل هذه المباني العامة ظهرت أيضاً في تل حمة أثناء حفريات فلندرز بيتري ١٩٢٦ - ١٩٢٧ ومؤسسة سمثسونيان الأمريكية منذ عام ١٩٧٠. ويظهر أن أعلى طبقة في تل المتسلم (Stratum I) تمثل مجموعة كبيرة من مباني العهد البابلي الجديد التي أعيد استعمالها في العهد الفارسي، وأرخها المنقبون من جامعة شيكاغو للفترة بين ٦٠٠ - ٣٠٠ ق. م.

كما ظهرت المخلفات المعمارية للعهد الفارسي في طبقة رئيسية، إلى ثلاث طبقات، في عدد كبير من المواقع الفلسطينية نذكر منها تل أبو الحوام وتل مبارك وتل زورور ويافا واسدود وعسقلان وتل قصيلة وتل الصافي وتل الفارعة الجنوبي وتل الشريعة وتل بلاطة وبيتين وتل النصبة وتل الجيب وتل الفول والقدس وخربة الطيبة وأريحا وعين جدي وتل جيزر (أبو شوشة) وبئر السبع، عدا مواقع كبيرة كُشف النقاب عنها أثناء المسوحات والحفريات الأثرية في وادي الأردن والمرتفعات الشرقية ومنها عمان وحسبان ومقابلين جنوبي عمان وتل المغير شمالي إربد، وتل السعيدية وتل المزار وتل دير علا وطبقة فحل في غور الأردن.

استمرت عادات الدفن في المرحلة الفارسية مرتبطة بالمقابر المقطوعة في الصخر على شكل أفراد أو مجموعات، وأوضحها الأمثلة المعروفة من مواقع الساحل الفلسطيني وهي قرية من حيث الشكل والإعداد من المقابر التي عثر عليها في قبرص.

وبنى طرقاً برية بمساعدة سكان فلسطين من عرب ويهود لتمكن القوات الفارسية من الوصول إلى مصر وضمها إلى إمبراطوريتهم. لدينا ثلاث وثائق هامة من القرن السادس ق. م (من أيام نبونيد أوداريوس الأول)، وجدت اثنتان منها في تيماء وهما عبارة عن مسلتين كتبتا بالآرامية، تشير إحداهما إلى اسم راهب من أصل بابلي. والوثيقة الثالثة وجدت مؤخراً في موقع طويلان بالقرب من البتراء في جنوبي الأردن. وقد كتبت وثيقة طويلان على لوحة طينية بالخط المسماري رغم أن الآرامية كانت اللغة الرسمية في العهد الفارسي. لكن هذا يدلنا على استمرار التأثير البابلي على المنطقة، وأن كتابة الوثيقة قد تمت في مدينة حرّان التي ما زالت أهميتها قائمة حتى في العهد الفارسي. واللوحه عبارة عن عقد بيع لقطيع من الماشية ذكر فيها اسماء البائعين وهما من أصل آرامي، واسما المشتري وأبيه وكلاهما من أصل آدومي، وفي الغالب من منطقة البتراء نفسها. ويشهد على هذا العقد ثلاثة أشخاص آخرون.

تبقى معلوماتنا التاريخية الموثقة عن فلسطين في العهد الفارسي قليلة ومبعثرة، وما زالت المعلومات المتعلقة بالتنظيمات الإدارية والأوضاع الاجتماعية مستمدة من التوراة، وخاصة من



فلسطين في أيام الفرس

وبقيت صناعة الأختام في القرنين السادس والخامس استمراراً للتقليد البابلي، وظهرت في الغالب على شكل أختام منبسطة وأحياناً أسطوانية أو على شكل جعارين مصرية. وكثيراً ما تحمل هذه الأختام كتابات آرامية اختلف الباحثون في قراءتها وتثبيت ماهيتها. ويحمل بعض الأختام مشاهد صيد أو مشاهد ذات صبغة دينية، أو أشكالاً صوانية، والبعض الآخر متعلق بأشخاص معينين، أو كعلامة تجارية.

وبدأت في هذه الفترة تظهر أقدم الأمثلة من النقود في فلسطين كتلك التي عثر عليها من القرن السادس ق. م في القدس وتل بلاطة، ومن القرن الخامس ق. م، في تل المتسلم وعتليت وسبسطية وخربة الطيبة والخليل، وجميع هذه الأمثلة مستوردة من اليونان وبشكل خاص من أثينا. وتعود أقدم النقود الشامية للقرن الرابع ق. م كتلك التي ضربت في جبيل وصيدا وصور وأرواد بأمر من ملوك فارس وعثر عليها في عدد من المواقع الفلسطينية مثل تل القدح وتل المتسلم وتل الدوير وخربة الطيبة ووادي الدالية.

وهناك مجموعات أخرى من النقود التي وجدت في فلسطين واختلف الباحثون في تصنيعها وتاريخها الدقيق ومكان ضربها، فاصطلح على بعض المجموعات «فلسطين - الجزيرة العربية» (Philisto-Arabian) وأخرى «مصر - الجزيرة العربية» (Egypto-Arabian) ومجموعة ثالثة نسبت إلى الفرس، ومجموعة رابعة عرفت بالمجموعة اليهودية. تحتاج هذه المسكوكات إلى المزيد من الدراسة والتصنيف لأهميتها التاريخية والتجارية والاقتصادية والإدارية، وقد تصور بالنسبة للمواقع الفلسطينية أفضل شاهد على الانتقال من العهد الفارسي إلى العهد اليوناني أو المرحلة الهلنستية اللاحقة.

وفخار العهد الفارسي أقل تنوعاً وأكثر خشونة من المراحل السابقة، وتصبح الزخرفة أقل كثيراً مما كانت عليه في العصر الحديدي الثاني، وتصبح الأواني الفخارية مرتبطة بالاستعمالات الزراعية فتكثر الجرار التي كانت تستعمل للتخزين ونقل البضائع والمكايل بأحجامها المختلفة. ويلفت النظر في هذه المرحلة استيراد أعداد من الفخار اليوناني وبشكل خاص من شرقي اليونان الذي يسهل تمييزه عن الفخار المحلي من خلال طينته النقية وصقل الوعاء من الخارج باللونين الأحمر والأسود، وما يحمله من زخارف نباتية وحيوانية وأدمية.

غالبية الصناعات الكمالية وخاصة المعدنية والزجاجية والرخامية منها مستوردة، وهي رغم أعدادها الكبيرة فقد عثر عليها في مواقع محدودة. ومن أبرز الصناعات المعدنية النحاسية صحنون عميقة بحافة مرتفعة ومزخرفة، ويظهر معها بعض القوارير والملاعق والمصافي والمرايا وأدوات الزينة مثل الأساور والأقراط والدبابيس، وبعض هذه الحلي مصنوع من الذهب. وأكثر الأسلحة المعدنية تمثيلاً رؤوس السهام التي تظهر بأشكال وأحجام مختلفة تبعاً لمصدر صناعتها.

ويكثر في هذه المرحلة ظهور الدمى الفخارية التي تظهر جنباً إلى جنب مع التماثيل الحجرية، ولكن تبقى الأمثلة المصنوعة من طينة الفخار أوسع انتشاراً وتمثل في الغالب أشكالاً آدمية ذكوراً وإناثاً. يمثل بعض هذه التماثيل أشكالاً ومشاهد دينية، بينما يمثل البعض الآخر جوانب فنية وجنسية متنوعة.

ومن الصناعات التي عرفت في العهد الفارسي صناعة ما يسمى بالمذابح وهي في الغالب صغيرة الحجم ومصنوعة من الحجر الكلسي وتحمل زخارف متنوعة بأشكال هندسية وأدمية وحيوانية ونباتية محفورة في الحجر أو مدهونة بطلاء أحمر أو بني أو أسود، إلا أنه ظهرت أمثلة قليلة عليها نحت بارز.

مكتبة

المهتدين

الحواشي

- (٢٦) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ق ١، ج ١، ص ٢٧.
- (٢٧) فسطاطين خمار، موسوعة فلسطين الجغرافية، ص ٢٤، ١٢٩.
- (٢٨) J. Pritchard, «The Excavations at Herodian Jericho», p. 22.
- (٢٩) طه حمدان، تاريخ الفلسطينيين وحضارتهم في العصر الحديدي الأول ١٢٠٠ - ١٠٠٠ ق.م، ص ٣٦٨.
- (٣٠) B. Hennessy, *The Foreign Relations of Palestine during the Early Bronze Age*, p. 2.
- (٣١) Y. Aharoni, *The Land of the Bible*, p. 23.
- (٣٢) M. Blankenhorn, «Syrien, Arabien und Mesopotamien», pp. 83-84; L.F.-M. Abel, *Géographie de la Palestine, Tome I. Géographie et Historique*, p. 80.
- (٣٣) صالح الحمارنة، «زراعة قصب السكر وصناعته عند العرب المسلمين»، ص ١٢ - ١٨.
- (٣٤) M. Ibrahim, J. Sauer and Khair Yassin, «The East Jordan Valley Survey 1975», pp. 41-67.
- (٣٥) G.A. Smith, *The Historical Geography of the Holy Land, especially in relation to the history of Israel and of the early Church*, p. 91.
- B. Reicke and L. Rost, *Biblisch-Historisches Handwörterbuch...*, pp. 1368-1369.
- (٣٦) O. Bar-Yousef, «Ubeidiya», *Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land*, p. 1216.
- (٣٧) ———, «Prehistory of the Levant», p. 113.
- (٣٨) T. Noy, A.T. Legge and E.S. Higgs, «Recent Excavation at Nahal Oren, Israel», pp. 75-100.
- (٣٩) D.A.E. Garrod and D.M. Bate, *The Stone Age of Mount Carmel*.
- (٤٠) G. Clark, *Mesolithic Prelude. The Palaeolithic-Neolithic Transition in old World Prehistory*, p. 20.
- (٤١) J. Perrot, «Mallaha: Les débuts de la vie sédentaire en Palestine il y a 10,000 ans», pp. 4-11.
- , «Le Gisement Natoufien de Mallaha (Eynan) Israel», pp. 5-6.
- (٤٢) E. Anati, *Palestine before the Hebrews*, p. 269; R. de Vaux, «Palestine during the Neolithic and Chalcolithic Periods», p. 16.
- (٤٣) A.M.T. Moore, «The Late Neolithic in Palestine», pp. 36-39.
- (٤٤) ———, *The Neolithic of the Levant I and II*.
- (٤٥) Kathleen Kenyon, «Excavations at Jericho, 1957-1958», p. 99; ———, *Excavations at Jericho, The Architecture and Stratigraphy of the Tell*, pp. 18, 175, 220.
- (١) Y. Aharoni, *The Land of the Bible*, p. 61.
- (٢) Martin Noth, *Aufsätze zur biblischen Landes- und Altertumskunde*, Band I, pp. 294-308.
- (٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، الجزء الرابع، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.
- (٤) الاصطخري، مسالك الممالك، ص ٥٥ - ٦٨.
- (٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١١ - ١٤٠.
- (٦) ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص ١٧١.
- (٧) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٥١ - ١٩٢.
- (٨) H. Donner, *Pilgerfahrt ins Heilige Land, die ältesten Berichte Christlicher Palaestinapilger 4-7 Jahrhundert*.
- (٩) Roger Moorey, *Excavations in Palestine*, p. 20.
- (١٠) R. de Vaux, «On Right and Wrong Uses of Archaeology», p. 67.
- (١١) R. de Vaux, «On Right and...», pp. 67-68.
- (١٢) Roger Moorey, *Excavations in Palestine*, p. 21.
- (١٣) E. Sellin and C. Watzinger, *Jericho, die Ergebnisse der Ausgrabungen*.
- (١٤) G.A. Reisner, *Harvard Excavations at Samaria, 1908-10*.
- (١٥) W.F. Albright, *The Archaeology of Palestine and the Bible*, pp. 33-35.
- (١٦) ———, «The Phenomenon of Israeli Archaeology», pp. 58-60.
- (١٧) ———, *The Phenomenon of...*, p. 60.
- (١٨) G.E. Wright, «The Phenomenon of American Archaeology», pp. 28-31.
- (١٩) J. Garstang, «Excavations of Askalon, 1920-1», pp. 12-16.
- , «The Excavations at Askalon», pp. 112-119.
- W.J. Phythian-Adams, «Reports on the Stratification of Askalon», pp. 60-84.
- (٢٠) Flinders Petrie, *Gerar*.
- , *Beth-Pelet I*.
- (٢١) J. Garstang, *The Story of Jericho*.
- (٢٢) Martin Noth, *Aufsätze zur biblischen Landes- und Altertumskunde*, Band I, pp. 3-16.
- (٢٣) R. de Vaux, «La seconde Campagne de Fouilles à Tell el-Farah, près Noploud», pp. 64-78.
- (٢٤) H.J. Franken, «The Other Side of Jordan», pp. 5-10.
- (٢٥) R. de Vaux, «Palestine during the Neolithic and Chalcolithic Periods», p. 7.

- M. Dothan, «Excavations at Meser», pp. 217-228. (٧٤)
- J. Ory, «A Chalcolithic Necropolis at Benei Beraq», pp. 43-57. (٧٥)
- Jean Perrot, «Une Tombe à Ossuaires du IV^e-millénaire à Azor près de Tel-Aviv», pp. 1-83.
- E. Sukenik, «A Chalcolithic Necropolis at Hederah».
- R. de Vaux, «Palestine during the Neolithic...», p. 33. (٧٦)
- J. Mellaart, *The Neolithic of the Near East*, pp. 22-23. (٧٧)
- R. de Vaux, «Palestine during the Neolithic...», p. 33. (٧٨)
- , «Palestine during...», p. 34. (٧٩)
- M. Ibrahim, «Archaeological Excavations at Sahab», p. 23; «Second Season of Excavations at Sahab», pp. 55-61; «Third Season of Excavations at Sahab», pp. 69-82. (٨٠)
- R. de Vaux, «Palestine during...», pp. 42-43. (٨١)
- , «Palestine during...», pp. 36-42. (٨٢)
- Kathleen Kenyon, «Excavations at Jericho», pp. 88-122. (٨٣)
- B. Hennessy, *The Foreign Relations of Palestine during the Early Bronze Age*, pp. 6-18. (٨٤)
- E. Anati, *Palestine before the Hebrews*, pp. 343-347. (٨٥)
- J.A. Callaway, «Pottery from the Tombs at Ai (El-Tell)». (٨٦)
- R. Amiran, «The Beginnings of Urbanization at Canaan», pp. 83-96; P. Lapp, «The Cemetery at Bab ed Dra», p. 101; G.E. Wright, «The Problems of the Transition between the Chalcolithic and the Bronze Age», pp. 37-45. (٨٧)
- Kathleen Kenyon, *Archaeology in the Holy Land*, pp. 84-100. (٨٨)
- B. Hennessy, *The Foreign Relations...*, pp. 46-47. (٨٩)
- R. de Vaux, «Palestine during...», pp. 36-42. (٩٠)
- B. Hennessy, *The Foreign Relations...*, p. 75. (٩١)
- R. Amiran, «Connections between Anatolia and Palestine in the Early Bronze Age», pp. 89-103. (٩٢)
- B. Hennessy, *The Foreign Relations...*, pp. 74-76. (٩٣)
- R. de Vaux, «Palestine during...», p. 16. (٩٤)
- B. Hennessy, *The Foreign Relations...*, p. 25. (٩٥)
- D. Kirkbride, «A Brief Report on the Pre-Pottery Flint Culture of Jericho», pp. 114-119. (٩٦)
- P. Lapp, «Palestine in the Early Bronze Age», pp. 101-131. (٩٧)
- R. de Vaux, «Palestine during...», pp. 535-537. (٩٨)
- P. Lapp, «The Cemetery at Bab ed-Dra», pp. 2-10ff; «Bab ed-Dra' Tomb A 76 and the Early Bronze I in Palestine», p. 12 ff.; «The Cemetery at Bab ed-Dra'». (٩٩)
- M. Ibrahim, «Archaeological Excavations at Sahab», pp. 23-37; W.E. Rast and R.T. Schaub, «A Preliminary Report of the Excavations at Bab ed-Dhra», pp. 1-32; «Preliminary Report of the 1979 Expedition to the Dead Sea Plain, Jordan», pp. 21-61; O.J. Ortner, «A Preliminary Report on the Human Remains from Bab edh-Dhra' Cemetery», pp. 1-5.
- B. Frohlich and D. Ortner, «Excavations of the Early Bronze Age Cemetery at Bab edh-Dhra, Jordan, 1981», pp. 249-268.
- P. Lapp, *The Dahr Mirzbaneh: Three Intermediate Bronze Cemeteries in Jordan*, pp. 104-111; «The Cemetery at Bab ed-Dra', Jordan», pp. 103-112.
- J. Clutton-Brock, «Carnivore Remains from the Excavations of the Jericho Tell». (١٠٠)
- , «The Primary Food Animal of the Jericho Tell, from the Proto-Neolithic to the Byzantine Period», pp. 337-345.
- T. Noy, A.T. Legge and E.S. Higgs, «Recent Excavations at Nahal Oren, Israel», pp. 75-100. (١٠١)
- Kathleen Kenyon, «Excavations at Jericho», pp. 69,195; ———, «Jericho and its setting in Near Eastern History», pp. 6-7. (١٠٢)
- M. Hopf, «Plant Remains and Early Farming in Jericho», pp. 355-360. (١٠٣)
- R. de Vaux, «Palestine during the Neolithic and Chalcolithic Periods», p. 7. (١٠٤)
- Kathleen Kenyon, «Excavations at Jericho», p. 73; ———, *Excavations at Jericho. The Architecture and Stratigraphy of the Tell*, p. 269. (١٠٥)
- G. Zeuner, «The Goats of Early Jericho», pp. 70-75; ———, «Dog and Cat in the Neolithic of Jericho», pp. 52-55. (١٠٦)
- Diana Kirkbride, «Beidha. An Early Neolithic Village in Jordan», p. 207. (١٠٧)
- J. Perrot, «Minha Horvat», *Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land*, p. 871. (١٠٨)
- M. Hopf, «Plant Remains and Early Farming in Jericho». (١٠٩)
- J. Garstang, «Jericho: City and Necropolis», p. 166. (١١٠)
- Kathleen Kenyon, «Excavations at Jericho, 1957-1958», p. 91. (١١١)
- R. de Vaux, «Palestine during the Neolithic and Chalcolithic Periods», p. 10. (١١٢)
- A.D. Crown, «Toward a Reconstruction of the Climate of Palestine 8000-0 B.C.», pp. 312-330. (١١٣)
- D. Kirkbride, «Beidha, An Early Neolithic Village in Jordan», pp. 199-207. (١١٤)
- J. Mellaart, *The Neolithic of the Near East*, pp. 238-243. (١١٥)
- M. Stekelis, «A New Neolithic Industry: The Yarmoukian of Palestine», *The Yarmoukian Culture*, pp. 1-20. (١١٦)
- J. Kaplan, «Excavation at Teluliot Batashi in the Vale of Sorek», p. 83. (١١٧)
- T. Noy, «Neolithic Sites in Western Coastal Plain», p. 290. (١١٨)
- R. de Vaux, «Palestine during the Neolithic and Chalcolithic Periods», p. 13. (١١٩)
- J. Mellaart, *The Neolithic of the Near East*, p. 238. (١٢٠)
- C. Bennett, «Soundings at Dhra», pp. 30-40. (١٢١)
- R. de Vaux, «Palestine during the Neolithic and Chalcolithic Periods», p. 17. (١٢٢)
- M. Ibrahim, J. Sauer and K. Yassin, «The East Jordan Valley Survey», pp. 41-67. (١٢٣)
- Beno Rothenberg, *Timna, Valley of the Biblical Copper Mines*, pp. 24-62. (١٢٤)
- Jean Perrot, *Syria-Palestine 1. from the Origins to the Bronze Age*, pp. 156-158. (١٢٥)
- R. de Vaux, «Palestine during the Neolithic...», p. 31. (١٢٦)
- , «Palestine during the Neolithic...», p. 32. (١٢٧)

- R. de Vaux, «La Seconde Campagne de Fouilles à Tell el-Farah», (١٢٩)
p. 551.;
——, «Les Fouilles de Tell el-Farah, près Noplous», p. 558.
- R. Hestrin and M. Tadmor, «A Horde of Tools and Weapons from (١٣٠)
Kfar Monash», p. 265ff.
- J. Bliss, *A Mound of many Cities or Tell el-Hesi Excavated.* (١٣١)
- Kathleen Kenyon, «Excavations at Jericho», p. 118ff. (١٣٢)
- R. de Vaux, «La Seconde Campagne de Fouilles...», p. 555. (١٣٣)
- R.A.S. Macalister, *The Excavation of...* pp. 243-245. (١٣٤)
- O. Tufnell, *Lachish IV*, ..., pp. 76-83; 328-331. (١٣٥)
- B. Maisler and M. Stekelis, «The Excavations at Beth Yerah...», (١٣٦)
p. 223.
- G.E. Wright, *The Pottery of Palestine from the Earliest Times to the (١٣٧)
End of the Early Bronze Age*, pp. 78-82.
- M. Dothan, «'Afula», p. 36. (١٣٨)
- S. Yeivan, «El-^cAreini, Tel; Esh-Sheikh Ahmed (Tel^cErani)», (١٣٩)
p. 89.
- W.F. Albright, «Early Bronze Pottery from Bab ed-Dra' in Moab: (١٤٠)
I. Description and Chronology», pp. 3-11.
- W.E. Rast and R.T. Schaub, «Preliminary Report of the 1979 (١٤١)
Expedition to the Dead Sea Plain, Jordan», pp. 21-61.
- , «Preliminary Report...», p. 21-61. (١٤٢)
- M. Ibrahim, «Archaeological Excavations at Sahab, 1972», pp.23-37. (١٤٣)
- W.F. Albright, «Some Remarks on the Archaeological Chronology (١٤٤)
of Palestine before about 1500 B.C.», pp. 45-57.
- G. Posener, «Syria and Palestine c. 2160-1780 B.C. Relations with (١٤٥)
Egypt», p. 555.
- J.M. Weinstein, «Egyptian Relations with Palestine in the Middle (١٤٦)
Kingdom», pp. 1-16.
- Kathleen Kenyon, *Archaeology in the Holy Land*, p. 150. (١٤٧)
- Giovanni, Pettinato, *The Archives of Ebla, An Empire Inscribed in (١٤٨)
Clay*, p. 226.
- P. Matthiae, *Ebla*, p. 221; (١٤٩)
Giovanni Pettinato, *The Archives of Ebla...*, pp. 55-66.
- Y. Aharoni, *The Land of the Bible*, pp. 131-135. (١٥٠)
- Kathleen Kenyon, *Archaeology...*, p. 174. (١٥١)
- Y. Aharoni, *The Land...*, pp. 157-164. (١٥٢)
- W.F. Albright, «Some Remarks on the...», p. 183. (١٥٣)
- M.S. Drower, «Syria, c. 1550-1400 B.C.», p. 461. (١٥٤)
- A.F. Rainey, «Al-Amarna Tablets», pp. 359-379. (١٥٥)
- Y. Aharoni, *The Land of the Bible*, p. 176. (١٥٦)
- J. Bottero, *Le Problème de Habiru.* (١٥٧)
- M. Greenberg, *The Hab / Piru.* (١٥٨)
- W. Helck, «Die Beziehungen Aegyptens zu Vorderasiens im 3. und (١٥٩)
2. Jahrtausend V.», pp. 202-208.
- J. Pritchard, *Gibeon Where the Sun Stood Still*, pp. 258-259. (١٦٠)
- Kathleen Kenyon, *Digging up Jericho*, pp. 93-102; (١٠٠)
B. Hennessy, *The Foreign Relations...* pp. 45-47.
- J. Pritchard, «The Excavations at Herodian Jericho 1951», p. 14ff. (١٠١)
- B. Maisler and M. Stekelis, «The Excavations at Beth Yerah», (١٠٢)
p. 165ff.
- S. Helms, *Jawa, Lost City of the Black Desert.* (١٠٣)
- Kathleen Kenyon, «Excavations at Jericho», p. 52ff; *Excavations at (١٠٤)
Jericho, Vol. III, The Architecture and Stratigraphy of the Tell*,
pp. 8-11;
R. de Vaux, «Palestine during...», pp. 17-19.
- P. Lapp, *The Dahr Mirzbaneh: Three Intermediate Bronze (١٠٥)
Cemeteries in Jordan*, pp. 30-85.
- Kathleen Kenyon, *Excavations at Jericho II*, pp. 95-96; (١٠٦)
*Excavations at Jericho, Vol. III, The Architecture and Stratigraphy of
the Tell*, pp. 11-17.
- , *Amorites and Canaanites*, p. 6ff. (١٠٧)
- G.E. Wright, *The Pottery of Palestine from the Earliest Times to the (١٠٨)
End of the Early Bronze Age*, pp. 51-52;
R. de Vaux, «Palestine during...», p. 8.
- Kathleen Kenyon, «Excavations at Jericho, 1957-1958», pp. 88-122. (١٠٩)
- R. Amiran, *Ancient Pottery of the Holy Land, from its Beginnings in (١١٠)
the Neolithic Period to the End of the Iron Age*, p. 79ff.
- P. Lapp, *The Dahr Mirzbaneh...*, pp. 86-116. (١١١)
- , «Palestine in the Early Bronze Age», pp. 114-115, 124. (١١٢)
- Kathleen Kenyon, «Tombs of the Intermediate Early Bronze — (١١٣)
Middle Bronze Age Tell 'Ajjul», pp. 41-55.
- O. Tufnell, *Lachish IV, The Bronze Age*, pp. 227-280. (١١٤)
- P. Lapp, *The Dahr Mirzbaneh:* (١١٥)
- J. Pritchard, *Gibeon Where the Sun Stood Still*, p. 153. (١١٦)
- R. Smith, *Excavations in the Cemetery at Khirbet Kufin, Palestine.* (١١٧)
- P.L.O. Guy, *Megiddo Tombs.* (١١٨)
- D. Kirkbride, «A Brief Report on the Pre-Pottery Flint Culture (١١٩)
of Jericho», p. 180-262.
- P. Lapp, «The Cemetery at Bab ed-Dra'». (١٢٠)
- F. Zayadine, «An EB-MB Bilobate Tomb». (١٢١)
- L. Harding, «An Early Bronze Age Cave at el-Husn», pp. 1-3. (١٢٢)
- Kathleen Kenyon, *Jericho II*, pp. 95-96; (١٢٣)
——, «Syria and Palestine c. 2160-1780 B.C. The Archaeological
Sites», p. 11-17.
- R. Amiran, «The Pottery of the Middle Bronze Age I in Palestine», (١٢٤)
pp. 204-225.
- Kathleen Kenyon, *Amorites and Canaanites*, p. 6ff. (١٢٥)
- O. Tufnell, *Lachish IV, The Bronze Age*, p. 72. (١٢٦)
- R.A.S. Macalister, *The Excavations of Gezer. I-III*, pp. 93-120. (١٢٧)
- Amon, Ben-Tor, «Cylinder Seals of Third-Millennium Palestine». (١٢٨)
E. Sellin and C. Watzinger, *Jericho, die Ergebnisse der
Ausgrabungen.*

- Ruth Amiran, *Ancient Pottery of the Holy Land, from its Beginnings in the Neolithic Period to the End of the Iron Age*, p. 232.
 Y. Aharoni, *The Archaeology of the Land of Israel*, p. 175.
 R. de Vaux, *History of Israel*, pp. 93-94. (١٦٧)
 Y. Aharoni, *The Land of the Bible*, pp. 274-297. (١٦٨)
 Kathleen Kenyon, *Archaeology...*, p. 306. (١٦٩)
 Kathleen Kenyon, *Archaeology in the Holy Land*, p. 306. (١٧٠)
 N. Avigad, «Bullae and Seals from a Post-Exilic Judean Archive». (١٧١)
 Ephraim Stern, *Material Culture of the Land of the Bible in the Persian Period*. (١٧٢)

- Y. Aharoni, *The Land...*, p. 184. (١٦١)
 (١٦٢) محمود أبو طالب، آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة، أضواء جديدة، ص ٧٩٠.
 Kathleen Kenyon, *Archaeology in the Holy Land*, p. 214. (١٦٣)
 (١٦٤) طه حمدان، تاريخ الفلسطينيين وحضارتهم...، ص ١٣٤ - ١٤٠.
 M. Ibrahim, «The Collared-rim Jar of the Early Iron Age», pp. 116-126. (١٦٥)
 W.F. Albright, «The Excavations at Tell Beit Mirsim. Vol. III: The Iron Age», p. 11. (١٦٦)

المراجع

ثانياً - المراجع الأجنبية:

- Abel, L. F.-M., *Géographie de la Palestine, Tome I. Géographie et Historique*, Paris, Librairie Lecoq, (n.d.).
 Aharoni, Y., *The Land of the Bible* (translator A.F. Rainey), Philadelphia, The Westminster Press, 1967.
 ———, *The Archaeology of the Land of Israel* (translator: A.F. Rainey), Philadelphia, 1982.
 Albright, W.F., «The Excavations at Tell Beit Mirsim, Vol. III, The Iron Age», *Annual of the American Schools of Oriental Research*, Vols. XXI-XXII, New Haven, American Schools of Oriental Research, 1943.
 ———, «Early Bronze Pottery from Bab ed-Dra in Moab: I. Description and Chronology», *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 95, 1944.
 ———, «The Phenomenon of Israeli Archaeology», (ed.) James A. Sanders, *Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century, Essays in Honor of Nelson Glueck*, Garden City, N.Y., Doubleday, 1970.
 ———, «Some Remarks on the Archaeological Chronology of Palestine before about 1500 B.C.», (ed.) R.W. Ehrich, *Chronologies in Old World Archaeology*, 2nd. ed., Chicago, University of Chicago Press, 1971.
 ———, *The Archaeology of Palestine and the Bible*, Cambridge, The American Schools of Oriental Research, 1974.
 Amiran, R., «Connections between Anatolia and Palestine in the Early Bronze Age», *Israel Exploration Journal* 2, 1952.
 ———, «The Pottery of the Middle Bronze Age I in Palestine», *Israel Exploration Journal* 10, 1960.
 ———, *Ancient Pottery of the Holy Land, from its Beginnings in the Neolithic Period to the End of the Iron Age*, Jerusalem, Massada Press, 1969.
 ———, «The Beginnings of Urbanization in Canaan», *Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century, Essays in Honor of Nelson Glueck*, (ed.) James A. Sanders, Garden City, N.Y., Doubleday, 1970.
 ———, *Ancient Pottery of the Holy Land*, New Brunswick, N.J., Rutgers, University Press, 1970.
 Anati, E., *Palestine before the Hebrews*, New York, Knopf, 1963.
 Avigad, N., «Bullae and Seals from a Post-Exilic Judean Archive», *Qedem* 4, Jerusalem, 1976.
 Bar-Yosef, O., «Ubeidiya», *Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land*, Vol. IV (eds.) M. Avi-Yonah and E. Stern, Jerusalem, Massada Press, 1978.
 ———, «Prehistory of the Levant», *Annual Review of Anthropology*, 1980.
 Bennett, C., «Soundings at Dhra', *Levant* XII, 1980.
 Ben-Tor, Amon, «Cylinder Seals of Third-Millennium Palestine», *Bulletin of*

أولاً - المراجع العربية:

- إبراهيم بن محمد الاصطخري، مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦١.
 أحمد بن محمد بن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، تحقيق م. ج. دويخ، لندن، مطبعة بريل، ١٨٨٥.
 أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، تحرير م. ج. دويخ، لندن، مطبعة بريل، ١٩٦٨.
 صالح الحمارة، «زراعة قصب السكر وصناعاته عند العرب المسلمين»، حولىة دائرة الآثار العامة، عمّان، ٢٢، ١٩٧٧ - ١٩٧٨.
 طه حمدان، تاريخ الفلسطينيين وحضارتهم في العصر الحديدي الأول (١٢٠٠ - ١٠٠٠ ق.م.)، رسالة ماجستير قدمت لقسم الآثار بالجامعة الأردنية، ١٩٨٣.
 عدنان الحديدي، «الآثار في خدمة السياسة»، حولىة دائرة الآثار العامة، عمّان، ٢٢، ١٩٧٧ - ١٩٧٨.
 فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ١، ترجمة كمال اليازجي وعبد الكريم رافق، مراجعة وتحرير جبرائيل جبّور، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٨.
 قسطنطين خّار، موسوعة فلسطين الجغرافية، بيروت، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٩.
 محمد بن حوقل، صورة الأرض، تحقيق ج. ه. كرميس، ط ٢، لندن، بريل، ١٩٣٨.
 محمد بن محمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق م. ج. دويخ، ط ٢، لندن، بريل، ١٩٠٦.
 محمود أبو طالب، آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة، أضواء جديدة، عمّان، ١٩٧٨.
 مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، القسم الأول، الجزء الأول، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٥.
 ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥ أجزاء، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨.

- the American Schools of Oriental Research, Supplement Series 22, 1978.
- Besançon, J., Copeland, L., Hours, F., «Tableaux de Préhistoire Libanaise», *Paleorient* 3, 1975-77.
- Blankenhorn, M., «Syrien, Arabien und Mesopotamien», *Handbuch der Regionalen Geologie*, Band V, 4 (eds.) G. Steinmann und O. Wilckens, Heidelberg, 1914.
- Bliss, F.J., *A Mound of Many Cities or Tell el-Hesi Excavated*, London, Palestine Exploration Fund, 1894.
- Bottero, J., *Le Problème de Habiru à la 4e Rencontre Assyriologique Internationale*, Paris, Imprimerie Nationale, 1954.
- Callaway, J.A., «Pottery from the Tombs at Ai (Et-Tell)», *Colt Archaeological Institute Monograph* No. 2, 1964.
- Clark, G., *Mesolithic Prelude: The Palaeolithic-Neolithic Transition in Old World Prehistory*, Edinburgh, University Press, 1980.
- Clutton-Brock, J., «Carnivore Remains from the Excavations of the Jericho Tell», in the *Domestication and Exploitation of Plants and Animals*, (eds.) P.J. Ucko and G.W. Dimbleby, London, Duckworth, 1969.
- , «The Primary Food Animal of the Jericho Tell, from the Proto-Neolithic to the Byzantine Period», *Levant*, 1971.
- Crown, A.D., «Toward a Reconstruction of the Climate of Palestine 8000-0 B.C.», *Journal of Near Eastern Studies*, 1972.
- Donner, H., *Pilgerfahrt ins Heilige Land, die ältesten Berichte christlicher Palästina-pilger, 4-7 Jahrhundert*, 1979.
- Dothan, M., «Excavations at Meser», *Israel Exploration Journal*, 7, 1957.
- , «Afula», in *Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land*, Vol. 1, London, Oxford University Press, 1973.
- Drower, M.S., «Syria c. 1550-1400 B.C.», *The Cambridge Ancient History*, Vol. II, Pt. 1, Cambridge, Cambridge University Press, 1973.
- Franken, H.J., «The Other Side of Jordan», *Annual of the Department of Antiquities of Jordan*, 15, 1970.
- Frohlich, B. and Ortner, D., «Excavations of the Early Bronze Age Cemetery at Bab edh-Dhra Jordan, 1981. A Preliminary Report», *Annual of the Department of Antiquities of Jordan*, 1982.
- Garrod, D.A.E. and Bate, D.M., *The Stone Age of Mount Carmel*, Oxford, Clarendon Press, 1937.
- Garstang, J., «Excavations of Askalon, 1920-1», *Palestine Exploration Fund Quarterly Statement*, 53, 1921.
- , «The Excavations at Askalon», *Palestine Exploration Fund Quarterly Statement*, 54, 1922.
- , «Jericho: City and Necropolis», *University of Liverpool Annals of Archaeology and Anthropology*, 22, 1935.
- , *The Story of Jericho*, 1948.
- Greenberg, M., *The Habbani Piru*, New Haven, American Oriental Society, 1955.
- Guy, P.L.O., *Megiddo Tombs*, Chicago, University of Chicago Press, 1938.
- Harding, L., «An Early Bronze Age Cave at el-Husi», *Palestine Exploration Fund Annual*, IV, 1953.
- Helck, W., «Die Beziehungen Ägyptens zu Vorderasiens im 3. und 2. Jahrtausend V.», *Chr., Ägyptologische Abhandlungen*, 5, Wiesbaden, Harrassowitz, 1962.
- Helms, S., *Jawa, Lost City of the Black Desert*, London, Methuen, 1981.
- Hennessy, B., *The Foreign Relations of Palestine During the Early Bronze Age*, London, Colt Archaeological Institute Publications, 1967.
- Hestrin, R. and Tadmor, M., «A Horde of Tools and Weapons from Kfar Monash», *Israel Exploration Journal*, 11, 1963.
- Hopf, M., «Plant Remains and Early Farming in Jericho», in *The Domestication and Exploitation of Plants and Animals*, (eds.) P.J. Ucko and G.W. Dimbleby, London, Duckworth, 1969.
- Ibrahim, M., «Archaeological Excavations at Sahab, 1972», *Annual of the Department of Antiquities of Jordan*, XVIII, 1972.
- , «Second Season of Excavations at Sahab, 1973», *Annual of the Department of Antiquities of Jordan*, XIX, 1974.
- , «Third Season of Excavations at Sahab, 1974», *Annual of the Department of Antiquities of Jordan*, XX, 1975.
- , «The Collared-rim Jar of the Early Iron Age», *Archaeology in the Levant, Essays for K. Kenyon*, (eds.), R. Moorey and P. Parr, Warminster, England, Aris and Phillips, 1978.
- Ibrahim, M., Sauer, J., and Yassin, K., «The East Jordan Valley Survey, 1975», *Bulletin of the American Schools of Oriental Research*, 222, 1976.
- Kaplan, J., «Excavations at Teluliot Batashi in the Vale of Sorek», *Eretz Israel* 5, 1958.
- Kenyon, K., «Excavations at Jericho», *Palestine Exploration Quarterly*, 86, 1954.
- , «Excavations at Jericho», *Palestine Exploration Quarterly*, 87, 1955.
- , «A Crescentic Axehead from Jericho and a Group of Weapons from Tell el-Hesi», *Eleventh Annual Report of the Institute of Archaeology*, London, University of London, 1955.
- , «Excavations at Jericho», *Palestine Exploration Quarterly* 88, 1956.
- , «Jericho and its Setting in Near Eastern History», *Antiquity*, XXX, 1956.
- , «Tombs of the Intermediate Early Bronze-Middle Bronze Age Tell 'Ajjul», *Annual of the Department of Antiquities*, 3, 1956.
- , «Excavations at Jericho», *Palestine Exploration Quarterly*, 89, 1957.
- , *Digging up Jericho*, London, E. Benn, 1957.
- , *Palestine Exploration Quarterly*, 92, 1960.
- , «Excavations at Jericho, 1957-1958», *Palestine Exploration Quarterly*, 92, 1960.
- , *Excavations at Jericho II*, London, 1965.
- , *Amorites and Canaanites*, London, Published for the British Academy [by] Oxford University Press, 1966.
- , «Syria and Palestine c.2160-1780 B.C.: The Archaeological Sites», *The Cambridge Ancient History*, Vol. I, Pt. 2, 3rd ed., Cambridge, Cambridge University Press, 1971.
- , *Archaeology in the Holy Land*, London, E. Benn, New York, W.W. Norton, 4th edition, 1979.
- , *Excavations at Jericho, Vol. III. The Architecture and Stratigraphy of the Tell*, edited by T.A. Holland, London, British School of Archaeology in Jerusalem, 1981.
- Kirkbride, D., «Beidha, An Early Neolithic Village in Jordan», *Archaeology* 19, 1966.
- , «A Brief Report on the Pre-Pottery Flint Cultures of Jericho», Lapp, P., *The Dahr Mirzbaneh: Three Intermediate Bronze Cemeteries in Jordan*, Amman, 1966.
- , «The Cemetery at Bab ed-Dra', Jordan», *Archaeology*, 19, 1966.
- , «Bab ed-Dra' Tomb A 76 and the Early Bronze I in Palestine», *Bulletin of the American Schools of Oriental Research*, 189, 1968.
- , «The Cemetery at Bab ed-Dra', Jordan», *Archaeological Discoveries in the Holy Land*, New York, The Archaeological Institute of America, 1970.
- , «Palestine in the Early Bronze Age», in *Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century*, (Essays in honor of Nelson Glueck), (ed.) James A. Sanders, Garden City, N.Y., Doubleday, 1970.
- Macalister, R.A.S., *The Excavations of Gezer, 1902-1905, 1907-1909*, 3 vols, London, John Murray, 1912.
- Maisler, B. and Stekelis, M., «The Excavations at Beth Yerah (Khirbet el Kerak)», *Israel Exploration Journal*, 2, 1952.
- Matthiae, P., *Ebla: An Empire Rediscovered* (translator: Christopher Holme), London, Hodder and Stoughton, 1980.
- Mellaart, J., *The Neolithic of the Near East*, London, Thames and Hudson, 1975.
- Moore, A.M.T., «The Late Neolithic in Palestine», *Levant*, V, 1973.
- , *The Neolithic of the Levant, I and II*, (Unpublished Ph.D. Thesis submitted for the Degree of Doctor of Philosophy), Oxford University, University College, 1978.
- Moorey, P.R., *Excavations in Palestine*, Guildford, Letterworth Press, 1931.
- Noth, Martin, *Aufsätze zur biblischen Landes und Altertumskunde*, Band I, (Neukirchener Verlag), 1971.
- , «Grundsätzliches zur geschichtlichen Deutung archaologischer Befunde auf dem Boden Palästinas», in *Aufsätze zur biblischen Landes und Altertumskunde*, 1, 1971.
- Noy, T., «Neolithic Sites in Western Coastal Plain», *Eretz Israel*, 13, 1977.

- Noy, T., Legge, A.T., Higgs, E.S., «Recent Excavation at Nahal Oren, Israel», *Proceeding of the Prehistoric Society*, 1973.
- Ortner, O. J., «A Preliminary Report on the Human Remains from Bab edh-Dhra Cemetery, in The Southeastern Dead Sea Plain Expedition. An Interim Report of the 1977 Season», *Annual of the American Schools of Oriental Research*, 46, 1931.
- Ory, J., «A Chalcolithic Necropolis at Benei Beraq», *Quarterly of the Department of Antiquities of Palestine*, 12, 1946.
- Perrot, J., «Une Tombe à Ossuaires du IV^e millénaire à Azor près de Tel Aviv», *Atiqot*, 3, 1961.
- , «Mallaha: les Débuts de la Vie Sédentaire en Palestine il y a 10,000 ans», *Atomes*, 261, 1966.
- , «Le Gisement Natoufien de Mallaha (Eynan) Israël», *L'Anthropologie*, 70, 1969.
- , «Minha, Horvat», *Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land*, III, Jerusalem, Massada Press, 1977.
- , *Syria-Palestine I, from The Origins to the Bronze Age*, Geneva, Nagel Publishers, 1979.
- Petrie, W.M.F., *Gerar*, London, British School of Archaeology in Egypt, 1928.
- , *Beth-Pelet I*, London, 1930.
- Pettinato, Giovanni, *The Archives of Ebla, An Empire Inscribed in Clay*, New York, 1981.
- Phythian-Adams, W.J., «Reports on the Stratification of Askalon», *Palestine Exploration Quarterly Statement*, 55, 1923.
- Posener, G., «Syria and Palestine c. 2160-1780 B.C.: Relations with Egypt», *The Cambridge Ancient History* Vol. 1, Pt. 2, 3rd. ed., London, Cambridge University Press, 1971.
- Pritchard, J., «The Excavations at Herodian Jericho 1951», *Annual of the American Schools of Oriental Research*, 32, 1958.
- , *Gibeon Where the Sun Stood Still: The Discovery of the Biblical City*, N.J., Princeton University Press, 1962.
- Rainey, A.F., «Al-Amarna Tablets», *Alter Orient und Altes Testament*, 8, 1978.
- Rast, W.E. and Schaub, R.T., «A Preliminary Report of the Excavations at Bab edh-Dhra', 1975», *Annual of the American Schools of Oriental Research*, 43, 1978.
- , «Preliminary Report of the 1979 Expedition to the Dead Sea Plain, Jordan», *Bulletin of the American Schools of Oriental Research*, 240, 1980.
- Reicke, B. and Rost, L., *Biblisch-Historisches Handwörterbuch, Landeskunde, Geschichte, Religion, Kultur, Literatur*, Gottingen, Vandenhoeck & Ruprecht, 1966.
- Reisner, G.A., and others, *Harvard Excavations at Samaria 1908-10*, Cambridge, Harvard University Press, 1924.
- Rothenberg, B., *Timna, Valley of the Biblical Copper Mines*, London, Thames and Hudson, 1972.
- Sellin, E. and Watzinger, C., *Jericho, die Ergebnisse der Ausgrabungen*, Leipzig, Hinrichs, 1913.
- Smith, G.A., *The Historical Geography of the Holy Land, Especially in Relation to the History of Israel and of the Early Church*, London, Hodder and Stoughton, 1896.
- Smith, K., *Excavations in the Cemetery at Khirbet Kufin, Palestine*, London, B. Quaritch, 1962.
- Stekelis, M., «A New Neolithic Industry: The Yarmoukian of Palestine», *Israel Exploration Journal*, 1, 1950-51.
- , *The Yarmoukian Culture of the Neolithic Period*, Jerusalem, Magnes Press, 1972.
- Stern, E., *The Material Culture of the Land of the Bible in the Persian Period 538-332 B.C.*, Jerusalem, Israel Exploration Society, 1982.
- Sukenik, E., «A Chalcolithic Necropolis at Hederah», in *Journal of the Palestinian Oriental Society* 17, 1937.
- Tufnell, O., *Lachish IV, The Bronze Age*, London, Oxford University Press, 1958.
- de Vaux, R., «La Seconde Campagne de Fouilles à Tell el-Farah, près Noploud», *Revue Biblique*, 55, 1948.
- , «Les Fouilles de Tell el-Farah, près Noploud, Cinquième Campagne, Rapport Préliminaire», *Revue Biblique*, 62, 1955.
- , «Palestine during the Neolithic and Chalcolithic Periods», in Vols. I and II Fascicle 47 of the *Cambridge Ancient History*, Cambridge, Cambridge University Press, 1966.
- , «On Right and Wrong Uses of Archaeology», (ed.) James A. Sanders, *Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century, Essays in Honor of Nelson Glueck*, Garden City, N.Y., Doubleday, 1970.
- , *History of Israel*, 1974.
- Weinstein, J.M., «Egyptian Relations with Palestine in the Middle Kingdom», *Bulletin of the American Schools of Oriental Research*, 217, 1975.
- Wright, G.E., *The Pottery of Palestine from the Earliest Times to the End of the Early Bronze Age*, New Haven, American Schools of Oriental Research, 1937.
- , «The Problem of the Transition between the Chalcolithic and The Bronze Age», *Eretz Israel*, 5, 1958.
- , «The Phenomenon of American Archaeology in The Near East», (ed.) James A. Sanders, *Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century, Essays in Honour of Nelson Glueck*, Garden City, N.Y., Doubleday, 1970.
- Yeiven, S., «El-'Areini, Tel; Esh-Sheikh Ahmed (Tel 'Erani)», *Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land*, London, Oxford University Press, 1975.
- Zayadine, F., «An EB-MB Bilobate Tomb», *Archaeology in the Levant*, 1978.
- Zeuner, G., «The Goats of Early Jericho», *Palestine Exploration Quarterly*, 87, 1955.
- , «Dog and Cat in the Neolithic of Jericho», *Palestine Exploration Quarterly*, 90, 1958.